جامعة العلوم الإسلامية العالمية

كلية الدراسات العليا

قسم أصول الدين

الطُّهْر في ضوء القرآن الكريم

دراسة موضوعيّة

Chastity in scope of Holy Quran

An analytic and objective study

إعداد:

أحمد علي محمد الكبتي

إشراف

د. مختار عمر الشنقيطي

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في التفسير

وعلوم القرآن في جامعة العلوم الإسلامية العالمية

تاريخ المناقشة: عمان ١٥/١/٢٠١٥م

جامعة العلوم الإسلامية العالمية
كلية الدراسات العليا
قسم أصول الدين

الطُّهْر في ضوء القرآن الكريم
دراسة موضوعيّة

إعداد
أحمد علي محمد الكبتي
إشراف الدكتور
مختار عمر الشنقيطي

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في التفسير
وعلوم القرآن في جامعة العلوم الإسلامية العالمية
تاريخ المناقشة: عمان ١٥/١/٢٠١٥م

The world Islamic Sciences& education university (wis)
Faculty of graduate atudies
Dept of tenets of the religion

Purity in the light of the Holy Quran
Objective study

Prepared by: Ahmed Ali Mohamed Kabta
Supervision: Dr. Mukhtar Omar Shanqeeti

This provided an update message to the requirements of a master's degree in interpretation of the Quran and Science
At the International Islamic University of Science

الطُّهْر في ضوء القرآن الكريم
دراسة موضوعيّة

Purity in the light of the Holy Quran
Objective study

إعداد: أحمد علي محمد الكبتي

إشراف الدكتور: مختار عمر الشنقيطي

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ ١٥/١/٢٠١٥م

أعضاء لجنة المناقشة:

	الدكتور	الجامعة	التوقيع
١-	الدكتورمختارعمرالشنقيطي(رئيسا)	جامعة العلوم الإسلامية العالمية.	.....
٢-	الدكتور هارون نوح القضاة (عضوا)	جامعة العلوم الإسلامية العالمية.	.....
٣-	الدكتور طلب لصرايرة (عضوا خارجيا)	جامعة مؤتة.	.....

أنا الطالب: أحمد علي محمد الكبتي بكلية الدراسات العليا / قسم أصول الدين.

أفوّض جامعة العلوم الإسلامية العالمية بتزويد نسخ من رسالتي الماجستير

التي هي بعنوان: **(الطهْر في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعيّة)**

للمكتبات أو المؤسسات،أو الهيئات،أو الأشخاص عند طلبها.

أحمد علي محمّد الكبتي

التوقيع.....

الإهداء

* إلى من أرجو من الله أن يسعدني بشفاعته في الآخرة حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

* إلى من علمني كتاب الله وحببني فيه بصبر وحلمه وسعة صدره شيخنا المغفور له بإذن الله الشيخ إبراهيم التوهوني رحمه تعالى.

* إلى والدي طيب الله ثراه، وإلى والدتي الحبيبة التي منّ الله عليّ بدعواتها المباركة أمدّ الله في عمرها.

* إلى رفيقة الدرب زوجتي أم عليّ التي وقفت بجانبي وشجعتني على إكمال دراستي.

* إلى أبنائي نوارة وعليّ ونسيبة، الذي طال بعدي عنهم وقصوري في حقهم.

* إلى إخوتي وأخواتي الأحباء جزاهم الله خيرا على مؤازرتي.

* إلى طلبة القرآن الكريم في الخلوات حفظهم الله، وأخصّ من بينهم طلبة خلوة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

* إلى المرابطين على أرض ليبيا وجرحاها وشهدائها الأبرار.

* إلى كل من أسدى إلى النصح وساعدني ودعمني لمواصلة البحث والدراسة، وأخص من بينهم الأستاذ عبد الكريم الشلماني رحمه الله تعالى، والأخ محمد سعد اشتيوي والذي نحسبه عند الله شهيدا..... أهدي هذا الجهد المتواضع راجيا من الله أن يجعل هذا الجهد لوجهه الكريم، وأن يحقق ما فيه خير الإسلام، وخير المسلمين ، إنه - سبحانه – نعم المولى ونعم النصير .

الشكر و التقدير

أخر لله ساجدا، شكرا وعرفانا، وحمدا وتمجيدا وامتنانا، أن هداني للإسلام وجعله لي نورا ونبراسا، فله كل المحامد بجوارحي وخواطري ولساني.

و يسعني في هذا المقام أن أشكر كل من له فضل علي بعد الله وأبدأ بالشكر والتقدير العظيم للدكتور مختار عمر الشنقيطي، الذي تفضل بقبول الإشراف على رسالتي فأفادني المعلومات التي تتناسب مع البحث وتثريه، والشكر موصول إلى جامعة العلوم الإسلامية الغراء معدن العلم والعلماء، وكلية أصول الدين قسم التفسير وعلومه، والدراسات العليا فيها، والهيئة التدريسية فيها من الأساتذة الكرام، ولا أنسى عظيم الشكر والتقدير للدكتور علي بوجار الله اليوسي الذي كان له الدور الكبير في الالتحاق بالدراسات العليا بالجامعة.

كما أبعث بخالص الشكر والتقدير لكل من دعمني نفسيّا ومعنويّا، أو ساعدني بكتاب أو دعوة في ظهر الغيب.

ولا أنسى أن أقدم شكري وتقدير للدكاترة المناقشين، الدكتور هارون القضاة، والدكتور طالب الصرايرة، وكلي آذان صاغية لتوجيهاتهم التي أبتغي الاستفادة منها في رسالتي على أتم وجه.

قائمة المحتويات

الموضوع **الصفحة**

قرار لجنة المناقشة.....
الإهداء.....ج
الشكر والتقدير.....د
قائمةالمحتويات.....هـ
ملخص الرسالة باللغة العربية.....ط
ملخص الرسالة باللغة الانجليزية.....ي

المقدمة

سبب اختيار الموضوع.....٢
أهداف البحث.....٢
أسباب البحث.....٢
مشكلات الدراسة.....٣
الدراسات السابقة.....٣
منهجية البحث.....٣
خطة البحث.....٤

التمهيد

أولا: تعريف الطهر لغة.....٧
ثانيا: الطهر اصطلاحا.....٨
ثالثا: المصطلحات ذات الصلة في القرآن الكريم.....٩

الفصل الأول الطهر "المعنوي والحسي" وموضوعاته في القرآن الكريم

المبحث الأول: طهارة الثياب.....١٣

أول الأوامر للنبي صلى الله عليه وسلم.....١٣

معنى الطهارة الشامل.....١٦

ثمرات طهارة المسلم الداعية.....١٨

الهدايات

القرآنية الثاني: طهارة البيت الحرام.....١٩ ٢٠

طهارة الروح.....٢٠

طهارة الجسد.....٢١

معنى طهارة البيت الحرام.....٢٢

لمسة بانية.....٢٤

فضائل بيت الله الحرام.....٢٥

فضل تطهير بيوت الله.....٢٦

الهدايات

القرآنية الثالث: طهارة في دفع الصدقات.....٢٩ ٣١

المطلب الأول: صدقة خاصة.....٣١

ما الحكمة في مشروعية صدقة المناجاة المطهرة.....٣٣

الهدايات

القرآنية الثاني: صدقة عامة.....٣٥ ٣٦

مسألة هذه الأموال صدقة فريضة أو نافلة.....٣٩

الهدايات

القرآنية الرابع: أزواج مطهرة، وشراب طهور.....٤٠ ٤٢

المطلب الأول: الأزواج المطهرة.....٤٢

الأول: طهارتهن في الأبدان.....٤٤

الثاني: طهارتهن في الأخلاق.....٤٥

مسألة من هن الأزواج المطهرة..... ٤٦
الأعمال التي جزاؤها الحور العين..... ٤٨
الهدايات
القرآنية الثاني: الشراب الطهور..... ٤٨ ٤٨
الهدايات
القرآنية الخامس: طهارة أهل بدر..... ٥٣ ٥٣
من علامات الصر..... ٥٥
المبحث السادس: طهارة أهل قباء..... ٥٨
فضل المساجد..... ٥٩
صفة أهل قباء..... ٦٠
الطهارة معنوية وحسية..... ٦١
محبة الله..... ٦٣
الهدايات
القرآنية..... ٦٤

الفصل الثاني: الطهر "المعنويّ" وموضوعاته في القرآن الكريم

المبحث الأول: طهارة القرآن الكريم وقارئه..... ٦٦
المطلب الأول: طهارة القرآن الكريم في اللوح المحفوظ..... ٦٦
القول الراجح في المطهرين..... ٦٧
مسألة مس الصحف..... ٦٨
استثناء المالكية..... ٧٠
المطلب الثاني: مكانة وطهارة القرآن عند الله تعالى..... ٧٣
صفة الملائكة السفرة..... ٧٤
المطلب الثالث: طهارة قارئ الصحف..... ٧٦
طهر صلى الله عليه وسلم..... ٧٨
الهدايات القرآنية..... ٨١
الربط بين المواضع الثلاثة..... ٨١

المبحث الثاني: أمهات المؤمنين.....٨٢
المطلب الأول:طهارة أهل البيت.....٨٢
مسألة من هم أهل البيت.....٨٢
معنى طهارة أهل البيت.....٨٤
المطلب الثاني:حجب أمهات المؤمنين طهارة.....٨٥
الطهارة في الحجب.....٨٦
حجب المرأة المسلمة.....٨٨
فضائل الحجب.....٨٩
الهدايات
القرآنية.....٩١
المبحث الثالث: طهارة وابنها عليهما السلام.....٩٢
المطلب الأول:طهارة مريم بنت عمران عليها السلام.....٩٢
الأقوال في الاصطفاء الأول.....٩٤
الاصطفاء الثاني.....٩٥
المطلب الثاني:طهارة عيسى عليه السلام.....٩٦
محبة الله تعالى لرسله عليهم السلام.....٩٧
نزول عيسى عليه السلام.....٩٨
الهدايات القرآنية.....٩٩
المبحث الرابع: طهارة في ترك الفاحشة.....١٠٠
المطلب الأول: نجاسة قوم لوط.....١٠٠
بشاعة جريمة اللواط.....١٠١
حلقة أخرى لوصف قوم لوط.....١٠٣
سبب عوبتهم.....١٠٤
عداوة العصاة للأطهار.....١٠٦
المطلب الثاني:طهر الشهوة في الزواج.....١٠٧
عقوبة اللواط.....١٠٩
أضرار الفواحش على الفرد والمجتمع.....١١٠
الهدايات
القرآنية.....١١٣

المبحث الخامس: عدم طهارة المنافقين واليهود.....١١٥
علاقة المنافقين باليهود.....١١٦

الفصل الثالث: الطهر "الحسيّ" وموضوعاته في القرآن الكريم

المبحث الأول: طهارة ماء السماء.....١٢٠
صفة ماء السماء.....١٢٠
هدي النبي صلى الله عليه وسلم مع الغيث.....١٢٣
قصة الحديقة.....١٢٤
الهدايات
المبحث الثاني: الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر.....١٢٦
طهارة الحث والخبث.....١٢٨
فوائد الاغتسال.....١٢٩
رخصة التيمم.....١٢٩
فضل الوضوء.....١٣١
الهدايات
المبحث الثالث: طهارة العشرة الزوجية.....١٣٣
المطلب الأول: طهر حسن العشرة.....١٣٤
هدي النبي صلى الله عليه وسلم مع أزواجه.....١٣٥
أذى الحيض.....١٣٨
محبة الله للتوابين والمتطهرين.....١٤١
الهدايات
المطلب الثاني: الإسلام شرع ما يطهر الأسر.....١٤٣
الهدايات
الخاتمة.....١٤٧
النتائج.....١٤٨
قائمة المصادر والمراجع.....١٤٩

الملخص

(الطهْر في ضوء القرآن الكريم)

(دراسة موضوعيّة)

إعداد: أحمد علي محمد الكبتي

إشراف الدكتور: مختار عمر الشنقيطي

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ ٢٠١٥/١/١٥.

هذه الرسالة محاولة لإبراز وإبداء اهتمام القرآن الكريم بالطهْر الحسي والمعنوي، وتوصلت في هذه الرسالة أن جميع ما في الإسلام، من عقائد من الخالق سبحانه وأنبيائه، وكتبه، وملائكته، ومن عبادات من وضوء وغسل وصلاة وزكاة وحج و صوم، ودعوة، و من معاملات من زواج وطلاق، وبيع وشراء، وجهاد.

فكلها مبنية علي الطهْر وتدعو إلى تثبيت هذا المبدإ في حياة المسلم ليسعد في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[البقرة:٢٣٢].

Abstract

(**Purity in the light of the Qur'an**)

(**Objective study**)

Prepared by: Ahmed Ali Mohamed Kabti

Supervision: Dr Mukhtar Omar Shanqeeti

This message is an attempt to highlight the sense of purity in the Book of Allah, and purity in the book of God is divided into two types Cleanse moral and Cleanse voluptuous, has dealt with in the first chapter of purity moral, which is often in matters of metaphysics her position when God Almighty such as the purity of the Koran, and the Sacred House and the people of the house, and valued companions, and others are purity of sins and burdens. The second chapter second kind of purity has addressed it a pure sensory, who is usually in matters viewing video, Ktharh water sky and ablution and washing, and pay alms and zakat, this does not mean that everything mentioned in the chapter purity moral does not have a Cleanse sensory but there are those kinds of purity in what types come together moral purity and sensual, like. the purity of the people of Quba

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾. [الأحزاب: ٧١].

أما بعد:

فإن علم التفسير من أشرف العلوم وأجلّها؛ لتعلقها ببيان كلام رب العالمين، والذي لا يكون اتباعه على بصيرة إلا بفهمه ومعرفته فبذلك يحسن العمل ويحصل للبشرية السعادة في الدنيا والآخرة، وقد دعانا ربنا لتدبر كتابه فقال تعالى:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾[ص: ٢٩]. وانطلاقا من التدبر في آيات الذكر الحكيم اخترت هذا الموضوع:

(الطهْر في ضوْء القرآن الكريم دراسَة موضوعيّة)

لتعلقه بكثير من القضايا المعاصرة من الطهارة المعنوية والحسية ولعله يسْهم في فهْم وتقريب الكتاب العزيز إلى قلوب العباد بأسلوب سهل ميسور.

سبب اختيار الموضوع:

لكثرة ورود مصطلح (ط هــ ر) في القرآن الكريم[١]، وتنوّع قضاياه ومواضعه، في آيات تبلغ واحد وثلاثين موضعا، وما لهذا المصطلح من أثر في النفوس عند سماعه، وهو يدل على حسن وسعادة ما يضاف إليه من صفة أو فعل، ويحبّ كل عاقل بأن يوصف بالطهر سواء المعنويّ أو الحسيّ.

وسبب آخر وهو تفعيل هذا المصطلح بين الناس في زمن قلّ فيها معرفة مثل هذه المعاني، وابتعدوا فيها عن الطهْر في كثير من جوانب حياتهم، مما أدى بهم إلى حياة الهم والنكد- إلا من رحم ربك وقليل ما همّ- بل وأكثر من هذا فقد كان تهمة كثير من الصالحين أنهم أناس يتطهرون، أي يتنزهون عن فعل المحرمات، هكذا عندما تنقلب المعايير في المجتمعات، كالذي وقع لإ خراج آل لوط من القرية لأنهم أناس يتطهرون! فأردت أن أعرّف بهذا المصطلح وأنواعه وموضوعاته في كتاب الله تعالى والله أسأل أن يكون بحثا نافعا مباركا.

أهداف البحث:

-١- بيان أهمية المصطلح، ومعرفة موضوعاته في القرآن الكريم.

-٢- الربط بين هذا المصطلح الذي ذكر في القرآن الكريم بواقع الحياة.

-٣- بيان مدى اهتمام القرآن الكريم بالطهْر المعنوي والحسي، وأنه من خصائص الأمة التي تحمل هذا القرآن الكريم.

أسباب الدراسة:

١ -الرغبة الإيمانية المخلصة في التبحر في كتاب الله ودراسة موضوع من موضوعاته دراسة تفسيرية موضوعية.

٢ -افتقار المكتبة الإسلامية إلى دراسة محكمة تتناول الموضوع من زاوية تفسيرية موضوعية.

٣ -بيان رحمة الله للعباد من خلال الطهر وموضوعاته.

٤ -بيان فضل الطهر التي أراده الله لعباده.

-٥- رجاء أن يسهم هذا البحث في إحياء معنى هذا المصطلح في النفوس، بعد أن غاب عن كثير من حياة المسلمين اليوم.

---

(١) محمد فؤاد عبد الباقي، (١٣٦٤هــ)، بدون سنة طبع، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، باب الطاء، مادة (ط هــ ر)، مطبعة دار الكتب المصرية، دار الحديث- القاهرة.

مشكلات الدراسة:

-١- التعريف بالمصطلح وموضوعاته، وسبب تناول القرآن الكريم له.

-٢- معرفة أنواع الطهْر المعنوي والحسي، وما هي فوائده وآثاره وكيفية تحقيقهما.

-٣- مدى الترابط بين ألفاظه في القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحرّي في عدة مواقع تعتني بالرسائل الجامعية، مثل مكتبة الجامعة الأردنية قسم الرسائل الجامعية، وقاعدة بيانات أوعية المعلومات القرآنية، وموقع هدى الإسلام جامعة الأزهر للرسائل الجامعية. فلم أجد كتابا أو بحثا أو دراسة جامعية تناولت هذ الموضوع بحد ذاته، وبذلك يكون هذا البحث، بفضل الله أوّل من سبق لدراسة هذا المصطلح دراسة موضوعية.

منهجيّة البحث:

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي، والتحليلي في الدراسة لآيات الطهر في القرآن الكريم وذلك من خلال الخطوات الآتية:

١- تتبع الآيات القرآنية لمصطلح الطهر.

٢- التركيز على جانب التفسير الموضوعي، وربط الموضوعات المتعلقة بالطهر مع بعضها البعض.

٣- ترجمة الأعلام المغمورة التي وردت في الرسالة.

٤- ترجيح ما احتاج إلى ترجيح من مسائل مع بيان الأدلة.

٥- الرجوع إلى المصادر الأصلية، بالإضافة إلى الكتب الحديثة، ومواقع الإنترنت، والتزام الدقة في العزو والتوثيق.

٦- الاستدلال بالأحاديث الشريفة ذات الصلة بالموضوع، والقيام بتخريجها.

٧- بيان معاني الكلمات الغريبة التي وردت في الرسالة.

٩ - توثيق ما ينقل من كلام العلماء، وذلك بعزوه إلى مواضعه في مصنفاتهم إذا وجد أو من الكتب المعتمدة التي تهتم بنقل آثارهم في الاعتقاد.

خطة البحث:

تتكون خطة الرسالة من: تمهيد وثلاث فصول، وخاتمة تتضمن أهم النتائج وفهرس المصادر والمراجع.

المقدمة:

وتشمل: أسباب اختيار البحث، وأهميته، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج الباحث في عمله، ثم خطة البحث.

التمهيد:

أولاً: تعريف الطهر لغة.

ثانياً: تعريف الطهر اصطلاحاً.

ثالثاً: الطهر والمصطلحات ذات الصلة في القرآن الكريم.

تنقسم الدراسة إلى ثلاث فصول فيما يلي:

الفصل الأول: الطهْر "المعنويّ والحسيّ" وموضوعاته في القرآن الكريم.

المبحث الأول: طهارة الثياب.

المبحث الثاني: طهارة البيت الحرام.

المبحث الثالث: طهارة في دفع الصدقات.

المبحث الرابع: طهارة الأزواج والشراب في الجنان.

المبحث الخامس: طهارة أهل بدر.

المبحث السادس: طهارة أهل قباء.

الفصل الثاني: الطهْر "المعنويّ " وموضوعاته في القرآن الكريم.

المبحث الأول: طهارة القرآن وقارئه.

المبحث الثاني: طهارة أمهات المؤمنين.

المبحث الثالث: طهارة مريم وابنها عليهما السلام.

المبحث الرابع: طهارةٌ في ترْك الفاحشة.

المبحث الخامس: عدم طهارة المنافقين واليهود.

الفصل الثاني: الطهْر "الحسيّ" وموضوعاته في القرآن الكريم

المبحث الأول: طهارة ماء السماء.

المبحث الثاني: الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر.

المبحث الثالث: طهارة العشرة الزوجية.

الخاتمة وتتضمن أهم النتائج وفهرس المصادر والمراجع.

التمهيد:

أولاً: تعريف الطهْر لغة.

ثانياً: تعريف الطهْر اصطلاحاً.

ثالثاً: الطهْر والمصطلحات ذات الصلة وأضداده في القرآن الكريم.

أولاً: تعريف الطهر لغة.

الجذر الثلاثي لمادة [طهر] هو: (الطاء، والهاء، والراء).

قال ابن فارس: الطَّاءُ وَالْهَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى نَقَاءٍ وَزَوَالِ دَنَسٍ[١]، وعُرف أيضا بأنه نقيض النجاسة [٢]، ونقيض الحيْض[٣].

ونرى أن عين الكلمة وهي الهاء تُضبطُ بالفتحة، والضمة، والكسرة، والسكون، والشدة. ومع كل حركة تغيرت فيها، فإنها لا تخرج عن أصلها الذي يدل على النقاء، أو زوال الدنس، وفيما يلي نذكر أمثلة تبين لنا ما سبق:

أولا: الفتحة والضمة:

طَهَر: طَهَر الشيء وطَهُر طهارةً فيهما، والاسم الطُهْر، وطَهَّرْتُهُ أنا تَطْهيراً[٤].

ثانيا- الكسر:

طهر تقول وَرَجُلٌ طَهِرُ الخُلُق وطاهرُه، والأنثى طَاهِرَةٌ، وإنه لطاهرُ الثيابِ أي لَيْسَ بذِي دَنَسٍ فِي الأَخْلاق[٥].

ونلحظ أن الكسر يحمل الصفة المشبهة الدالة على الثبوت واللزوم لصاحبها.

ثالثا- السكون:

والطُهْرُ: نقيض الحَيض [٦]، وأنه خلاف الدنس [٧].وفي سكون الهاء فيه معنى المصدرية.

---

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، (١٩٧٩م)، **معجم مقاييس اللغة**، (المحقق: عبد السلام محمد هارون). ط. كتاب الطاء، بَابُ الطَّاءِ وَالْهَاءِ وَمَا يَثْلُثُهُمَا، دار الفكر، دمشق.

(٢) الفيروز آبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، (٢٠٠٥ م)، **القاموس المحيط**، (تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي) ط٨، باب الراء، فصل الطاء، مؤسسة الرسالة للطباعة، والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

(٣) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، (١٩٨٧ م)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، (تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار)، ط٤، باب الراء فصل الطاء، دار العلم للملايين – بيروت.

(٤)المصدر السابق، باب الراء، فصل الطاء.

(٥) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، (١٤١٤هـ) **لسان العرب**، (بدون تحقيق)، ط٣، باب حرف الراء، فصل الطاء المهملة، دار صادر – بيروت.

(٦)الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مصدر سابق، باب الراء فصل الطاء.

(٧) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، مصدر سابق، كتاب الطاء، بَابُ الطَّاءِ وَالْهَاءِ وَمَا يَثْلُثُهُمَا.

رابعا- مضاعفة العين:

وَالتَّطَهُّرُ: التَّنَزُّهُ عَنِ الدَّمِّ وَكُلِّ قَبِيحٍ [١]. والتَّطَهُّرُ: التنزُّه والكَفُّ عَنِ الإثم وَمَا لَا يَجْمُل[٢].

نستخلص من الأقوال السابقة ما يلي:

-١- أنّ أصل مادة (ط هــ ر) واحد يدل على نقاء وزوال دنس، وإن تعددت الصيغ، أو تغير ضبط الألفاظ.

-٢- أنه قد يقصد به الطهارتين المعنوية، والحسية، أوهما معا في الموضع الواحد.

-٣- لا تخرج مادة (ط هــ ر) عن أحد أمرين: إما خلاف الدنس، أو التنزه عن الذم وكل قبيح.

-٤- عين المصطلح مثلثة، وهو حرف الهاء فيجوز فيها، الكسر، والضم، والفتح، والسكون، والتضعيف.

-٥- أن العرب قبل الإسلام كانت تستعمل لفظ الطهارة على المعنويّة، والحسيّة.

ثانياً: الطهر في اصطلاحاً.

يطلق على معنيين:

الأول: أصل، وهو طهارة القلب من الشرك في عبادة الله، والغل والبغضاء لعباد الله المؤمنين، وهي أهم من طهارة البدن؛ بل لا يمكن أن تقوم طهارة البدن مع وجود نجس الشرك، قال تعالى:﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٌ﴾[التوبة: ٢٨]، وقال النبي (ﷺ): «إن المؤمن لا ينجس»[٣].

والثاني: فرع، وهي الطهارة الحسية، وهي: ارتفاع الحدث أي زواله.وما في معناه، وزوال الخبث. فالطهارة (الحسية) تنقسم إلى قسمين: طهارة من الحدث، وطهارة من النجس، أي: حكمية وحقيقية[٤].

---

[١] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، كتاب الطاء، [بَابُ الطَّاءِ وَالْهَاءِ وَمَا يَثْلُثُهُمَا] ج٣، ص٤٢٨.

[٢] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، باب حرف الراء، فصل الطاء المهملة، ج٤، ص٥٠٦.

[٣] البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، (١٤٢٢ه)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، (تحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر)، ط١، كتاب الغسل، باب: الجنب يخرج ويمشي في السوق، رقم٢٨٥،ج١، ص٦٥، دار طوق النجاة .

[٤] جامع السنن والأسانيد، ج ٢٢، ص٢٩٨.

ثالثاً: المصطلحات ذات الصلة في القرآن الكريم.

أولا: ذُكر في القرآن الكريم أربع مصطلحات لها صلة بمصطلح [طهر]؛ وهي ما يلي:

-١- القدس: وما يتصرف عنه.

-٢- زكى: ومايتصرف عنها.

-٣- القرء: ولم يذكر إلاّ مرّة واحدة في القرآن الكريم.

-٤- غسل: وما يتصرف عنه.

ثانيا: ضدٌّ لفظ الطهر.

-١- الرجْس.

-٢- النجس.

-١- **(القدس)**: ولها معنيان قريبَا الصلة جدًّا لمصطلح [ط ه ر] وهما: التنزيه، والطهْر.

قال ابن فارس: (قدس) الْقَافُ وَالدَّالُ وَالسِّينُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، وَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَلَامِ الشَّرْعِيِّ الْإِسْلَامِيِّ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى الطُّهْرِ. وَمِنْ ذَلِكَ الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ هِيَ الْمُطَهَّرَةُ. وَتُسَمَّى الْجَنَّةُ حَظِيرَةَ الْقُدْسِ، أي الطُّهْرِ. وَجَبْرَئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رُوحُ الْقُدُسِ. وَكُلُّ ذَلِكَ مَعْنَاهُ وَاحِدٌ. وَفِي صِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى: الْقُدُّوسُ، وَهُوَ ذَلِكَ الْمَعْنَى، لِأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْأَضْدَادِ وَالْأَنْدَادِ، وَالصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا [١].

وعليه فإن مصطلح القدس في القرآن الكريم لا يخرج عن معنيين وهما:

أ- بمعنى التنْزيه: نقدّس، القدّوس.

ب- بمعنى الطهْر:

المقدّس: الوادي المطهّر.

المقدّسة: الأرض المطهّرة.

---

[١] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، مصدر سابق، كتاب القاف، [بَابُ الْقَافِ وَالدَّال وَمَا يَثْلُثُهُمَا]، ج٥، ص٦٣.

-٢- **(زكى)**:

قال ابن فارس: (زَكَى) الزَّاءُ وَالْكَافُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى نَمَاءٍ وَزِيَادَةٍ. وَيُقَالُ الطَّهَارَةُ زَكَاةُ الْمَالِ. قَالَ بَعْضُهُمْ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا مِمَّا يُرْجَى بِهِ زَكَاءُ الْمَالِ، وَهُوَ زِيَادَتُهُ وَنَمَاؤُهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: سُمِّيَتْ زَكَاةً لِأَنَّهَا طَهَارَةٌ. قَالُوا: وَحُجَّةُ ذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ:﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣]. وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ رَاجِعٌ إِلَى هَذَيْنِ الْمَعْنَيَيْنِ، وَهُمَا النَّمَاءُ وَالطَّهَارَةُ. وَمِنَ النَّمَاءِ: زَرْعٌ زَاكٍ، بَيِّنُ الزَّكَاءِ. وَيُقَالُ هُوَ أَمْرٌ لَا يَزْكُو بِقُلَانٍ، أَيْ لَا يَلِيقُ بِهِ[١].

بعد البحث في القرآن الكريم، على مادة [زك و] والاطّلاع على معناها، وجدناها قريبة جداً، من مادة [ط ه ر].

-٣- **(القُرْء)**: مفردة قروء وهي حيْض، أو طهْر، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾. [البقرة: ٢٢٨].

وهي من ألفاظ الأضداد حيث تطلق على الطهر وعلى الحيض.

قال الراغب: والقُرْءُ في الحقيقة: اسم للدّخول في الحيْض عن طهْر. ولمّا كان اسما جامعا للأمرين الطّهْر والحيْض المتعقّب له أطلق على كلّ واحد منهما، لأنّ كلّ اسم موضوع لمعنيين معا يطلق على كلّ واحد منهما إذا انفرد، كالمائدة: للخوان وللطّعام، ثم قد يسمّى كلّ واحد منهما بانفراده به[٢].

-٤- **(غسل)**: قال ابن فارس: الْغَيْنُ وَالسِّينُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَطْهِيرِ الشَّيْءِ وَتَنْقِيَتِهِ. يُقَالُ: غَسَلْتُ الشَّيْءَ غَسْلاً. [٣].

---

[١] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، مصدر سابق، باب الزاي، [بَابُ الزَّاءِ وَالْكَافِ وَمَا يَثْلُثُهُمَا]، ج٣، ص١٨.

[٢] الأصفهاني، **مفردات غريب القرآن**، مصدر سابق، ج١، ص٦٦٨.

والخوان: الذي يؤكل عليه، ابن منظور، **لسان العرب**، مصدر سابق، ج١٣، ص١٤٦.

[٣] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، مصدر سابق، ج٤، ص٤٢٤. بتصرف. والخِطْمِيُّ والخَطْمِيُّ: ضَرْبٌ مِنَ النَّبَاتِ يُغْسَلُ بِهِ. . **لسان العرب**، مصدر سابق، ج١٢، ص١٨٨.

ثانيا: ضدٌّ لفظ الطهر.

-١- الرّجْس:

قال ابن منظور: رجْسٌ: نِجْسٌ، ورَجِسٌ: نَجِسٌ؛ قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ[١]: وأحسبهم قد قالوا رَجَسٌ نَجَسٌ، وَهِيَ الرَّجاسَةُ والنَّجاسَة. الرِّجْسُ: الْقَذِرُ، وَقَدْ يُعَبَّرُ بِهِ عَنِ الْحَرَامِ وَالْفِعْلِ الْقَبِيحِ وَالْعَذَابِ وَاللَّعْنَةِ وَالْكُفْرِ[٢].

-٢- النجس:

قال ابن فارس:(نَجُسَ) النُّونُ وَالْجِيمُ وَالسِّينُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الطَّهَارَةِ. وَشَيْءٌ نَجِسٌ وَنَجَسٌ: قَذِرٌ. وَالنَّجَسُ: الْقَذَرُ[٣].

وكما أن الطهر نوعين معنوي وحسي، فكذلك النَّجاسة: وهي القَذارة، نوعان فيما يلي[٤]:

الأول: نوع يُدْرَك بالحاسّة، أي بالنظر أو بالرائحة.

الثاني: نوع يُدْرَك بالبصيرة، والثاني وصف اللهُ تعالى ذبه المشركين فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾. [التوبة: ٢٨].

---

[١] ابن دُرَيْد: هو محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، من أزد عمان من قحطان، أبو بكر: من أئمة اللغة والأدب. كانوا يقولون: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء. وهو صاحب (المقصورة الدريدية – ط) وله مؤلفات كثيرة . عاش في الفترة ما بين (٢٢٣ – ٣٢١ هـ = ٨٣٨ – ٩٣٣ م).الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين.

[٢] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، حرف السين المهملة، فصل الراء.بتصرف.

[٣] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، مصدر سابق، ج٥، ص٣٩٣، ٣٩٤. .

[٤] الأصفهاني، **مفردات غريب القرآن**، مصدر سابق، ج١، ص٧٩١.

الفصل الأول:

الطهْر "المعنويّ" وموضوعاته في القرآن الكريم

المبحث الثالث: طهارة الثياب.

قال تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤﴾. [المدثر: ٤].

يذكر تعالى في أول سورة المدثر، أوامر لخير الخلق (ﷺ)، وهي أمور التي يجب توفرها فيمن يدعوا إلى الله تعالى، فبعد أن ناداه، وخاطبه بحاله في تلك اللحظات أنه المدثر[١]، قال جمهور المفسرين[٢] وذلك بما ورد من حديث جابر بن عبد الله، قال حدثنا (ﷺ) فقال: "جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر أحدا، ثم نوديت، فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء – يعني جبريل عليه السلام – فقلت: دثروني دثروني"، فصبوا علي ماء، فأنزل الله عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ ﴾[٣]. [المدثر: ٢].

أول الأوامر للنبي صلى الله عليه وسلم:

وبهذه الآيات أصبح النبي (ﷺ) رسولا كما أنه كان نبيا بأول سورة العلق عندما أوحي إليه في غار حراء، وقد أمر النبي(ﷺ) في هذه الآيات، والتي هي أول مانزل في شأن الدعوة إلى الله تعالى كما بينا وفيها ستة أوامر وهي فيما يلي:

أولا: القيام بالإنذار: وهو إنذار المشركين والمنكرين لتوحيد الله تعالى بالعذاب.

ثانيا: تكبير الرب: قال ابن عاشور: "أي كبّره في اعتقادك: وكبّره بقولك تسبيحا"[٤].

ثالثا: طهارة الثياب: تحتمل الطهارة المعنوية والحسية على مايأتي.

---

[١] والدِّثارُ: الثَّوْبُ الَّذِي يُسْتَدْفأُ بِهِ مِنْ فَوْق الشِّعار. يُقالُ: تَدَثَّرَ فلانٌ بالدِّثار تَدَثُّراً وادَّثَرَ ادِّثاراً، فَهُوَ مُدَّثِّرٌ، والأصل مُتَدَثِّر أُدغمت التَّاءُ فِي الدَّال وَشُدِّدَتْ. ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج٤، ص ١٧٦.

[٢] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج٢٣، ص٧، السمرقندي، **بحر العلوم**، مصدر سابق، ج٣، ص٥١٤. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مصدر سابق، ج١٩، ص٦١، الرازي، **التفسير الكبير**، مصدر سابق، ج٣٠، ص٦٩٦.

[٣] البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر**، رقم٤٩٢٢، مصدر سابق، ج٦، ص١٦١، ١٦٢. والواحدي، أسباب نزول القرآن، ج١، ص٤٤٦.

[٤] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد،(١٩٨٤م)، **«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، بدون تحقيق وسنة طبع، ج٢٩،ص٢٦٩، الدار التونسية للنشر – تونس.

رابعا: هجران الرجز، اهجر ما يؤدي إلى عبادة الأوثان وغيرها من المآثم أي الثبات على هجره؛ لأنه كان بريئا من منه[١]

خامسا: عدم المن باستكثار العمل: قال الربيع بن أنس[٢]: لا يكثر عملك في عينك، فإنه فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل[٣].

سادسا: الصبر لربه: وهو الزاد الأصيل في هذه المعركة الشاقة. معركة الدعوة إلى الله[٤].

ونتناول في بحثنا هذا الأمر بطهارة الثياب:

يؤمر (ﷺ) بأمر يُجمع فيه بين أمور كثيرة جداً، معنوية وحسية، وهي لابد منها لمن أراد أن يدعو إلى الله تعالى، وهو الأمر الثالث: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾.

أي طهرها من النجاسات، والأدران الحسية، والمعنوية، وقد جاء في معنى طهارة الثياب وقد ذكر الإمام الطبري عدة أقوال في معنى تطهير الثياب[٥]، وهي فيما يلي:

أحدها: لا تلبسها على معصية، ولا على غدر.

قال برذع بن زيد[٦]: وَإني بِحَمْدِ الله لاَ ثَوْبَ فَاجِرٍ. . . لَبِسْتُ وَلاَ مِنْ غَدْرَةٍ أَتَقَنَّعُ[٧]

روى هذا المعنى عكرمة عن ابن عباس.

---

[١] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، ١٤٠٧هـ، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، غير محقق، ط٣، ج٤، ص٦٤٥. دار الكتاب العربي، بيروت.

[٢] هو: الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني المروزي، بصري. سمع: أنس بن مالك، وأبا العالية الرياحي – وأكثر عنه – والحسن البصري، وكان عالم مرو في زمانه. لقي سفيان الثوري. قال أبو حاتم: صدوق، وقال ابن أبي داود: سجن بمرو ثلاثين سنة. قلت: سجنه أبو مسلم تسعة أعوام، وتحيل ابن المبارك حتى دخل إليه، فسمع منه. يقال: توفي سنة تسع وثلاثين ومائة. حديثه: في السنن الأربعة. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايْماز الذهبي، (١٤٠٥ه-١٩٨٥م)، سير أعلام النبلاء، (تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط)، ط٣، رقم ٧٩، ج٦، ص١٧٠، مؤسسة الرسالة الأردن- عمان.

[٣] الطبري، محمد بن جرير،(١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م)، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط ١،ج٢٣،ص١٥، مؤسسة الرسالة. الأردن- عمان.

[٤] سيد قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي،(١٤١٢هـ)، **في ظلال القرآن**، غير محقق، ط ١٧، ج٦، ص٣٧٥٥ دار الشروق، بيروت.

[٥] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج٢٣، ص١٣.

(٦) هو برذع بن زيد بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر الأنصاريّ الظفريّ، ابن أخي قتادة بن النعمان. قال ابن ماكولا : شاعر. شهد أحدا وما بعدها، العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، (١٤١٥هـ) الإصابة في تمييز الصحابة،(تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض)، ط١، ج١، ص٤١٦.دار الكتب العلمية – بيروت

[٧] المرزباني، الإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م)، **معجم الشعراء** (تصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو)، ط٢، ج١، ص٤٦٨، الناشر: مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

الثاني: لا تكن ثيابُك من مكسب غير طاهر، روي عن ابن عباس أيضاً.

الثالث: طهر نفسك من الذنب، قول مجاهد! وقتادة. ويشهد له قول عنترة:

فَشَكَكْتُ بالرُّمْحِ الأصَمِّ ثِيَابَهُ. . . لَيْسَ الكَرِيمُ عَلَى القَنَا بِمُحرَّمِ[١]

الرابع: وعَمَلَكَ فأصلح، قول الضّحّاك.

الخامس: اغسل ثيابك بالماء، ونقّها، قول ابن سيرين، وابن زيد.

قال الطبري: وهذا القول الذي قاله ابن سيرين وابن زيد في ذلك أظهر معانيه، وهو اغسل ثيابك بالماء، ونقّها،والذي قاله ابن عباس، وعكرمة قول عليه أكثر السلف من أنه عُنِيَ به: جسمك فطهر من الذنوب، والله أعلم بمراده من ذلك[٢].

ونقل ابن الجوزي ثلاثة أقوال أخرى فيما يلي[٣]:

الأول: خُلُقَكَ فَحَسِّنْ، قول الحسن، والقرظي.

الثاني: وَثِيَابَكَ فقصّر وشمّر، قول طاووس.

الثالث: قَلْبَكَ فَطَهِّرْ، قول سعيد بن جبير. ويشهد له قول امرئ القيس:

فإن تك قَدْ سَاءَتْكِ مِني خَلِيقَةٌ. . . فَسُلِّي ثِيابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسُلِ[٤]

أي: قلبي من قلبك.

إذن الجمع بين هذين القولين هو الراجح، طهارة الثوب بالماء، وطهارة الجسم من الذنوب؛ لأنه يحتمل النوعين معاً.

---

[١] الزَّوْزَني، **شرح المعلقات السبع**، مصدر سابق، ج١، ص٢٥٩.
[٢] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج٢٣، ص١٣.
[٣]ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، (١٤٢٢هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، (تحقيق: عبد الرزاق المهدي)، ط١، ج٤، ص٣٥٩،٣٦٠، دار الكتاب العربي – بيروت. بتصرف
[٤] القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، **جمهرة أشعار العرب**، (حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي)، بدون تاريخ طباعة، معلقة امرىء القيس الطويل، ج١، ص١١٣، الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

قال البيضاوي: " وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ من النجاسات فإن التطهير واجب في الصلوات محبوب في غيرها، وذلك بغسلها أو بحفظها عن النجاسة بتقصيرها مخافة جر الذيول فيها، وهو أول ما أمر به مِنْ رفض العادات المذمومة، أو طهر نفسك من الأخلاق الذميمة والأفعال الدنيئة، فيكون أمراً باستكمال القوة العملية بعد أمره باستكمال القوة النظرية والدعاء إليه، أو فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر[١].

قال ابن العربي: ليس بممتنع أن تحمل الآية على عموم المراد فيها بالحقيقة والمجاز، وإذا حملناها على الثياب المعلومة فهي تتناول معنيين:

أحدهما: تقصير الأذيال، فإنها إذا أرسلت تدنست، ولهذا قال عمر بن الخطاب لغلام من الأنصار وقد رأى ذيله مسترخيا: يا غلام، ارفع إزارك، فإنه أتقى وأنقى وأبقى.

الثاني: غسلها من النجاسة، وهو ظاهر منها صحيح فيها[٢].

نقول إذن: طهارة الثياب تحتمل النوعين معاً، طهارة القلب من المعاصي والآثام، وطهارة الثوب من النجاسة، والقاذورات.

معنى الطهارة الشامل:

وطهارة الثياب بمفهومها الواسع الشامل، يدخل فيها كل ما ذكر من أنواع، والذي يهمنا أنه لابد أن تكون هذه الطهارة بأنواعها ظاهرة جلية واضحة فيمن يدعوا إلى الله تعالى، فتكون في قلبه فيطهره من الحسد، والحقد، والبغض، والكبر، والأنانية، والبخل، والشح،. . . وغيرها من أمراض القلوب التي يبتلى بها كثير من الناس. وتكون في جسده فيطهره من النجاسات والقاذورات، ويعمل فيها بخصال الفطرة التي أمرنا بفعلها كما في الحديث الصحيح عن عائشة، قالت: قال رسول الله (ﷺ):"عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء " قال زكريا:

---

[١] البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، (١٤١٨هـ)، **أنوار التأويل وأسرار التنزيل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، ج ٥، ص٢٥٩. بتصرف. الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[٢] ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، **أحكام القرآن** راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ج٤ص٣٤٠بتصرف.

قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة زاد قتيبة[١]. وأول من قام بها إبراهيم عليه السلام، ولما أتمها جعله الله تعالى للناس إماما قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾. [البقرة: ١٢٤].

وتكون الطهارة في ثيابه فيطهرها مما يعلق بها من الأوساخ فضلا عن النجاسات من بول، وغائط وعيرهما التي أمرنا بإزالتها، ويدخل فيها طول الثياب التي تجرُّ في الأرض لما يترتب عليها من حمل النجاسة وقد جاء في قصة قول عمر(ﷺ)السابق للشاب ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك، وكذلك لما فيها من صفة التكبر.

وتكون الطهارة في جميع حواسه، وجوارحه، فلا ينظر إلى الحرام، فيغضُّ بصره، ولا يسمع الحرام فيصون سمعه، ولا يمدُّ يديه إلى الحرام بل يعف نفسه بالحلال، ويطهر يديه من ظلم وأذية المسلمين، ويطهر رجليه من المشي في الأرض متكبرا مرحا ولا إلى أماكن الفساد، والمحرمات بل يسارع بها في الخيرات.

وتكون الطهارة في لسانه فيطهره من الآفات كالكذب، والغيبة، والنميمة، وشهادة الزور، والبهتان، والقذف ومن باب أولى من الشتم، والطعن، واللعن فقد جاء في الحديث قال رسول الله (ﷺ): «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء»[٢].

وتكون الطهارة في معاملاته مع الآخرين فلا يغش، ولا يحتال، ولا يسرق، ولا يغدر، ولا يتجسس.

قال تعالى:﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ٣٨﴾. [الإسراء: ٣٨، ٣٧، ٣٦].

---

[١]القشيري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله(ﷺ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، بدون سنة طبع، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، رقم٢٦١، ج١، ص٢٢٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت..

[٢]الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي أبو عيسى، (١٣٩٥ هـ ١٩٧٥)، سنن الترمذي (تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم= عطوة عوض (جـ ٤، ٥) ط ٢، كتاب أبواب البر والصلة، باب ماجاء في اللعنة، رقم ١٩٧٧، ج٤، ص٣٥٠. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر.

ثمرات طهارة المسلم الداعية:

فإذا اتصف المسلم وخاصّة الداعية بهذه الطهارة، مع الإخلاص، والعلم، والحكمة كان لما يقوله ويدعوا إليه أثره الطيب لمن يدعوهم إلى الإسلام، والالتزام بالدين، وعلى العكس من ذلك إذا كان خبيث القلب، نتن الرائحة، قبيح المنظر، سيئ الخلق، عديم الأمانة فمثل من كان هذا وصفه لا يقبل من كلامه شيئا.

ومن طهارة الداعية المسلم جهرانه للمعاصي وهذا الأمر ينبّه ما يكون عليه الداعية من عدم اقترافه للمعاصي، وارتكابه للمخالفات لما يترتب على رؤية الناس له من عدم قبول دعوته، فيكون قدوة سيئة لا حسنة فيهجروا الناس كلامه ودعوته.

ومن طهارته أيضا إنكار ذاته وعدم المن بما يقدمه من الجهد، أو استكثار هو استعظامه، سيلقى الكثير من الجهد والتضحية والعناء. ولكن ربه يريد منه ألا يظل يستعظم ما يقدمه ويستكثره ويمتن به[١].

وهذا الأمر يجب توفره في الداعية، وهو ألا يكون غرضه، وهدفه من وراء دعوته أن يتكسب المال أو الجاه أو السلطان، وللأسف هذا ما نراه في زماننا من بعض من ينسّبون أنفسهم بأنهم دعاة، أو علماء فتراهم يزايدون على الدعوة بأنهم ألفوا الكتب، وألقوا المحاضرات، والدروس، وأنهم بذلوا جهدهم في تعليم الناس، وأنهم جلوس الساعات الطوال في تحفيظ القرآن الكريم، وغيره من العلوم،. . . وإلخ

فيكثّر عمله في عينه، وفي هذا ما فيه من عدم طهارة نيته، نذكر هؤلاء بقول الربيع بن أنس السابق: لا يكثر عملك في عينك، فإنه فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل.

وصنف آخر لا يقدم عملا صالحا ولو صغيرا إلا بمقابل، وليس لديهم ثقافة العطاء بدون مقابل، بل تأثروا بعالم الماديات التي لا تقيم للإنسان مقدار إلا بحسب ماله، فترى دعاة السوء يتقربون أكثر ممن يدفع لهم أكثر، وهذه من المصائب الجسام التي يظهر فيها من يدعوا إلى الله تعالى، ونذكر هؤلاء بقول عكرمة السابق: لا تعط العطية لتريد أن تأخذ أكثر منها.

وأجدر والأحرى بمن يدعوا إلى الله تعالى أن يكون شعاره شعار الأنبياء والرسل قبله قوله تعالى:﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١١٠ ﴾[الشعراء: ١٠٩].

---

[١] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج٦، ص٣٧٥٥. بتصرف.

وعليه أن يرى توفيق الله له لشرف الدعوة إليه أمر يستحق الشكر والثناء لرب الأرض، والسماء.

إذن: مكانة الطهارة في خلق المسلم الداعية، والمطلوبة منه، طهارة القلب وطهارة الجسد وطهارة الثوب وطهارة اللسان وطهارة المعاملة مع الغير، وطهارة الجوارح والحواس.

ومن الطهارة أن نتكلم هنا عن أمر جامع في مسألة الطهارة حيث جمعت فيه الطهارتان المعنوية والحسية، ألا وهو طهارة الثياب، والذي ذكر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤﴾ [المدثر: ٤]. وسورة المدثر هي من أوائل ما نزل من القرآن الكريم، بل هي السورة التي أمر بها رسول الله (ﷺ) بالتبليغ مع سورة المزمل، فكان أن أمره تعالى بطهارة الثياب التي هي تحتمل طهارة القلب وطهارة الثوب للصلاة.

الهدايات القرآنية:

-١- لأهتمام الدين بطهارة القلب ومن ثم تكون طهارة الجوارح دلالة على مكانة هذه الطهارة عند الله تعالى.

-٢- في تقدم نزول هذه الآية عن غيره من الآيات القرآنية التي تذكر الطهارة، أن طهارة القلب مقدمة على ما سواها من الطهارة.

-٣- في الأمور في هذه الآية ما يكون سببا في نجاح الداعي في دعوته، والتي من بينها الطهارة.

المبحث الثاني: طهارة البيت الحرام:

قد جاء الأمر بتطهير البيت الحرام في موضعين من القرآن الكريم بسياقين مختلفين الأول في سورة البقرة قال تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾[البقرة: ١٢٥]. والثاني في سورة الحج قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾. [الحج: ٢٦].

وفي هاتين الآيين الأولى أمر خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام) وابنه، وفي الثانية أمر الخليل وحده كما هو واضح من سياق الآيتين، ويتضح أيضا من السياق أن آية سورة الحج نزلت قبل آية سورة البقرة كما سيأتي.

وقبل الأمر بتطهير البيت الحرام أمر إبراهيم (عليه السلام) بطهارتين طهارة الروح والجسد أي الطهارة المعنوية و الطهارة الحسية.

طهارة الروح:

وهو التحذير والتنبيه على عدم الإشراك بالله تعالى في قوله: ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾. [الحج:] هي مخاطبة لإبراهيم (عليه السلام) في قول الجمهور[1]، وإن كان الخطاب لخليل الرحمن، فهو خطاب للبشرية من بعده من باب أولى، ويأتي هنا تساؤل وهوأن إبراهيم(عليه السلام) لما لم يشرك بالله فكيف قال: ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾ الجواب: المعنى لا تجعل في العبادة لي شريكا، ولا تشرك بي غرضا آخر في بناء البيت[2]. والشرك فيه نجاسة للروح قال تعالى عن المشركين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ﴾[التوبة: ٢٨]. لذلك كانت دعوة جميع الأنبياء والرسل لأقوامهم هو الدعوة لتوحيد الله وعدم الإشراك به سبحانه؛ لأن في ذلك طهارة لقلوبهم.

---

[1] البغوي، معالم التنزيل، مصدر سابق، ج٣، ص٣٣٤، الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج٣، ص١٥٢، ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج٤، ص١١٧، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج٥، ص٤١٣.

[2] الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي، (١٤٢٠هـ)، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، غير محقق، ط ٣، ج٢٣، ص٢١٩، دار إحياء التراث العربي – بيروت. بتصرف.

والخوف من الوقوع في الشرك والدعاء من تجنبه كان من هدي أنبياء الله تعالى فهذا إبراهيم(عليه السلام) يدعوا الله تعالى أن يجنبه وبنيه من عبادة الأصنام قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥] وهذا نبي الله عيسى(عليه السلام) يحذّر قومه أن من أشرك يدخل النار قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٧]. وقد كان نبينا محمد(صلى الله عليه وسلم) يتعوذ من الشرك ويعلم ذلك لأصحابه وأمته من بعده فقد صح عنه (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: « اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم »[1].

طهارة الجسد:

وهي في الكلمات التي أمر الله بها إبراهيم(عليه السلام) قال تعالى﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٣]. فهي خصال الفطرة على الأرجح، فقد ذكر الإمام الطبري عدة أقوال في معنى "بكلمات" ومما ذكره هذا الخبر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال ابتلاه الله بالطهارة: خمس في الرأس، وخمس في الجسد: أما في الرأس: قص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرّق الرأس. وفي الجسد: تقليم الأظفار، وحلق العانة، والختان، ونتف الإبط، وغسل أثر الغائط والبول بالماء[2].

وبعد أن أتم هذه الخصال والتي هي طهارة في الظاهر، وطهّر بها نفسه استوفى شروط الإمامة في المخبر والمظهر، أمر بتطهير البيت الحرام، ونلحظ هنا أنه لم يؤمر (عليه السلام) بطهارة البيت إلا بعد أن طهر نفسه، وفي هذا قدوة وإسوة حسنة لمن يتصدّر للدعوة بأن يطهّر نفسه أولا.

---

[1] البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م) **الأدب المفرد** (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي)، ط٣، باب فضل الدعاء، رقم٧١٦، ج١، ص٢٥٠، دار البشائر الإسلامية – بيروت.

[2] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج٢، ص٩. قال أحمد شاكر الخبر صحيح الإسناد.

قال ابن عطية: "وبعد أن أتمّ هذه الكلمات جُعلت إماما للناس، يأتمّون بك في هذه الخصال، ويقتدي بك الصالحون"[١]. وقال الإمام الرازي: هذه الآية دالّة على تكليف حصل بعده تشرف[٢].

لما ابتدأ سبحانه بأسّ العبادة ورأسها، وهي التوحيد لله عز وجل، وعدم الإشراك به، ثم عطف عليهما النهي بقوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾. أي عن كل ما لا يليق به من قذر حسيّ ومعنوي من شرك ووثن وطواف عريان به، كما كانت العرب تفعل للطائفين به[٣].

أما عن تطهير البيت الحرام يقول الإمام الرازي عند قوله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾. فيجب أن يراد به التطهير من كل أمر لا يليق بالبيت، من الأنجاس والأقذار، و تطهيره من الشرك وعبادة غير الله[٤]. والآية تحتمل كل هذه المعاني.

معنى طهارة البيت الحرام:

وقد ذكر المفسرون وجوها لهذا التطهير وهي ما يلي:

أولها: أن معنى: طهرا بيتي ابنياه وطهراه من الشرك وأسساه على التقوى، كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ﴾. [التوبة: ١٠٩].

ثانيها: عرفا الناس أن بيتي طهرة لهم متى حجّوه وزاروه وأقاموا به، ومجازه: اجعلاه طاهرا عندهم.

ثالثها: ابنياه ولا تدعا أحدا من أهل الريب والشرك يزاحم الطائفين فيه، بل أقرّاه على طهارته من أهل الكفر والريب، كما يقال: طهّر الله الأرض من فلان،وهذه التأويلات مبنية على أنه لم يكن هناك ما يوجب إيقاع تطهيره من الأوثان والشرك، وهو كقوله:﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾.

فمعلوم أنهن لم يطهّرن من نجس بل خلقن طاهرات، وكذا البيت المأمور بتطهيره خلق طاهرا.

---

[١] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، مصدر سابق، ج١، ص٢٠٦.
[٢] الرازي، **التفسير الكبير**، مصدر سابق، ج٤، ص٤٧.
[٣] البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج١٣، ص٣٦. الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
[٤] الرازي، **التفسير الكبير**، مصدر سابق، ج٤، ص٤٦.

رابعها: معناه نظفا بيتي من الأوثان، والشرك والمعاصي، ليقتدي الناس بكما في ذلك[١].

والمناسب أن يكون هنا تساءل هو أن البيت ما كان معمورا قبل ذلك فكيف قال: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾

الجواب: لعل ذلك المكان كان صحراء وكانوا يرمون إليها الأقذار، فأمر إبراهيم ببناء البيت في ذلك المكان وتطهيره من الأقذار، وكانت معمورة فكانوا قد وضعوا فيها أصناما فأمره الله تعالى بتخريب ذلك البناء ووضع بناء جديد وذلك هو التطهير عن الأوثان، أو يقال المراد أنك بعد أن تبنيه فطهره عما لا ينبغي من الشرك وقول الزور[٢].

والتطّهير: تنزيهه عن كل خبيث معنى كالشرك والفواحش وظلم الناس وبثّ الخصال الذميمة، وحسّا من الأقذار ونحوها، وإضافة البيت إلى ضمير الجلالة تشريف للبيت، أي أعدده طاهرا للطائفين[٣]، وهذه أحوال من يذهب إلى بيت الله الحرام، بحجّ، أو عمرة. إما طائفا بالبيت، أو قائما بالصلاة، أو راكعا، وساجدا، ولم يذكر العكوف؛ لأنه تقدم ذكره فاستغنى عن إعادته.

وقرن الطواف بالصلاة لأنهما لا يشرعان إلا في البيت الحرام، فالطواف عنده والصلاة إليه[٤]، ولم يعطف السجود لأنه من جنس الركوع في الخضوع[٥].

وفي هذا تعريض بأن المشركين ليسوا أهلا لعمارة المسجد الحرام لأنهم لم يطهروه مما يجب تطهيره منه قال تعالى: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾[الأنفال: ٣٤]، ولم يأمر الله تعالى الناس بالحج إلى البيت الحرام إلا بعد تطهيره، فأراد الله تعالى من خليله تطهيره وتهيئته لمن يأتي من الناس للحج، ثم ذكر تعالى أحوالهم فقال تعالى:

---

[١] الرازي، **التفسير الكبير**، مصدر سابق، ج٤، ص٤٧، ٤٦. بتصرف.
[٢] المصدر السابق، ج٢٣، ص٢١٩. بتصرف.
[٣] ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج١٧، ص٢٤٢.
[٤] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، (١٤١٤هـ)، **فتح القدير، ط١**، ج٣، ص٥٣٠. بتصرف. الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت.
[٥] الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، ١٤١٥هـ ، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، (تحقيق: علي عبد الباري عطية)، ط١،ج٩، ص١٣٦، دار الكتب العلمية ، بيروت.

﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥﴾. [البقرة: ١٢٥]. وهذه أصناف المتعبّدين في البيت الحرام من طواف واعتكاف وصلاة، وهم أصناف المتلبسين بتلك الصفات سواء انفردت بعض الطوائف ببعض هذه الصفات أو اجتمعت الصفات في طائفة أو طوائف، وذلك كلّه في الكعبة قبل وضع المسجد الحرام[١].

لمسة بيانية:

قال فاضل السامرائي: " وقد يكون التقديم بحسب الكثرة والقلة فقد يرتب المذكورات متدرجاً من القلة إلى الكثرة حسبما يقتضيه المقام وذلك نحو قوله: ﴿أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥﴾ [البقرة: ١٢٥] فكل طائفة هي أقل من التي بعدها فتدرج من القلة إلى الكثرة. فالطائفون أقل من العاكفين لأن الطواف لا يكون إلا حول الكعبة. والعكوف يكون في المساجد عموماً والعاكفون أقل من الراكعين لأن الركوع أي الصلاة تكون في كل أرض طاهرة أما العكوف فلا يكون إلا في المساجد. والراكعون أقل من الساجدين وذلك لأن لكل ركعة سجدتين ثم إن كل راكع لا بد أن يسجد وقد يكون سجود ليس فيه ركوع كسجود التلاوة وسجود الشكر فهو هنا تدرج من القلة إلى الكثرة. ولهذا التدرج سبب اقتضاه المقام فإن الكلام على بيت الله الحرام. قال تعالى﴿وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥﴾[البقرة، ١٢٥] فالطائفون هم ألصق المذكورين بالبيت لأنهم يطوفون حوله، فبدأ بهم ثم تدرج إلى العاكفين في هذا البيت أو في بيوت الله عموماً ثم الركع السجود الذين يتوجهون إلى هذا البيت في ركوعهم وسجودهم في كل الأرض[٢].

ولما طهر إبراهيم(عليه السلام) البيت الحرام أمر أن يؤذن للناس بالحج. عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قال: رب قد فرغت. فقال: «أذن في الناس بالحج». قال: رب وما يبلغ صوتي؟ قال: «أذن وعلي البلاغ». قال: رب كيف أقول؟ قال: " قل: يا أيها

---

[١] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مصدر سابق، ج١، ص٧١٢. بتصرف

[٢] السامرائي، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، **لمسات بيانية** أعده للشاملة: أبو عبد المعز، ج١، ص٤٨٥.

الناس، كتب عليكم الحج، حج البيت العتيق فسمعه من بين السماء والأرض ألا ترى أنهم يجيئون من أقصى الأرض يلبون؟ [١].

وفي هذا أن على الدعاة إلى الله تعالى أن يبلغوا دعوتهم للناس كافة، وأن الهداية من الله لعباده.

وبذلك أضحى البيت الحرام مطهرة لحجاجه، والطهارة المكتسبة من حجّه هي مغفرة الذنوب كلها التي فيها طهارة القلب والجوارح، قال (ﷺ): « من حجّ فلم يرفث ولم يفسق، رجع كهيئته يوم ولدته أمّه»[٢].

فضائل بيت الله الحرام:

وقد ورد في فضائل البيت الحرام مكة المكرمة، عدة أحاديث نذكر منها، عن أبي ذرّ(ﷺ) قال: « قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول؟ قال: المسجد الحرام، قلت ثم أي؟ قال: ثم المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال (ﷺ): أربعون، ثم قال: حيثما أدركتك الصلاة فصل والأرض لك مسجد»[٣].

عن جابر(ﷺ)، قال: قال(ﷺ): " صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة "[٤].

وبعد ذكر تطهير البيت الحرام من الشرك، والأقذار. أمر خليله بأن يؤذن للناس بالحج، لأن من مكانة هذا الدين، أن شعائره لا تقام إلا بالطاهرة مثل الصلاة التي هي أعظم شعائر الدين لا تصح إلا بطهارة الحدث، وهو الوضوء والغسل، والخبث وهو طهارة البدن والثوب والمكان، وكذلك عند تلاوة القرآن، والطواف بالحج لبيت الله الحرام.

---

[١] ابن البيع، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، (١٤١١ه، ١٩٩٠م)، **المستدرك على الصحيحين، (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا)**، ط١، كتاب التفسير، تفسير سورة الحج، رقم٣٤٦٤ ج٢، ص٤٢١، وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، دار الكتب العلمية – بيروت.

[٢]أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، (١٤١٦ هـ،١٩٩٥ م)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**(تحقيق: أحمد محمد شاكر)، ط١، مسند أبي هريرة، رقم٧١٣٧، ج٦، ص٥٣٩ الناشر: دار الحديث – القاهرة.

[٣] البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب} الراجع المنيب، رقم٣٤٢٥، ج٤، ص١٦٢.

[٤] الإمام أحمد، المسند، مصدر سابق، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله(ﷺ)، رقم١٤٦٩٤، ج٢٣، ص٤٦. وقال إسناده صحيح.

وللتأكيد على أمر التوحيد لله تعالى، ونبذ الشرك يذكر تعالى صورة معبرة لمن يشرك به في وسط هذا المقطع الذي يتحدث عن شعائر الحج فقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١]، إنه مشهد الهويّ من شاهق ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، وفي مثل لمح البصر يتمزق ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ ﴾، أو تقذف به الريح بعيدا عن الأنظار: ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ في هوة ليس لها قرار! والملحوظ هو سرعة الحركة مع عنفها وتعاقب خطواتها في اللفظ «بالفاء» وفي المنظر بسرعة الاختفاء، على طريقة القرآن الكريم في التعبير بالتصوير. وهي صورة صادقة لحال من يشرك بالله، فيهوي من أفق الإيمان السامق إلى حيث الفناء والانطواء. إذ يفقد القاعدة الثابتة التي يطمئن إليها. قاعدة التوحيد. ويفقد المستقر الآمن الذي يثوب إليه فتتخطفه الأهواء تخطف الجوارح، وتتقاذفه الأوهام تقاذف الرياح. وهو لا يمسك بالعروة الوثقى ولا يستقر على القاعدة الثابتة، التي تربطه بهذا الوجود الذي يعيش فيه[١].

فضل تطهير بيوت الله:

كان تعظيم بيوت الله بالخدمة مشروعا في الأمم الماضية، ويتنافسون لنيل شرف الخدمة لبيوت الله، فهذا إبراهيم خليل الرحمن وابنه إسماعيل عليهما السلام، يأمرهم رب العالمين بتطهير البيت الحرام وكان ذلك تشريفا لهما وزيادة في فضلهما عليهما السلام، وكذلك قد حكى الله عن أم مريم عليها السلام أنها لما حملت نذرت لله تعالى أن يكون ما في بطنها محررا، يعنى عتيقا يخدم المسجد الأقصى ولا يكون لأحد عليه سبيل، ولولا أن خدمة المساجد مما يتقرب به إلى الله لما نذرت به، وهذا معنى قول ابن عباس: " نذرت لك ما في بطني يعني محررا للمسجد يخدمها "[٢]. وفى لفظ " يخدمه وساق البخاري حديثا عن أبى هريرة رضي الله عنه أن امرأة أو رجلا كانت تقم المسجد ولا أراه إلا امرأة، فذكر حديث النبي(ﷺ) أنه صلى على قبره [٣].

---

[١] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج٤، ص٢٤٢٢، ٢٤٢١.
[٢] البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر**، كتاب الصلاة، باب الخدمة للمسجد، ج١، ص٩٩.
[٣] المصدر السابق، كتاب الصلاة، باب الخدمة للمسجد، رقم٤٦٠، ج١، ص٩٩ . تقم: أي تكنسه،

فينبغي علينا تجاه بيوت الله أن نصونها من الأوساخ والقاذورات، وأن نتعهدها بالحفظ والرعاية وأن نميط عنها ما يدنسها من أقذية، وأدناس ولو يسيرة، وأن نبتعد عن الوسائل الذي تزيدها أذى، وأن نوصد كل باب يلج منه ما يشير بعدم احترامها ويوحي بالاستخفاف بها وإهمالها.

وهذا الحبيب المصطفى معلمنا وقدوتنا (ﷺ) في حديث أنس بن مالك(رضي الله عنه) أنه قال: «جاء أعرابي فبال في طائفة المسجد فزجره الناس فنهاهم النبي (ﷺ) فلما قضى بوله أمر النبي (ﷺ) بذنوب من ماء فأهريق عليه»[١] فلما نهاهم الرسول الرفيق بأمته عن زجره؟ خوفا من أن ينذعر فيعدو جريا فيلوث بقعا أكثر من المسجد ويلوث ثيابه فتحصل مفاسد أشد.

ومما يستحب استحبابا متأكدا كنس المساجد وتنظيفها حديث أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها قالت: أمر رسول الله(ﷺ) ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب[٢]

وعن أنس (رضي الله عنه) قال: « قال رسول الله(ﷺ): " عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها». رواه أبو داود (٥). وفي هذا حض وترغيب في تنظيف المساجد من كل ما يطرأ عليها من الأوضار

والأدناس حتى الكناسات القليلة، والقمامات الضئيلة في إزالتها أجور تكتب وتعرض على النبي الهادي الأمين (ﷺ)، فإذا كان هذا في الأشياء الضئيلة الخفيفة ففي الكبيرة أوفر أجرا وأعظم مثوبة.

ومما يكون داخلا في طهارة المساجد عدم الإتيان إليها بالروائح الكريهة، فقد صرح (ﷺ) بنهي من أكل ثُوما أو بصلا مما له رائحة كريهة عن قربان كل مسجد. " فعن جابر رضي الله عنه أن النبي(ﷺ) قال: «من أكل الثوم والبصل والكرات فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى بنو آدم»[٣]. متفق عليه ويلحق بها كل ما له رائحة كريهة من المأكولات وغيرها كالفجل لمن كان يتجشأ، ومن به جروح معفنة، أو يتعاطى شرب الدخان، أو كان قذر الثياب منتن

---

[١] المصدر السابق، البخاري في صحيحه في كتاب الوضوء: باب يهريق الماء على البول ١ / ٦٢
[٢] الترمذي، سنن الترمذي، مصدر سابق، كتاب السفر، باب ما ذكر في تطييب المساجد، رقم٥٩٤، ج٢، ص٤٨٩.
[٣] البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر، مصدر سابق، بدون رقم، ج١، ص١٧٠.

الرائحة؛ لأنه يؤذي إخوانه المسلمين بما يصدر منه من روائح مستقذرة ومسترذلة، ولهذا سن الاغتسال ولبس أحسن الثياب والتطيب للجمعة والعيد والإحرام.

فينبغي لكل مسلم ألا يدخل المسجد إلا وهو طيب الرائحة منظف نفسه وثيابه عن كل ما من شأنه يزكم نفوس المصلين ويؤذيهم ما ينبعث منه من روائح قذرة منتنة تصدر عمن أكل طعاما منهيا عنه كالثوم والكرات والبصل، أو تنم عن عدم شعور المسلم وعدم مبالاته بما يقلق إخوانه المصلين مما يزعجهم ويذهب عنهم الخشوع والارتياح في الصلاة، أو ينتج عنه سب هذا الرجل والوقوع في عرضه لإهماله النظافة في ملبسه وبدنه مما قد يتولد عنه أمراض قد تكون مزمنة، كرائحة الدخان وما شابهه لأنه مضر لشاربه وشامه طبيا، ولا يعذر في هذا أحد يستطيع التخلص من الروائح المستكرهة حتى العامل الذي يمارس عملا شاقا يتقاطر منه العرق بكثرة يلزمه التنظف وإزالة ما يعلق بجسمه وثيابه من أدران وقاذورات، ولا سيما عند حضوره للصلاة في المسجد ينبغي أن يكون نزيها طاهرا، نقي الثياب، طيب الرائحة، حتى لا يتضايق منه المصلون ويتأذى منه الملائكة وسواء في ذلك من يصلي ويطوف في الحرم المكي أو يصلي في غيره من المساجد.

إذن من صور الطهارة في ديننا الحنيف هو طهارة بيت الله الحرام بمكة المكرمة زادها الله شرفا وعزّة ورفعة، هذا البيت الذي تهوي إليه أفئدة الناس شوقا إلى زيارته والطواف به، طهّره الله تعالى لعباده المؤمنين الطائفين والعاكفين والركع السجود، ليكون طهْرة لهم مما اقترفته أيديهم من الذنوب والآثام، وكان ثواب من حجّه كما في حديث أبي هريرة(ﷺ)، قال: سمعت النبي (ﷺ) يقول: «من حج لله فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه»[1]، وعنه أيضا أنه قال: قال رسول الله(ﷺ): " الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، والعمرتان أو العمرة إلى العمرة يكفر ما بينهما "[2] والحج المبرر ليس له جزاء إلا الجنة. هذا البيت الحرام الطاهر المطهر أمر الله تعالى خليه إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام أن يطهراه من الآثام والنجاسات والمحرمات.

---

[1] البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، رقم١٥٢١، ج٢، ص١٣٣.

[2] الإمام أحمد، **المسند**، مصدر سابق، مسند العشرة المبشرون بالجنة، مسند أبو هريرة، رقم٧٣٥٣، ج١٢، ص ٣٠٩.

وقد جاء هذا الأمر بتطهير البيت الحرام في سورتي البقرة والحج، أما سورة البقرة مدنية، وسورة الحج فهي مدنية على الراجح، وكان الأمر في آيات سورة البقرة لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، بتطهير البيت الحرام، وأما في سورة الحج فكان الأمر فيها لإبراهيم عليه السلام، ولعل هذا ما يدل أن آية الحج نزلت قبل آية البقرة، لأن إسماعيل لم يبلغ سنّ الخطاب بالتكليف بينما في سورة البقرة بلغه التكليف فخوطب بالتطهير مع والده عليهما السلام.

فالله سبحانه برحمته بعباده طهّر لهم هذا البيت ليطهرهم ويرفع درجاتهم، ومن مكانة هذا البيت الحرام أن أضافه الله له فقال بيتي، وأمر اثنين من أنبيائه بتطهيره، وهو قبلة المسلمين في صلاتهم، فكان على المسلمين لزاما أن لا يحرموا أنفسهم من زيارته وقد هيأه الله تعالى لهم ليطهرهم ويغفر ذنوبهم، فيس لأحد بحال من الأحوال إن استطاع الذهاب إليه أن يجافيه ويهجره و يذهب إلى غيره من البلدان.

فبيت النظر إليه عبادة والدعاء عنده مستجاب، وأهل عرفة يباهي الله تعالى به ملائكته وهم مغفور لهم، على ما كان منهم إذا تابوا وأنابوا إلى ربهم ومولاهم، فعلى المسلمين أن يتابع زيارة هذا البيت الحرام المطهّر المبارك، ففي تتابع زيارته نفي للفقر والنفاق كما في حديث، عن عمر(ﷺ)، عن النبي(ﷺ) قال: "تابعوا بين الحج والعمرة، فإن المتابعة بينهما تنفي الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد"[1].

الهدايات القرآنية:

-١- لم يأمر الله تعالى خليله بطهارة البيت الحرام إلا بعد أن طهر باطنه وظاهره.

-٢- إن آية سورة الحج مقدّمة على آية سورة البقرة لما يلي:

كما قدمنا أن الخطاب كان لإبراهيم وحده ثم لما ولد إسماعيل وكبر خوطبا معا فكان بنا البيت.

-أ- التحدث عن كيفية البناء من رفع للقواعد والدعاء أثناء البناء كان في سورة البقرة بينما كان في سورة الحج معرفة مكانه فقط.

-ب- في لفظ بوأنا وعهدنا فالأول بمعنى بينا وأظهرنا، وفي الثاني أمرنا واتفقنا، وهذا ما هو معروف الآن في أعمال البناء، فأول ما يبتدؤ إرادة البناء أن يعرف مكانه ثم يحدد معالمه

---

[1] ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩ م)، **سنن ابن ماجه**، (تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمَّد كامل قره بللي، عَبد اللّطيف حرز الله)، ط١،، أبواب المناسك، باب فضل الحج والعمرة، رقم ٢٨٨٧، ج٤، ص١٣٦. صحيح الإسناد. دار الرسالة العالمية، الأردن، عمان.

وأبعاده ثم يتعهد ببنائه.

-ج- أن في سورة الحج أمره قبل تطهير البيت بعدم الإشراك، وهي طهارة معنوية، بينما في سورة البقرة أمره قبل تطهير البيت بخصال الفطرة وهي طهارة حسية، فلما اجتمعا فيه عليه السلام الطهارتان جعله الله للناس إماما ثم أمره بتطهير البيت وبنائه، وفي هذه الهداية إشارة أن على من أراد أن يطهر غيره عليه أن يبدأ بنفسه أولا.

المبحث الثالث: طهارة في دفع الصدقات:

المطلب الأول: صدقة خاصة:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢﴾. [المجادلة: ١٢].

والأظهر أن هذه الصدقة شرعت بعد الزكاة فتكون لحكمة إغناء الفقراء يوما فيوما لأن الزكاة تدفع في رؤوس السنين وفي معين الفصول، فلعل ما يصل إلى الفقراء منها يستنفدونه قبل حلول وقت الزكاة القابلة[١].

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُ ﴾،[المجادلة: ١٢].

فإن في تقديم الصدقات بين يدي مناجاة النبي(ﷺ)هو خَيْرٌ لَكُمْ لما فيه من الثواب وَأَطْهَرُ وأزكى لأنفسكم لما فيه من تعويدها على عدم الاكتراث بالمال وإضعاف علاقة حبه المدنس لها، وفيه إشارة إلى أن في ذلك إعداد النفس لمزيد الاستفاضة من رسول الله (ﷺ) عند المناجاة[٢].

مقاتل بن حيان: نزلت الآية في الأغنياء، وذلك أنهم كانوا يأتون النبي(ﷺ) فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره رسول الله(ﷺ) ذلك من طول جلوسهم ومناجاتهم، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية، وأمر بالصدقة عند المناجاة، فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئا، وأما أهل الميسرة فبخلوا واشتد ذلك على أصحاب النبي(ﷺ) فنزلت الرخصة.

وقال علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ ﴾ كان لي دينار فبعته بدراهم، وكنت إذا ناجيت الرسول تصدقت بدرهم حتى نفد، فنسخت بالآية الأخرى: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ ﴾ [المجادلة:١٣] الآية[٧٠].

---

[١] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، مصدر سابق، ج٢٨، ص٤٣.
[٢] الألوسي، **روح المعاني**، مصدر سابق، ج١٤، ص٢٢٥. بتصرف.
[٢] الواحدي، أسباب نزول القرآن، ج١، ص٤١٢.

وقد اختلف في سببها نزولها على ثلاثة أقاويل:

الأول: أن المنافقين كانوا يناجون النبي (ﷺ) بما لا حاجة لهم به، فأمرهم الله بالصدقة عند النجوى ليقطعهم عن النجوى.

الثاني: أنه كان قوم من المسلمين يستخلون بالنبي (ﷺ) ويناجونه فظن بهم قوم من المسلمين أنهم ينتقصونهم في النجوى، فشق عليهم ذلك، فأمرهم الله تعالى بالصدقة عند النجوى ليقطعهم عن استخلائهم.

الثالث: أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله (ﷺ) حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيّه، فلما قال ذلك كفّ كثير من الناس عن المسألة[١].

يقول ابن عاشور: وهذه الأقوال في سبب نزولها متخالفة، ولا أحسبهم يريدون منها إلا حكاية أحوال للنجوى كانت شائعة، فلما نزل حكم صدقة النجوى أقل الناس من النجوى[٢]. قال ابن عمر: كان لعليّ بن أبي طالب ثلاث لو كان لي واحدة منهن كانت أحبّ إليّ من حمر النعم: تزويجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى[٣].

قال ابن عطية والأكثر في الروايات: أنه عليه السلام تفرد بالتصدق قبل مناجاته، ثم ورد النسخ، وإن كان قد روي أيضا أن أفاضل الصحابة وجدوا الوقت وما فعلوا ذلك، وإن ثبت أنه اختص بذلك فلأن الوقت لم يتسع لهذا الغرض، وإلا فلا شبهة أن أكابر الصحابة لا يقعدون عن مثله، وأقول على تقدير أن أفاضل الصحابة وجدوا الوقت وما فعلوا ذلك، فهذا لا يجرّ إليهم طعنا، والإقدام على هذا العمل مما يضيق قلب الفقير، فإنه لا يقدر على مثله فيضيق قلبه، ويوحش قلب الغني فإنه لما لم يفعل الغني ذلك وفعله غيره صار ذلك الفعل سببا للطعن فيمن لم يفعل، فهذا الفعل لما كان سببا لحزن الفقراء ووحشة الأغنياء، لم يكن في تركه كبير مضرّة، لأن الذي يكون سببا للألفة أولى مما يكون سببا للوحشة، وأيضا فهذه المناجاة ليست من الواجبات ولا من الطاعات المندوبة، بل قد بينا أنهم إنما كلفوا بهذه الصدقة ليتركوا هذه

---

[١] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، دون سنة، **تفسير الماوردي = النكت والعيون**، (تحقيق: السيد قطب ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم)، ط، ج ٥، ص ٤٩٣، دار الكتب العلمية.

[٢] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مصدر سابق، ج٢٨، ص٤٢.

[٣] الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، ١٤٢٢، هـ ٢٠٠٢ م، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن** (تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور) مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط١، ج٩، ص٢٦٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

المناجاة، ولما كان الأولى بهذه المناجاة أن تكون متروكة لم يكن تركها سببا للطعن[١]. وقد ورد في مدة بقاء هذه الصدقة قولان وهما: قال مقاتل: بقي هذا الحكم عشرة أيام، وقال قتادة: بقي ساعة من نهار[٢].

والذي يظهر من سياق الآيات أنها لم تطل المدة في نسخها بل كانت قليلة، وهو القول الثاني وفي سرعة نسخ الحكم لفت نظر المؤمنين إلى هيْبة ومكانة النبي (ﷺ)، وأهمية الوقت عنده(ﷺ) فيحترموا وقته ولا يشغلونه بما لا فائدة من ورائه.

ما الحكمة في مشروعية صدقة المناجاة المطهّرة؟

وهذا التكليف يشتمل على أنواع من الحكم ما يلي:

أولها: إعظام الرسول(ﷺ) وإعظام مناجاته فإن الإنسان إذا وجد الشيء مع المشقة استعظمه، وإن وجده بالسهولة، استحقره.

ثانيها: نفع كثير من الفقراء بتلك الصدقة المقدمة قبل المناجاة.

ثالثها: قال ابن عباس: إنَّ المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله (ﷺ) حتى شقوا عليه، وأراد الله أن يخفف عن نبيه، فلما نزلت هذه الآية شح كثير من الناس فكفوا عن المسألة، كما سبق.

رابعها: يحتمل أنْ يكون المراد منه التخفيف عليه، لأنَّ أرباب الحاجات كانوا يلحّون على الرسول(ﷺ)، ويشغلون أوقاته التي هي مقسومة على الإبلاغ إلى الأمة وعلى العبادة.

خامسها: أنه يتميز به محبّ الآخرة عن محبّ الدنيا، فإن المال محك الدواعي[٣].

والأظهر أن هذه الصدقة شرعت بعد الزكاة فتكون لحكمة إغناء الفقراء يوما فيوما لأن الزكاة تدفع في رؤوس السنين وفي معين الفصول، فلعل ما يصل إلى الفقراء منها يستنفدونه قبل حلول وقت الزكاة القابلة[٤].

وكذلك مع ما فيه من مضاعفة الأجر والثواب، القيام بحق الإخاء، بالعود على ذوي بالمسكنة بالمواساة والإغناء وَأَطْهَرُ أي لأنفسكم من رزيلة البخل والشح، ومن حب المال وإيثاره

---

[١] الرازي، **التفسير الكبير**، مصدر سابق، ج٢٩، ص٤٩٥.
[٢] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، مصدر سابق، ج٥، ص٢٨٠.
[٣] الرازي، **مفاتيح الغيب**، مصدر سابق، ج٢٩، ص٤٩٥. بتصرف.
[٤] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، مصدر سابق، ج٢٨، ص٤٣.

الذي قد يكون من شعار المنافقين، وكأن الأمر بالتصديق المذكور نزل ليتميز المؤمن من المنافق، فإن المؤمن تسخو نفسه بالإيمان كيفما كان، والثاني يغصّ به، ولو في أضرّ الأوقات. ومعظم أوامر السورة هو التصدق، حثًا للباخلين، وسوقا للمؤمنين[١]. ويدخل أيضا في معنى أطهر في هذه الآية الكريمة أنهم: بذلك يكثر خيركم وأجركم، وتحصل لكم الطهارة من الأدناس، التي من جملتها ترك احترام الرسول(ﷺ) والأدب معه بكثرة المناجاة التي لا ثمرة تحتها، فإنه إذا أمر بالصدقة بين يدي مناجاته صار هذا ميزانا لمن كان حريصا على الخير والعلم، فلا يبالي بالصدقة، ومن لم يكن له حرص ولا رغبة في الخير، وإنما مقصوده مجرد كثرة الكلام، فينكف بذلك عن الذي يشق على الرسول، هذا في الواجد للصدقة، وأما الذي لا يجد الصدقة، فإن الله لم يضيق عليه الأمر، بل عفا عنه وسامحه، وأباح له المناجاة بدون تقديم صدقة لا يقدر عليها. ثم لما رأى تبارك وتعالى شفقة المؤمنين، ومشقة الصدقات عليهم عند كل مناجاة، سهّل الأمر عليهم، ولم يؤاخذهم بترك الصدقة بين يدي المناجاة، وبقي التعظيم للرسول(ﷺ) والاحترام بحاله لم ينسخ، لأن هذا الحكم من باب المشروع لغيره، ليس مقصودا لنفسه، وإنما المقصود هو الأدب مع الرسول(ﷺ) والإكرام له[٢].

وكأن الخطاب للصحابة الكرام أن هذا الفعل الذي تفعلونه بتقديم الصدقة قبل مناجاتكم الرسول هو خير لكم، وأطهر، حيث يرضى الله سبحانه وتعالى عنكم، ويطهركم من ذنوبكم، فيكون لقاؤكم للرسول(ﷺ) على صفاء نفس، وشفافية روح، فتصيبون كثيرا من الخير الذي بين يديه[٣].

ويكون في هذا المعنى مزيد لفضل الصحابة رضوان الله عليهم حيث أراد أن يطهر قلوبهم بهذه الصدقة قبل مناجاة النبي (ﷺ) ولكن الأمر شقّ على المسلمين. وعلم الله ذلك منهم. وكان الأمر قد أدّى غايته، وأشعرهم بقيمة الخلوة التي يطلبونها. فخفف الله عنهم ونزلت الآية التالية برفع هذا التكليف وتوجيههم إلى العبادات والطاعات المصلحة للقلوب[٤].

جاءت هذه الآية التي في صدقة مناجاة رسول الله (ﷺ)فيها تربية وطهر لأصحابه الكرام، وزيادة توقير لرسول الله (ﷺ) وإعظام لمكانته، وإن أخذ الصدقة وإن في ظاهرها شيئا

---

[١] القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، (١٤١٨ هـ) **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، ج٩، ص١٧٤. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

[٢] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، مصدر سابق، ج١، ص٨٤٦.

[٣] الخطيب، عبد الكريم يونس الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، الناشر: دار الفكر العربي– القاهرة. ج١٤، ص٨٣٥.

[٤] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج٦، ص٣٥١٢. بتصرف.

حسيا بينما هي في حقيقة أمرها تحتمل الحسي و معنوي، وهذا مما يدل على مكانتهم رضوان الله عليهم فما أراد منهم هذه الصدقة إلا لطهرهم والخير لهم، فهم صحابة رسول الله، ورفقاؤه وجلساؤه وجيرانه وجنوده وأحباؤه، فكيف لا يكون أطهار القلوب والأفعال، عن ابن مسعود(ﷺ) قال: إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فبعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فاختارهم لصحبة نبيه ونصرة دينه، فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح، ومن المحال أن يخطئ الحق في حكم الله خير قلوب العباد بعد رسول الله(ﷺ) ويظفر به من بعدهم، وأيضا فإن ما أفتى به أحدهم وسكت عنه الباقون كلهم فإما أن يكونوا قد رأوه حسنا أو يكونوا قد رأوه قبيحا، فإن كانوا قد رأوه حسنا فهو حسن عند الله، وإن كانوا قد رأوه قبيحا، ولم ينكروه لم تكن قلوبهم من خير قلوب العباد، وكان من أنكره بعدهم خيرا منهم وأعلم، وهذا من أبين المحال[١].

فهذه أصحابه (ﷺ)عند الله تعالى من التقوى والطهر، فما علينا إلا أن ننزل أمهات المؤمنين وصحابة رسولنا الكريم منازلهم، ونقتدي بهم، وندافع عنهم ونذكر محاسنهم ونغض الطرف عن هفوات بعضهم فهم من البشر الذي لا يسلم من الوقوع في الخطإ، ونعلم أن الله تعالى قد أثنى عليهم في كتابه العزيز فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ والطعن الصحابة الطيبين، والانتقاص من قدرهم هو طعن في القرآن العظيم الذي زكاهم وذكر طهارتهم، فالصحابة هم الذين نقلو لنا الدين والقرآن. عن أبي سعيد الخدري (ﷺ)، قال: قال النبي(ﷺ): «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد، ذهبا ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه»[٢].

الهدايات القرآنية:

ذكر في سورة الأحزاب طهارة أهل البيت، وفي سورة المجادلة ذكرت طهارة الصحابة الكرام، ولم يذكر طهارته(ﷺ)؛ لأنه طاهر مطهر من عند الله تعالى، بل بسبب طهارته (ﷺ) كانت طهارة أزواج وأصحابه بل وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

[١] ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (١٤١١هـ - ١٩٩١م)، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط١، ج٤، ص١٠٦، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

[٢] البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، كتاب أصحاب النبي(ﷺ)، باب قول النبي(ﷺ): «لو كنت متخذا خليلا» رقم٣٦٧٣، ج٥، ص٨.

المطلب الثاني: صدقة عامة:

قال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣﴾. [التوبة: ١٠٣].

واختلف في تأويل هذه الآية فقال ابن عباس (ﷺ) فيما روي عنه وأبو عثمان[١]: هي في الأعراب وهي عامّة في الأمّة إلى يوم القيامة فيمن له أعمال صالحة وسيئة، فهي آية ترجّ على هذا، وقال قتادة: بل نزلت هذه الآية في أبي لبابة الأنصاري[٢] خاصة في شأنه مع بني قريظة، وذلك أنه كلّمهم في النزول على حكم الله ورسوله فأشار هو لهم إلى حلقه يريد أن النبي (ﷺ) يذبحهم إن نزلوا على حكمه فلما افتضح تاب وندم وربط نفسه في ساري من سواري المسجد، وأقسم أن لا يطعم ولا يشرب حتى يعفو الله عنه أو يموت، فمكث كذلك حتى عفا الله عنه ونزلت هذه الآية وأمر رسول الله (ﷺ) بحله[٣]، ذكر هذا الطبري عن مجاهد[٤]، وروي في خبر الذين ربطوا أنفسهم أن رسول الله (ﷺ) لمّا دخل المسجد فرآهم، قال ما بال هؤلاء؟ فقيل له إنهم تابوا وأقسموا أن لا ينحلّوا حتى يحلّهم رسول الله ويعذرهم، فقال رسول الله (ﷺ): « وأنا والله لا أحُلّهم ولا أعذُرهم إلا أن يأمرني الله بذلك، فإنهم تخلفوا عني وتركوا جهاد الكفار مع المؤمنين»[٥]. وفي حديث ابن عباس(ﷺ) قال: لما أطلق رسولُ الله (ﷺ) أبا لبابة وصاحبيه، انطلق أبو لبابة وصاحباه بأموالهم، فأتوا بها رسول الله (ﷺ) فقالوا: خذ من أموالنا فتصدَّق بها عنا، و صلِّ علينا– يقولون: استغفر لنا – وطهرنا. فقال رسول الله (ﷺ): لا آخذ منها شيئًا حتى أومر. فأنزل الله: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ

---

[١] أبو عثمان النهدي، اسمه عبد الرحمن بن مل بن عمرو النهدي. أسلم على عهد رسول الله (ﷺ)، وأدى إليه صدقات ماله، ولم يره، وغزا في عهد عمر حلولاء والقادسية. وهو معدود في كبار التابعين، روى عن عمر، وابن مسعود. أسد الغابة، مصدر سابق، رقم٦٠٩٤، ج٦، ص٢٠٥.

[٢] أبو لبابة الأنصاري يقال اسمه بشير بن عبد المنذر بن الزبير استخلفه رسول الله() صلى الله عليه وسلم على المدينة حين خرج الى بدر وضرب له بسهمه وأجره وهم أخوة ثلاثة مبشّر ورفاعة وأبو لبابة مات أبو لبابة في خلافة علي بن أبي طالب وله عقب روى عنه ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ابن مَنْجُويَه، أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر ابن مَنْجُويَه، (١٤٠٧هـ) **رجال صحيح مسلم**، (تحقيق: عبد الله الليثي)، ط١، رقم ١٤٥، ج١، ص٨٩، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

[٣] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، مصدر سابق، ج٣، ص٧٧.

[٤] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج١٤، ص٤٥٥.

[٥] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، مصدر سابق، ج٣، ص٧٧.

وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾. [التوبة: ١٠٣]. يقول: استغفر لهم من ذنوبهم التي كانوا أصابوا. فلما نزلت هذه الآية أخذ رسول الله (ﷺ) جزءًا من أموالهم، فتصدَّق بها عنهم.

أما قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾[التوبة:١٠٢]. فيه قولان:

الأول: إنهم قوم من المنافقين تابوا عن النفاق. **الثاني:** إنهم قوم من المسلمين تخلفوا عن غزوة تبوك، لا للكفر والنفاق، لكن للكسل، ثم ندموا على ما فعلوا ثم تابوا، واحتج القائلون بالقول الأول بأن قوله: وآخرون عطف على قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ ۖ﴾ [التوبة: ١٠١] والعطف يوهم التشريك إلا أنه تعالى وفقهم حتى تابوا، فلما ذكر الفريق الأول بالمرود على النفاق والمبالغة فيه. وصف هذه الفرقة بالتوبة والإقلاع عن النفاق[١].

فيظهر لنا أن اعترافهم بالذنب كان سببا رئيسيا في قبول توبتهم عند الله تعالى، بل زادهم شرفا أن أمر نبيّه (ﷺ) أن يصلي عليهم، وهو الدعاء لهم.

وفي هذه الآيات تتجلّى رحمة الله تعالى بعباده، حين يرجعون إليه، ويعترفوا بما اقترفوه من ذنوب أو معاصي، وأنه يقبل توبتهم، ويغفر لهم متى طهرت نيتهم في إنابتهم إلى ربهم، فالله تعالى يفرح بتوبة عبده إذا تاب، وأناب ورجع إليه كما في الحديث قال رسول الله (ﷺ): «أيفرح أحدكم براحلته إذا ضلّت منه ثم وجدها؟ » قالوا: نعم يا رسول الله. قال: « والذي نفس محمد بيده، لله أشدّ فرحا بتوبة عبده إذا تاب من أحدكم براحلته إذا وجدها»[٢]. وفي الآية إشارة أن المؤمن مهما كثرت ذنوبه فلابدّ من أن يوجد له عمل صالح ولو قليل، بعكس المنافق، أو الكافر الذين حبطت أعمالهما، وفي تقديم العمل الصالح في الآية على الآخر السيئ تمهيدا لقبول توبة العبد المؤمن المذنب، وعسى من الله تعالى واجبة الوقوع ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ﴾[التوبة: ١٠٢].

وهنا تتضح علاقة هذه الآية باسم السورة، فإن تسمية هذه السورة الأكثر شهرة هي التوبة.

وأما قوله: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[١٠٣]. أي تطهّر ذنوبهم وتزّكي أعمالهم. وللعلماء في قوله سبحانه وتعالى تطهرهم أقوال:

---

[١] الرازي، **التفسير الكبير**، مصدر سابق، ج١٦، ص١٣٢.

[٢] الإمام أحمد، **المسند**، مصدر سابق، ابتداء مسند أبي هريرة، صحيفة همام بن منبه، رقم ٨١٧٧، ج ٨، ص ٢٣٠،

الأول: أن معناه خذ يا محمد من أموالهم صدقة فإنك تطهّرهم بأخذها من دنس الآثام.

الثاني: أن يكون تطهّرهم متعلقا بالصدقة تقديره خذ من أموالهم صدقة فإنها طهْرة لهم وإنما سن جعل الصدقة مطهرة لما جاء أن الصدقة من أوساخ الناس فإذا أخذ الصدقة فقد اندفعت تلك الأوساخ وكان ذلك الاندفاع جاريا مجرى التطهير. فعلى هذا القول يكون قوله سبحانه وتزكّيهم بها منقطعا عن قوله تطهّرهم ويكون التقدير: خذ يا محمد من أموالهم صدقة تطهّرهم تلك الصدقة وتزكّيهم أنت بها.

الثالث: أن تكون التاء في قوله تطهّرهم وتزكيهم ضمير المخاطب ويكون المعنى تطهّرهم أنت يا محمد بأخذها منهم وتزكّيهم أنت بواسطة تلك الصدقة[١].

الرابع: أن معناه تطهّرهم من ذنوبهم وتزكّيهم يعني ترفع منازلهم عن منازل المنافقين إلى منازل الأبرار المخلصين وقيل معنى وتزكّيهم أي تنمي أموالهم ببركة أخذها منهم[٢].

وكل هذه الأقوال محتملة لمعنى الآية الكريمة.

أما قوله تعالى: ﴿وتزكّيهم﴾. وفي ذكر التزكّية معطوفة على التطهير وجب حصول

المغايرة فقيل: التزكية مبالغة في التطهير، وقيل: التزكية بمعنى الإنماء. والمعنى: أنه تعالى يجعل النقصان الحاصل بسبب إخراج قدر الزكاة سببا للإنماء.

وقيل: الصدقة تطهّرهم عن نجاسة الذنب والمعصية، والرسول (ﷺ) يزكيهم ويعظم شأنهم ويثني عليهم عند إخراجها إلى الفقراء[٣].

والتزكية: جعل الشيء زكيا، أي كثير الخيرات. فقوله: تطهرهم إشارة إلى مقام التخلية عن السيئات. وقوله: تزكيهم إشارة إلى مقام التحلية بالفضائل والحسنات. ولا جرم أن التخلية مقدمة على التحلية. فالمعنى أن هذه الصدقة كفارة لذنوبهم ومجلبة للثواب العظيم[٤].

---

[١] الرازي، **التفسير الكبير**، مصدر سابق، ج١٦، ص١٣٥. بتصرف

[٢] الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، ط١، ١٤١٥ هـ، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تصحيح: محمد علي شاهين، ج٢، ص٤٠٤. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

[٣] الرازي، **التفسير الكبير**، مصدر سابق، ج١٦، ص١٣٥. بتصرف

[٤] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مصدر سابق، ج١١، ص٢٣.

وللفهم الخاطئ لهذه الآية الكريمة اعتقد بعض مانعي الزكاة من أحياء العرب أن دفع الزكاة يكون خاصا بالرسول (ﷺ) ولهذا احتجوا بقوله تعالى: خذ من أموالهم صدقة الآية، وقد رد عليهم هذا التأويل والفهم الفاسد، أبو بكر الصديق وسائر الصحابة(ﷺ) وقاتلوهم حتى أدوا الزكاة إلى الخليفة كما كانوا يؤدونها إلى رسول الله(ﷺ) فقال: والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله(ﷺ) لقاتلتهم على منعها "[١]. وقوله وصلّ عليهم أي ادع لهم واستغفر لهم كما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان النبي (ﷺ) إذا أتي بصدقة قوم صلى عليهم فأتاه أبي بصدقته فقال: «اللهم صل على آل أبي أوفى»[٢].

مسألة هذه الأموال صدقة فريضة أو نافلة:

أما قوله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ﴾[١٠٣]. وفي معنى الصدقة وجهان:

الأول: أنها الصدقة التي بذلوها من أموالهم تطوعاً، قول ابن زيد.

الثاني: أنها الزكاة التي أوجبها الله تعالى في أموالهم فرضاً، قول عكرمة.

ولذلك قال: ﴿مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ﴾[التوبة:١٠٣]؛ لأن الزكاة لا تجب في الأموال كلها وإنما في بعضها[٣].

وأكثر الفقهاء، استدلّوا بهذه الآية على إيجاب الزكاة.

قال الجصاص: "وهو الصحيح، إذ لم يثبت أن هؤلاء القوم – يعني المعترفين– أوجب الله عليهم صدقة دون سائر الناس سوى زكاة الأموال، وإذا لم يثبت بذلك خبر، فالظاهر أنهم وسائر الناس سواء في الأحكام والعبادات، وأنهم غير مخصوصين بها دون غيرهم من الناس، وإذا كان مقتضى الآية وجوب هذه الصدقة على سائر الناس كانت الصدقة هي الزكاة المفروضة، إذ ليس في أموال الناس حقّ واجب يقال له صدقة سوى الزكاة المفروضة"[٤].

---

[١] البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم ١٤٠٠، ج٢، ص ١٠٥.

[٢] المصدر السابق، رقم ١٤٩٧، ج٢، ص١٢٩.

[٣] الماوردي، **النكت والعيون**، مصدر سابق، ج٢، ص٣٩٨.

[٤] الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، (١٤٠٥هـ)، **أحكام القرآن**، (تحقيق: محمد صادق القمحاوي)، ج٤، ص٢٣٠، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ويرى الباحث أن سياق الآية وأحداث القصة وسبب النزول لا يدل على أن هذه الصدقة يراد بها الزكاة المفروضة، وإن كانت داخلة في المعنى العام، وإنما هي صدقة خاصة في من تاب من الصحابة رضي الله عنهم، وشكرا لله لقبول توبتهم ولم يأخذها رسول الله(ﷺ) حتي نزل الوحي بأخذها فلو كانت زكاة لما تأخّر في أخذها(ﷺ)؛ لأن الزكاة قد فرضت من السنة الثانية من الهجرة، وهذه السورة نزلت في السنة التاسعة من الهجرة، فحاشهم رضي الله عنهم أن يتأخّروا عن دفعها وقد سبق لهم أن الزكاة فريضة من الله تعالى!.

وهكذا منَّ الله عليهم لما علمه سبحانه من حسن سريرتهم، وصدق توبتهم، فأمر رسوله (ﷺ) أن يأخذ بعض أموالهم يتصدق بها عنهم، وأن يصلي عليهم- أي يدعو لهم، وفي أخذ الصدقة منهم يرد إليهم شعورهم بعضويتهم الكاملة في الجماعة المسلمة، فهم يشاركون في واجباتها، وينهضون بأعبائها، وهم لم ينبذوا منها ولم ينبتوا عنها وفي تطوعهم بهذه الصدقات تطهير لهم وتزكية، وفي دعاء الرسول (ﷺ) لهم طمأنينة وسكن لقلوبهم[1].

في ما سبق كان الحديث عن الطهارة في أمور بدنية من وضوء وغسل وتيمم، تأتي الآن صورة أخرى من صور الطهارة ألا وهي الطهارة المالية، طهارة الصدقة والزكاة قال تعالى:﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣ ﴾ [التوبة: ١٠٧].

وهي من السور المدنية وتعتبر من أواخر ما نزل من القرآن الكريم، وإن كانت الآية يقصد بها أخذ بعض المال ممن قبلت توبتهم من الله تعالى، ولكنها تشمل الجميع فليس العبرة بخصوص السبب ولكن بعموم النص، وقد استدل بها كثير من الفقهاء على الزكاة المفروضة.

الهدايات القرآنية:

-١- وجود هذه الآية في سورة التوبة يؤكد على مبدإ الطهارة في إعطاء الصدقة والزكاة.

-٢- في دفع الزكاة والصدقة طهارتان، طهارة للنفس من البخل والشح، وطهارة للمال من الشوائب والآفات.

-٣- من مبادئ الإسلام التكافل الاجتماعي بين أفراده، وفي إعطاء الزكاة أو الصدقة لمن يحتاجه من أقوى هذه الروابط، ومما يزيد الألفة بين المسلمين

٤ - تثبيت أواصر المحبة بين الغني والفقير؛ لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها.

---

[1] سيد قطب قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج٣، ص١٧٠٨. بتصرف.

٥ – تطهير النفس وتزكيتها، والبعد بها عن خُلُق الشح والبخل، كما أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قول الله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} (٢).

٦ – تعويد المسلم على صفة الجود، والكرم، والعطف على ذوي الحاجات؛ والرحمة للفقراء.

٧ – حفظ النفس عن الشح، قال تعالى:﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر:٨]

٨– استجلاب البركة والزيادة والخلف من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٣٩﴾[سبأ:٣٩] ، ولقول الله تعالى في الحديث القدسي عن أبي هريرة (ﷺ) عن النبي(ﷺ) أنه قال: «قال الله: أنفق يا ابن آدم أنفق عليك»[١].وعن أبي هريرة(ﷺ)عن رسول الله(ﷺ) قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو، إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[٢].

٩– تشرح الصدر، فالمسلم إذا أحسن إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال، وأنواع الإحسان انشرح صدره؛ فالكريم المحسن أشرح الناس صدراً، وأطيبهم نفساً، وأنعمهم قلباً، والبخيل الذي لا يحسن أضيق الناس صدراً، وأنكدهم عيشاً، وأكثرهم همًّا وغمًّا، لكن لا بد من العطاء بطيب نفس، ويخرج المال من قلبه قبل أن يخرجه من يده.

---

[١] البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر، مصدر سابق، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، رقم٥٣٥٢، ج٧،ص٦٢.

[٢] مسلم، المسند الصحيح المختصر، مصدر سابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، رقم ٢٥٨٨، ج٤،ص٢٠٠١.

المبحث الرابع: أزواج مطهرة، وشراب طهور.

المطلب الأول: الأزواج المطهرة:

ذكرت الأزواج المطهرة وهي مما أعده الله سبحانه لعباده المتقين في الجنان في الآخرة مع الأنهار والثمار والظلال و دوام الخلود، في ثلاث مواضع من القرآن الكريم، في سورة البقرة، وسورة آل عمران، والنساء. وفي كل واحدة جاءت بسياق مختلف عن الأخرى.

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾. [البقرة: ٢٥].

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥﴾ [آل عمران: ١٥].

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ٥٧﴾. [النساء: ٥٧].

أما الآية التي في سورة البقرة قال ابن الجوزي: فجمع سبحانه في هذه البشارة بين نعيم البدن بالجنات، وما فيها من الأنهار والثمار، ونعيم النفس بالأزواج المطهرة، ونعيم القلب، وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد، وعدم انقطاعه [١].

وقد جُمع في هذه الآية بين المبشّر، والمبشَّر، والمبشر به، والبشارة، والسبب الموصل لهذه البشارة. فالمبشِّر: هو الرسول (ﷺ) ومن قام مقامه من أمته، والمبشَّر: هم المؤمنون العاملون للصالحات، والمبشَّر به: هي الجنات الموصوفة بتلك الصفات، والبشارة أن لهم الجنات والسبب

---

[١] ابن الجوزي، **زاد المسير**، مصدر سابق، ج١، ص١٣١. بتصرف.

الموصل لذلك، هو الإيمان والعمل الصالح، فلا سبيل إلى الوصول إلى هذه البشارة، إلا بهما، وهذه أعظم بشارة حاصلة، على يد أفضل الخلق، بأفضل الأسباب [١].

أما الآية التي في سورة آل عمران[٢]. وقد بدأ سبحانه في هذه الآية أولا بذكر المقرّ وهو الجنات، ثمّ ثنّى بذكر ما يحصل به الأنس التام وهو الأزواج المطهرة، ثم ثلث بذكر ما هو الإكسير الأعظم والروح لفؤاد الواله المغرم وهو رضا الله عز وجل[٣].

جاء في الحديث القدسي: " إن الله يقول لأهل الجنة: ياأهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: أي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا ".[٤]

والأزواج المطهرة فهي من ضمن ما خص من بين ما تقدم من الشهوات ذكر النساء في قوله: ﴿وَأَزْوَاجٌ﴾ لأنها أعظم المشتهيات ولا يكمل التلذذ بها إلا بحصول جميع ما يتوقف ذلك عليه، فصار ذكرهن على سبيل الامتنان من القادر كناية عن جميع ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين[٥].

أما في سورة النساء ولما كانت الجنان في الدنيا لا تحسن إلا بتمكن الشمس منها وكانت الشمس تنسخ الظل فتخرج إلى التحول إلى مكان آخر، وربما آذى حرها، أمّن من ذلك فيها بقوله: ﴿وَنُدْخِلُهُم﴾ أي فيها﴿ظِلا ﴾أي عظيماً، وأكده بقوله﴿ظَلِيلا﴾ أي متصلاً لا فرج فيه، منبسطاً لا ضيق معه دائماً لا تصيبه الشمس يوماً ما، ولا حر فيه ولا برد، بل هو في غاية الاعتدال. وظلِيلًا معناه: عند بعضهم يقي الحر والبرد، ويصح أن يريد أنه ظل لا يستحيل ولا ينتقل، كما يفعل ظل الدنيا، فأكده بقوله ظلِيلًا لذلك، ويصح أن يصفه بظليل لامتداده[٦]،

لما ذكر تعالى في هذه الآيات المسكن الذي هو محل اللذة وأتبعه المطعم المقصود بالذات وكانت لذة الدار لا تكمل إلا بأنس الجار لا سيما المستمتع به قال: ﴿وَلَهُم فِيهَا﴾أي مع ذلك

---

[١] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، مصدر سابق، ج١، ص٤٦. بتصرف
[٢] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٧٤.
[٣] الألوسي، **روح المعاني**، مصدر سابق، ج٢، ص٩٩.
[٤] الترمذي، **سنن الترمذي**، مصدر سابق، كتاب أبواب الجنة، رقم ٢٥٥٥، ج٤، ص ٦٩٠، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر. وقال عنه: هذا حديث صحيح.
[٥] البقاعي، **نظم الدرر**، مصدر سابق، ج٤، ص٢٧٨.
[٦] ابن عطية، **المحرر التنوير**، مصدر سابق، ج٢، ص٦٩.

﴿أَزْوَاجٌ﴾ ولما كن على خلق واحد لا نقص فيه أشار إليه بتوحيد الصفة، وأكد ذلك بالتعبير بالتفعيل إلماماً بأنه عمل فيه عمل ما يبالغ فيه بحيث لا مطمع في الزيادة فقال: ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ [١].

وختمت الآية بما يزيد سعادَتهم، وحبورَهم، وهو أنهم مخلّدون في هذا النعيم لا يُزالون عنه أبد الآبدين.

وصفة الطهارة المذكورة في الأزواج وهي طهارة تحتمل المعنوية، والحسيّة.

وفي وصف الأزواج بالمطهرة دون الطهارة، لحكمة قال الزجاج: "مُطهرة تَجْمَعُ الطهارةَ كلها لأن مُطهَّرة أبْلَغ في الكلام من طاهرة، ولأن مطهرة إنما يكون للكثير[٢]. وفيه دلالة على أن مطهرا هو الذي طهرهن وهو الله رب العالمين. قال الزمخشري: " فإن قلت: هلاّ قيل طاهرة؟ قلت: في مطهرة فخامة لصفتهنّ ليست في طاهرة، وهي الإشعار بأن مطهراً طهرهنّ. وليس ذلك إلا اللّه عزّ وجلّ المريد بعباده الصالحين أن يخوّلهم كلّ مزية فيما أعدّ لهم"[٣]. وهذا ما يزيد من مكانة هذه الأزواج، قال أبو حيان: " ظاهر اللفظ يقتضي أنهن مطهرات من كل ما يشين، لأن من طهره الله تعالى ووصفه بالتطهير كان في غاية النظافة والوضاءة"[٤].

إذن تشمل صفة الطهارة لهن الطهارة في الأبدان، والأخلاق، وهذا قول أهل التفسير، وقبل أن نذكر طهارتهن في أبدانهن وأخلاقهن، نشير إلى أنه كثيرا ما يزعج الأزواج ما يرونه من نسائهم في الدنيا من عدم طهارتهن في بعض الأحيان، أو من سوء خلقهن فأراد الله تعالى أن يطمئنهم بأن نساء الآخرة مطهرة من هذه الأفعال، والأخلاق، وأنهن خلقن مطهرة ليحتفوا بهن في الجنات.

---

[١] البقاعي، **نظم الدرر**، مصدر سابق، ج١، ص١٩٧، ١٩٦.

[٢] الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، **معاني القرآن وإعرابه**، (المحقق: عبد الجليل عبده شلبي)، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م، ج١، ص١٠٢. الناشر: عالم الكتب – بيروت.

[٣] الزمخشري، **الكشاف**، مصدر سابق، ج١، ص١١٠.

[٤] أبوحيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، ١٤٢٠ هـ، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، ج١، ص١٩٠. دار الفكر – بيروت.

أولا: طهارتهن في الأبدان:

فهي طهارة من الحيض، والنفاس، والغائط، والبول، والمخاط، والبصاق، والمني[١]. فلا يحضن ولا يلدن، ولا يذهبن إلى غائط، ولا بول[٢]، وقد طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة، وما لا يختص بهنّ من الأقذار والأدناس[٣].

وكذلك من المقاذير الحادثة عن الأعراض المنقلبة إلى فساد: كالبخر، والذفر، والصنان، والقيح والصديد، أو إلى غير فساد: كالدمع، والعرق، والبصاق، والنخامة[٤].

ثانيا: طهارتهن في الأخلاق:

قال الزمخشري: ويجوز لمجيئ لفظ مطهرة مطلقاً: أن يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الأخلاق الذي عليه نساء الدنيا[٥]، من الأخلاق السيئة والطبائع الرديئة، كالغضب والحدة والحقد والكيد المكر، وما يجري مجرى ذلك، ومطهرة من الفواحش والخنا والتطلع إلى غير أزواجهن[٦]. فالأصل فيهن أنهن خلقن طاهرات لأهل الجنان، فلم يعلق بهن دنس ذاتي ولا خارجي، وهن الحور العين التي جاء الحديث في وصفهن قال رسول الله (ﷺ): (أوّل زمرة تلج الجنّة صورهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يَبصقون فيها، ولا يَتمخطون، ولا يَتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوّة، ورشْحهم المسك، لكل واحد منهم زوجتان، يرى مخَّ سوقها من وراء اللحم من الحسْن، لا اختلاف بينهم، ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبّحون الله بكْرة وعشيا)[٧]. وإن كن من نساء الدنيا– كما روي عن الحسن– «من عجائزكم الرمص الغمص يصرن شواب» فالمراد إذهاب كل شين عنهن من العيوب الذاتية وغيرها[٨].

---

[١] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج١ص٣٩٥.
[٢] الماوردي، **النكت والعيون**، مصدر سابق، ج١ص، ٨٥. بتصرف.
[٣] الزمخشري، **الكشاف**، مصدر سابق، ج١، ص١٠٩.
[٤] أبوحيان، **البحر المحيط**، مصدر سابق، ج١، ص١٩٠.
[٥] الزمخشري، **الكشاف** مصدر سابق، ج١، ص١٠٩.
[٦] أبوحيان، **البحر المحيط**، مصدر سابق، ج١، ص١٩٠ بتصرف.
[٧] مسلم، **المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشيا، رقم ٢٨٣٤، ج٤، ص٢١٨٠. (مجامرهم) جمع مجمر وهو الذي يوضع فيه النار بالبخور. وبالضم أي مجمر هو الذي يتبخر به. (الألوة) هو العود الذي يتبخر به العود الهندي، والذفر، بالتحريك: يقع على الطيب والكريه ويفرق بينهما بما يضاف إليه ويوصف به؛ ومنه صفة الجنة وترابها: مسك أذفر. لسان العرب ج٤، ص٣٠٦.
[٨] الألوسي، **روح المعاني**، مصدر سابق، ج١، ص٢٠٧. رمص: الرمص في العين: كالغمص وهو قذى تلفظ به، وقيل: الرمص ما سال، والغمص ما جمد، ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج٧، ص٤٣.

مسألة من هنّ الأزواج المطهرة؟

ويرى الباحث من تمام الفائدة هل هذه الأزواج المذكورة الحور العين التي فيها الأحاديث الصحيحة، أم هن نساء الدنيا الاتي أصلحهن الله وحسنهن، وأيهما أفضل، وأحسن.

والذي يظهر من مجموع الآيات الأحاديث الصحيحة أنهن لسن نساء الدنيا، بل هن الحور العين، الذي وصفهن تعالى بأنهن مطهرة، وهي تعني مطهرة في أصل خلقهن وكذلك

وصفهن الله تعالى بأنهن قاصرات الطرف فقال تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾﴾. [الصافات: ٤٨]. وأما الأحاديث فعن أنس (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): « لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها »[١]. وعن معاذ بن جبل(ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال: « لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا، إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه، قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا»[٢]. فهذه الأدلة تبيّن أن الحور العين ليس هن نساء الدنيا، لهذه الصفات السابقة، وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾. [الواقعة: ٣٨]. وما يدل على أنهن نساء الدنيا حديث الحسن أنه قال: أتت عجوز النبي (ﷺ) فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال: « يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز» قال: فولّت تبكي قال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾ [٣]. قال ابن عباس (ﷺ): يعني الآدميات العجز الشمط، يقول خلقناهن بعد الهرم خلقا آخر.﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ أي عذارى[٤]. وقال المسيب بن شريك[٥]: هن عجائز الدنيا أنشأهن الله تعالى خلقا جديدا كلما أتاهن أزواجهن

---

[١] البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، كتاب الرقائق، باب صفة الجنة والنار، رقم ٦٥٦٨، ج٨، ص ١١٧.

[٢] الترمذي، **سنن الترمذي**، مصدر سابق، كتاب أبواب الرضاع، ولم يذكر للباب اسم، رقم ١١٧٤، ج٣، ص ٤٦٨.

[٣] الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، **الشمائل المحمدية**، باب ما جاء في صفة مزاح رسول الله(ﷺ)، رقم٢٣٠، ج١، ص١٤٤. والحديث مرسل، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[٤] البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين، ١٤٢٠ هـ، **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، (تحقيق: عبد الرزاق المهدي)، ط١، ج٥، ص٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[٥] هو: المسيب بن شريك، ويكنى أبا سعيد. وهو من بني شقرة تميم وولد بخراسان ونشأ بالكوفة. وكان ضعيفًا في الحديث لا يحتج به. ثم قدم بغداد فنزلها وولي بيت المال لهارون أمير المؤمنين. وتوفي ببغداد سنة ست وثمانين. ابن=

وجدوهن أبكارا. [١]. وهنا سؤال يفرض نفسه، وهو أيهما أفضل الحور العين أم الصالحات من نساء الدنيا؟ قال المسيب وغيره: أنهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا[٢].

نساء الدنيا وهن الآدميات في الجنة أفضل وأحسن من الحور العين. ويدل على هذا ما رواه الطبراني عن أم سلمة قالت: قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله – عز وجل –: ؟وَحُورٌ عِينٌ؟ [الواقعة: ٢٢] قال: «حور عين ضخام العيون» إلى أن قلت: يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: «بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الطهارة على البطانة» قلت: يا رسول الله وبم ذلك؟ قال: «بصلاتهن وصيامهن وبعبادتهن الله. ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير بيض الألوان. خضر الثياب. صفر الحلي. مجامرهن الدر. وأمشاطهن الذهب. يقلن نحن الخالدات فلا نموت أبداً. ونحن الناعمات فلا نبتئس أبداً. ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً. ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً. طوبى لمن كنا له وكان لنا»[٣].

وحال المؤمنة في الجنة أفضل من حال الحور العين وأعلى درجة وأكثر جمالا، وقد ورد في ذلك بعض الأحاديث والآثار ولكن لا يثبت منها شيء، ولكن المرأة الصالحة من أهل الدنيا إذا دخلت الجنة فإنما تدخلها جزاء على العمل الصالح وكرامة من الله لها لدينها وصلاحها، أما الحور التي هي من نعيم الجنة فإنما خلقت في الجنة من أجل غيرها وجعلت جزاء للمؤمن على العمل الصالح، وشتان بين من دخلت الجنة جزاء على عملها الصالح، وبين من خلقت ليُجَازَى بها صاحب العمل الصالح، فالأولى ملكة سيدة آمرة، والثانية على عظم قدرها وجمالها إلا أنها لا شك دون الملكة وهي مأمورة من سيدها المؤمن الذي خلقها الله تعالى جزاء له[٤]

وللاستفادة من هذا المبحث قي واقع حياتنا نذكر ما صح عن رسول الله (ﷺ) فيما يوجب هذه الأوزاج المطهرة.

=سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، (١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م) **الطبقات الكبرى**، (تحقيق: محمد عبد القادر عطا)، ط١، رقم٣٤٩٠، ج٧، ص٢٣٩، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

[١] البغوي، معالم التنزيل، مصدر السابق ج٨، ص١٤، ١٣.

[٢] المصدر السابق، ج٨، ص١٤، ١٣.

[٣] الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، **المعجم الكبير، (تحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي)، ط٢، رقم ٨٧٠، ج٢٣، ص٣٦٧.** دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة.

[٤] موقع الإسلام سؤال جواب،ج١، ص٣٨٣.الكتاب: القسم العربي الموقع بإشراف الشيخ محمد صالح المنجد

الأعمال التي جزاؤها الحور العين.

-١- الشهداء: عن المقدام بن معدي كرب قال: قال رسول الله (ﷺ)" للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه "[١].

-٢- كظم الغيظ: عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله (ﷺ) قال: "من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة، حتى يخيره في أي الحور شاء"[٢].

وقد وردت أحاديث أخرى في الحور العين مثل كنس المسجد، وأداء الأمانة، وقيام الليل، وصوم النافلة، التقاط ما يقع من الطعام، وإن كانت كلها تدخل في عموم الأعمال الصالحة، غير أن الأحاديث التي ذكرتها غير صحيحة.

المطلب الثاني: الشراب الطهور:

قال تعالى: ﴿عَلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾.[الإنسان: ٢١].

وهذا هو النوع الثالث من الشراب لأهل الجنة، وهو يختلف عن سابقيه بعدة أشياء ذكرها المفسرون ومنها: أنه تعالى أراد به نوعاً آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك أسند سقيه إلى الله عز وجل، ووصفه بالطهورية فإنه يطهر شاربه عن الميل إلى اللذات الحسية والركون إلى ما سوى الحق، فيتجرد لمطالعة جماله متلذذاً بلقائه باقياً ببقائه، وهي منتهى درجات الصديقين ولذلك ختم بها ثواب الأبرار[٣]. وكذلك ذكر في النوعين الأولين أنهما موجودان في كأس أوعين، وهما يقصد بهما الخمر أو الماء، وأما في هذا النوع فلم يذكر أنه موجود في كأس، مما يدل على أنه ليس بخمر ولا بماء بل شراب له خصوصيته. ومن

---

[١] الترمذي، سنن الترمذي، مصدر سابق، كتاب فضائل الجهاد، باب ثواب الشهيد، رقم ٧٩٨، ج١، ص٥٤٩.
[٢] ابن ماجه، سنن ابن ماجه، مصدر سابق، كتاب الزهد، باب الحلم، رقم ٤١٨٥، ج٥، ص٢٨٠. إسناده صحيح.
[٣] البيضاوي، **أنوار التأويل وأسرار التنزيل**، مصدر سابق، ج ٥، ص٢٧٢. بتصرف.

خصوصية هذا الشراب أنه له تأثير عجيب في هضم ما في البدن من الطعام، والشراب، ويخرجهما عرقا على أبدانهم كأطيب ريح المسك. وقد ذكر هذا النوع من الشراب في آخر ما أعده الله تعالى لأوليائه في الجنة من أكل وشرب وخدم ولباس ثم ختم بهذا الشراب الطهور.

تعتبر سورة الإنسان من أكثر سور القرآن إرادا لوصف الدار الآخرة خصوصا فيما يتعلق ما أعده الله تعالى لأهل الجنة من النعيم المقيم، فقد ابتدأ وصف الجنة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝﴾. [الإنسان: ٥] حتي قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ۝﴾. [الإنسان: ٣٣] وهي سبعة عشر آية، والتي هي تبلغ أكثر من نصف آيات السورة، بينما ولم يذكر من حال أهل النار إلا في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَا۠ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا ۝﴾. [الإنسان: ٤]، والوصف البارز، والظاهر، والمكرر المختلف في معناه، هو ذكر أنواع الشراب في الجنان، ابتدأ بالكافور، ثم الزنجبيل، ثم ختمها بالشراب الطهور[١]. .

قال الإمام الطبري: " وسُقى هؤلاء الأبرار ربُّهُم شرابا طهورا، ومن طهره أنه لا يصير بولا نجسا، ولكنه يصير رشْحا من أبدانهم كرشح المسك".

وعن إبراهيم التيمي[٢]، قال: إن الرجل من أهل الجنة يقسَمُ له شهوة مئة رجل من أهل الدنيا، وأكلهم وهمتهم، فإذا أكل سقي شرابا طهورا، فيصير رشحا يخرج من جلده أطيب ريحًا من المسك الأذفر، ثم تعود شهوته [٣].

وفي وصفه أنه طهور، مبالغة في التطهير، وهو ما عرف بأنه الطاهر في نفسه المطهّر لغيره.

وقد اختلف المفسرون في معنى الطهور على قولين ذكرهما الإمام الرازي فقال: وقوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ الطهور فيه قولان:

---

[١] البقاعي، **نظم الدرر**، مصدر سابق، ج٢١، ص١٥١، ١٥٠، ١٤٧، ١٤٦، ١٤٥. بتصرف.

[٢] ٢٣٢٦– إبراهيم التيمي. وهو ابن يزيد بن شريك من تيم الرباب ويكنى أبا أسماء. و كان سبب حبس إبراهيم التيمي أن الحجاج طلب إبراهيم النخعي فجاء الذي طلبه فقال: أريد إبراهيم. فقال إبراهيم التيمي: أنا إبراهيم. فأخذه وهو يعلم أنه يريد إبراهيم النخعي. ومات في السجن، ابن سعد، الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج٦، ص، ٢٩١.

[٣] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ح٢٤، ج١١٣، ١١٤. بتصرف.

الأول: المبالغة في كونه طاهرا، ثم فيه على هذا التفسير احتمالات:

أولا: أنه لا يكون نجسا كخمر الدنيا.

ثانيا: المبالغة في البعد عن الأمور المستقذرة يعني ما مسته الأيدي الوضرة[١]، وما داسته الأقدام الدنسة.

ثالثا: أنها لا تؤول إلى النجاسة لأنها ترشح عرقا من أبدانهم له ريح كريح المسك.

القول الثاني: في الطهور أنه المطهر، وعلى هذا التفسير أيضا في الآية احتمالان: **الأول:** هو عين ماء على باب الجنة تنبع من ساق شجرة من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غل وغش وحسد، وما كان في جوفه من قذر وأذى.

الثاني: أنهم يؤتون الطعام والشراب فإذا كان في آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور، فيشربون فتطهر بذلك بطونهم، ويفيض عرق من جلودهم مثل ريح المسك، وعلى هذين الوجهين يكون الطهور، مطهرا لأنه يطهر باطنهم عن الأخلاق الذميمة، والأشياء المؤذية[٢]. والراجح أنه شراب أعدّه الله تعالى لعباده ليس بخمر ولا بماء فلو كان خمرا لذُكر مع الكأس، ولو كان ماء لذُكر في عين، ولكن هذا الشراب يختلف تماما، لما سبق في وصفه، ولعله مما أعده الله به عباده في الحديث القدسي: وقال رسول الله (ﷺ): "إن الله عز وجل، قال: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"[٣].

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين»

وشراب الجنة في برده، وعذوبته وطيب عرفه كالكافور، وطعم الزنجبيل، والتي كانت العرب تستلذ الشراب الممزوج به لهضمه وتطييبه الطعم والنكهة، ولما كان الزنجبيل يلذع الحلق فتصعب إساغته وسمى عينه بالسلسبيل، والسلسال ما كان من الشراب غاية في السلاسة،

---

[١] كلمة واحدة تدل على لطخ شيء بشيء. فالوضر مثل الدرن والزهم. ابن فارس، **مقاييس اللغة**، مصدر سابق، ج٦، ص١٢٠.

[٢] الرازي، **التفسير الكبير**، مصدر سابق، ج٣٠، ص٧٥٦، ٧٥٥.

[٣] البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، كتاب بدء الخلق، باب ماجاء في وصف الجنة وأنها مخلوقة، رقم ٣٢٤٤، ج٤، ص١١٨.

وزيادة الباء دلالة على المبالغة في هذا المعنى، وختمه بالشراب الطهور ﴿طَهُورًا شَرَابًا﴾. فليس هو كشراب الدنيا سواء كان من الخمر أومن الماء أو من غيرهما، بل هو بالغ الطهارة والوصف بالشرابية من العذوبة واللذة واللطافة، وهو مع ذلك آلة للتطهير البالغ للغير[١]. ولشدّة تأثر الصالحين بالقرآن الكريم، وتدبر معانيه، والتلذذ بما يصفه من النعيم لأهل الجنان، يذكر أن أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت طيّب الحمّال يقول: صلّيت خلف سهل بن عبد الله العتمة فقرأ قوله: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾.[الإنسان: ٢١]. فجعل يحرّك فمه كأنّه يمصّ فلمّا فرغ من صلاته قيل له: أتشرب أم تقرأ؟ قال: والله لو لم أجد لذّته عند قراءته كلذّتي عند شربه ما قرأته[٢].

ومما طهّره الله تعالى لعباده المؤمنين الأطهار أن أعد لهم في جنته من الطهارة في الأزواج والشراب فالأزواج في الجنا ن مطهرات من كل عيب خلقيا أو خلقيا فهن طاهرات من مطهرات من الحيض والنفاس ومن الغيرة والحسد والحقد، وكذلك كذلك ما أعد لهم في الجنة من مختلف النعيم من ذلك الشراب الطهور الذي اخته سبحانه بخصائص ليست في غيره من الشراب، وأبرزها أن أضاف سقيه له سبحانه فقال: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١﴾ [الإنسان: ٢١]، وفي هذه الخيرات التي أعدها اللاه تعالى لعباده المؤمنين في الجنان ما يحمل المسلم على أن يعمل ما يوجب له هذا النعيم المقيم وما يقربه من رب العالمين من فعل الأعمال الصالحات الطاهرات ويتجنب فعل الموبقات المهلكات، ويعلم أن الجنة هي دار المتقين الأطهار والنار دار الكفرة الفجار قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤﴾ [الا نفطار: ١٤]. والجزاء من جنس العمل فمن طهر قلبه وجوارحه من الذنوب والمعاصي، كان جزاؤه دخول الجنة والنيل من نعيمها المديد، والتي من بينها أزواج مطهرة وشراب طهور لذيذ.

الهدايات القرآنية:

هذا هو الموضع الثالث التي ذكر فيها الأزواج المطهرة في القرآن الكريم، فقد ذكر في ثلاث آيات ففي الآية الأولى بشر بالجنة بسورة البقرة، وفي الآية الثانية بيّن مكانها بسورة آل عمران، وفي الآية الثالثة وعد بدخولها بسورة النساء.

---

[١] البقاعي، **نظم الدرر**، مصدرسابق، ج٢١، ص١٥١، ١٥٠، ١٤٧، ١٤٦، ١٤٥. بتصرف.
[٢] الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، مصدر سابق، ج١٠، ص١٠٥.

وفي سورة الإنسان وهو في شرابهم الطهور، ولهذا الشراب خصوصيته ويختلف عن سابقيه وهما الكافور والزنجبيل.

فقد ختم الله به أنواع المشتهيات في الجنة، وكأن كل شراب من هذه الأشربة يتناسب مع الآيات السابقة. فالكافور يتناسب مع آيات سورة البقرة التي فيها البشارة.

والزنجبيل يتناسب مع آيات سورة آل عمران، التي فيها الخير والرضوان.

والطهور يتناسب مع آيات سورة النساء التي فيها الخلود الدائم والظل الظليل.

المبحث الخامس: طهارة أهل بدر:

قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾. [الأنفال: ١١].

مما لا يخفى أن هذه السورة تتكلم عن أول غزوة لرسول الله (ﷺ)، والمؤمنين في مواجهة كفار قريش، وهي التي تسمى غزوة بدر الكبرى، وكان النصر فيها حليفا للجيش المسلم بقيادة رسول الله (ﷺ)، وانهزم فيها المشركون هزيمة نكراء، فقد قتل فيها صناديدَ قريش، وساداتها، وكتب السير والتاريخ تزخر بذكر هذه الغزوة الشهيرة.

قال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾. [الأنفال: ١١]. قال الطبري: إن المشركين نزلوا بالماء يوم بدر، وغلبوا المسلمين عليه، فأصاب المسلمين الظمأ، وصلوا محدثين مجنبين، فألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزَن، ووسوس فيها: إنكم تزعمون أنكم أولياء الله، وأن محمدًا نبي الله، وقد غلبتم على الماء، وأنتم تصلون محدثين مجنبين! فأمطر الله السماء حتى سال كل واد، فشرب المسلمون وملأوا أسقيتهم، وسقوا دوابهم، واغتسلوا من الجنابة، وثبت الله به الأقدام، وذلك أنهم كان بينهم وبين عدوهم رملة لا تجوزها الدواب، ولا يمشي فيها الماشي إلا بجَهد، فضربها الله بالمطر حتى اشتدت، وثبتت فيها الأقدام[1].

بعد أن ذكرت الآيات استجابة دعاء النبي (ﷺ)، ثم إمداده بالملائكة وما فيها من البشرى، واطمئنان القلوب به، ثم ذكر النعاس وما فيه من راحةٍ للمقاتل، والتهيئة النفسية لخوض المعركة، يأتي نزول الماء من السماء، الماء الطهور الذي هو رحمة الله بعباده، والذي يطهر الظواهر والبواطن، وترتب على نزول الماء من السماء أربعة أمور هامة في تهيئة المقاتل قبل المعركة مع ما سبق، وهي ما يلي:

---

[1] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج١٣، ص٤٢٦.

الأولى: تطهيرهم به، أي تطهيرا حسيا بالنظافة التي تشرح الصدر وتنشط الأعضاء في كل عمل، وشرعيا بالغسل من الجنابة والوضوء[١]. وقد علم بالعادة أن المؤمن يكاد يستقذر نفسه إذا كان جنبا، ويغتم إذا لم يتمكن من الاغتسال ويضطرب قلبه[٢]. وهذه الحالة النفسية التي صاحبت الموقف ووسوس بها الشيطان! حالة التحرج من أداء الصلاة على غير طهر لعدم وجود الماء– ولم يكن قد رخص لهم بعد في التيمم، وهنا تثور الهواجس والوساوس، ويدخل الشيطان من باب الإيمان ليزيد حرج النفوس ووجل القلوب! والنفوس التي تدخل المعركة في مثل هذا الحرج وفي مثل هذا القلق تدخلها مزعزعة مهزومة من داخلها. وهنا يجيء المدد وتجيء النجدة[٣].

الثانية: إذهاب رجز الشيطان عنهم. والرجز والرجس والركس كلها بمعنى الشيء المستقذر حسا أو معنى. والمراد هنا وسوسته كما تقدّم.

الثالثة: الربط على القلوب، ويعبر به عن تثبيتها وتوطينها على الصبر،

الرابعة: وهو تثبيت الأقدام به، فإن من كان يعلم أنه يقاتل في أرض تسوخ فيها قدمه كلما تحرك وهو قد يقاتل فارسا لا راجلا لا يكون إلا وجلا مضطرب القلب[٤].

وبذلك يتم المدد الروحي بالمدد المادي وتسكن القلوب بوجود الماء، وتطمئن الأرواح بالطهارة وتثبت الأقدام بثبات الأرض وتماسك الرمال. ذلك إلى ما أوحى الله به إلى الملائكة من تثبيت الذين آمنوا وإلى ما وعد به من إلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا وإلى ما أمر به الملائكة من الاشتراك الفعلي في المعركة[٥]. وكما كان نزول الماء سببا لنصر للمؤمنين كان سببا لهزيمة المشركين، قال ابن القيم: أنزل الله في تلك الليلة مطرا واحدا فكان على المشركين وابلا شديدا منعهم من التقدّم وكان على المسلمين طلا طهرهم به[٦].

وقد تجلّى في هذه الغزوة من أسباب النصر ما لا يعلمه إلا الله تعالى، فمع قلة إمكانيات الجيش المسلم من حيث العدد، والعدة، وكثرة المشركين في عددهم، وعدتهم، وفي تقدير البشر

---

[١] رشيد رضا، **تفسير المنار**، مصدر سابق، ج٩، ص٥٠٨.
[٢] الرازي، **التفسير الكبير**، مصدر سابق، ج١٥، ص٤٦٢.
[٣] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج٣، ص١٤٨٥.
[٤] رشيد رضا، **تفسير المنار**، مصدر سابق، ج٩، ص٥٠٩.
[٥] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج٣، ص١٤٨٥.
[٦] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (١٤١٥هـ ١٩٩٤م)، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ط٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت مكتبة المنار الإسلامية، الكويت. ج٣، ص١٥٧.

النصرلمن أكثر عددا، وعدة، والنصر لا يكون بهذا الأمور فحسب، وليس معنى هذا ألّا نأخذ بالأسباب لا والله؛ ولكن النصر الحقيق هو من عند الله تعالى، وقد ذكرت آيات كثيرة تدل على هذا المعنى ومنها قوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩]. والسبب الرئيسي في النصر بعد الذل والخضوع لله تعالى بالعبادة، هو الاستغاثة بالدعاء فقد روي أنه (ﷺ) في ليلة الغزوة أكثر من الدعاء حتي سقط رداؤه، وكان من دعائه (ﷺ): " اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد"، وأبو بكر(رضي الله عنه) يقول: يا نبي الله: بعض مناشدتك ربك، فإن الله منجز لك ما وعدك. وقد خفق رسول الله (ﷺ) خفقة وهو في العريش، ثم انتبه فقال: أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله. هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده، على ثناياه النقع[1]. وذكر تعالى في هذه الآية الكريمة عددا من أهم ركائز النصر، وأولها وأساسها الإخلاص في الدعاء والاستغاثة بالله وحده سبحانه، وعندما يستجاب الدعاء يكون النصر المبين.

من علامات النصر:

قال الرازي: أنه تعالى لما ذكر أنه استجاب دعاءهم ووعدهم بالنصر قال: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾. [الأنفال: ١٠] ذكر علامات النصر وهي ستة أنواع ما يلي:

أولا: ما غشيهم من النعاس قبل المعركة.

ثانيا: نزول المطر للطهارة، إذهاب رجز الشيطان، وأنزل عليهم المطر قبل المعركة لتطهيرهم حسيا ومعنويا.

ثالثا: الربط على القلوب.

رابعا: تثبيت الأقدام.

خامسا: تثبيت الملائكة للمؤمنين.

---

[1] مسلم، **المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم، رقم ١٧٦٣، ج٣، ص١٣٨٣.

سادسا: إلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا[١]. أما النعاس عند القتال قال عنه عبدالله بن مسعود (ﷺ): النعاس في القتال، أمنة من الله عز وجل وفي الصلاة من الشيطان[٢].

وفي امتنان الله تعالى عليهم بالنوم في هذه الليلة وجهان:

أحدهما: قوّاهم بالاستراحة على القتال من الغد.

الثاني: أن أمَّنَهم بزوال الرعب من قلوبهم، كما قال: الأمن منيم، والخوف مسهر[٣].

ومن ميزات هذا النعاس أنه لم يكن عميقا بحيث يمكن العدو منهم، وكان دفعة واحدة للجميع مع كثرتهم، وحصول مع الخوف الشديد أمر خارق للعادة في حكم المعجزة[٤]. وقد أصاب النعاس المؤمنين في غزوة أحد أيضا، وهو مشهور قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

قال ابن كثير: وكأن ذلك كان سجية للمؤمنين عند شدة البأس لتكون قلوبهم آمنة مطمئنة بنصر الله[٥]. وهناك فرق واختلاف بين النعاس في الغزوتين، والسبب في ذلك. قال الشعراوي: في آية الأنفال نعاس وأمنة، وهناك في آية آل عمران أمنة ونعاس؛ لأن الحالتين مختلفتين فتوضح آية آل عمران أن النعاس قد غشى طائفة واحدة من المقاتلين في غزوة أحد بعد أن أصابهم الغم في هذه الغزوة، وهؤلاء هم المؤمنون الصادقون الملتفون حول رسول الله (ﷺ)، أما في سورة الأنفال فتبين الآية أن النعاس قد غشى الجيش كله، حيث كان الجميع على قلب رجل واحد، والإيمان يملأ قلوبهم جميعا، ولا يوجد بينهم منافق، أو مرتاب فغشيتهم جميعا هذه الأمنة بالنعاس؛ لأنه يزيل الخوف، ومن دلائل الأمن والطمأنينة والثقة بنصر الله[٦].

وفي هذا المبحث يذكر تعالى للمؤمنين ما يحفظ به هذا الدين القويم والخير العميم، وهو الدفاع والجهاد في سبيل الله للمحافظة على طهارة ديننا من عبث الكفرة الحاقدين، فذكر ثلة ممن يقتدى بهم في الدفاع عن هذا الدين، هم أهل بدر الصحابة الأطهار الذين أخذوا بأسباب النصر

---

[١] الرازي، **التفسير الكبير**، مصدر سابق، ج١٥، ص٤٦٢، ٤٦١. بتصرف.
[٢] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج١٣، ص٤١٩.
[٣] الماوردي، **النكت والعيون**، مصدر سابق، ج٢، ص٢٩٩.
[٤] الرازي، **التفسير الكبير**، مصدر سابق، ج١٥، ص٤٦١. بتصرف.
[٥] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ١٤١٩هـ، **تفسير القرآن العظيم**، (تحقيق: محمد حسين شمس الدين)، ط١، ج٤، ص٢٢، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت.
[٦] الشعراوي، **خواطر**، ج٨ص٤٥٩٧ محمد متولي الشعراوي، الناشر: مطابع أخبار اليوم، بتصرف.

فكان حليفهم مع قلتهم في العدد والعدة، أمام جحافل الكفرة المشركين، وكان من مبشرات قدوم النصر نزول الماء من السماء زيادة لطهارة قلوبهم وأبدانهم.

وهذا ما نحتاجه في زمننا لمن يريد الدفاع عن الدين، وإعلاء كلمة رب العالمين، نحتاج لطهارة المجاهد والمقاتل طهارة في قلبه طهارة في بدنه طهارة في أفعاله طهارة في معاملاته ومعاهداته وتصرفاته وأخلاقه. بعيدا عن السرقة والخيانة نيته خالصة لله تعالى طاهرة لا يريد بقتاله عرض من الدنيا قليل، بل همه نصرة هذا الدين العظيم، فإذا توفرت في المجاهدين هذه الصفات من الطهارة والتقوى كان النصر من الله العزيز الحكيم.

وهذا الذي تحتاجه دول المسلمين لنصرة دينهم هي طهارة وتقوى ونية خالصة لرب العالمين.

وكثيرا ما يذكر لنا التاريخ من معارك وغزوات ومواقع كان فيها القلة في المسلمين والكثرة لعدوهم، وكان النصر للمؤمنين، والتاريخ خير دليل على هذا.

فالنصر إذن– وهومن الله– لا يأتي إلا بعد أن تطهر القلوب والأبدان والأفعال.

المبحث السادس: طهارة أهل قباء.

قال تعالى: ﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨﴾[التوبة: ١٠٨].

يغلب السياق في آيات سورة التوبة تتحدث عن المنافقين ويفضح سيئ أفعالهم، فبعد أن ذكرت مجموعة منهم في الآيات السابقة، من تركهم للجهاد خوفا من فتنة النساء، ومن أذيتهم لرسول الله(ﷺ) ووصفه بأنه أذن، ومن استهزائهم بالنبي والصحابة، ومن مخالفتهم لعهدهم بالإنفاق، ومن لمز المطوعين في الصدقات، ومن حلفهم بالكذب ليقبل عذرهم في تخلفهم عن الجهاد، ثم ذكر تعالى مجموعة ظن بها النفاق ولكن الله يعلم صدقهم فغرلهم، وتاب عليهم، ثم ذكر مجموعة من المنافقين أقدموا على عمل لم يسبق فعله وإن كان ظاهره لمصلحة الدين، وهو أنهم بنوا مسجدا، وتظاهروا بأنهم ما أردنا ببنائه إلا الفعلة الحسنة، وهي الرفق بالمسلمين.

قال الواحدي إنهم قالوا: إنا قد بنينا مسجدا لذي العلّة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية[١].

ولكن الله فضحهم وبيّن حقيقة أمرهم، فقد أخبر سبحانه: أن الباعث لهم على بناء هذا المسجد أمور أربعة:

الأولى: الضرار لغيرهم، وهو المضارة.

الثانية: الكفر بالله والمباهاة لأهل الإسلام، لأنهم أرادوا ببنائه تقوية أهل النفاق.

الثالثة: التفريق بين المؤمنين، لأنهم أرادوا أن لا يحضروا مسجد قباء، فتقل جماعة المسلمين، وفي ذلك من اختلاف الكلمة وبطلان الألفة ما لا يخفى.

الرابعة: الإرصاد لمن حارب الله ورسوله، أي: الإعداد لأجل من حارب الله ورسوله[٢].

---

[١] الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي،(١٤٣٠هـ) **التَّفْسِيرُ البَسِيْط**، (المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه)، ط١، ج١١، ص٤٨. الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

[٢] الشوكاني، **فتح القدير**، مصدر سابق، ج٢، ص٤٥٨. بتصرف.

ولقد أمر اللهُ تعالى نبيه (ﷺ) بعدم الصلاة فيه؛ لأنه لم يُبْنَ على التقوى، فأمر النبي (ﷺ) بهدمه، وقد روي أن رسول الله (ﷺ) لما نزلت هذه الآية كان لا يمرّ بالطريق التي فيها المسجد، وأمر بموضعه أن يتخذ كناسة تلقى فيها الجيف والأقذار والقمامات[1].

أفضل المساجد:

وتتوالى الآيات لتبين أي المساجد الأوْلى بأن يصلي فيه (ﷺ)، وهو مسجد قباء الذي أسس على التقوى، وهو أول مسجد بني في المدينة المنورة، وكان أول عمل قام به النبي(ﷺ)بعد هجرته من مكّة إلى المدينة.

أما قوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾. [التوبة: ١٠٨].

فبعد أن نهى اللهُ تعالى نبيه (ﷺ)، من الصلاة في المسجد الذي بناه المنافقون والذي سمّاه ضرارا موافقة للنية التي بني من أجلها، وكان من خبثهم، وخديعتهم، أن دعوا رسول الله (ﷺ) أن يُصلي لهم فيها تبركا به، وكان النبي(ﷺ)على سفر، وقال لهم عندما أعود، وفي طريق رجعته أخبر الله تعالى بشأنهم، وفضح أمرهم فأمر بحرقه وهدمه.

وبيّن تعالى لنبيه (ﷺ) أن الأوْلى لك بالصلاة فيه، هو ذلك المسجد الذي كان أساسه التقوى، وهو مسجد قباء على الأرجح، فهو أوّل مسجد بني في الإسلام، فقد بناه النبي (ﷺ)، والصحابة الكرام عند أول وصوله إلى المدينة بعد الهجرة، ووصفه بالتقوى موافقة لمن أقام بنياه، وهم خير من اتُصف بالتقوى، وهو النبي (ﷺ)، والصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين.

وهنا تتضح فوارق كثيرة بين المسجدين، فمسجد قباء بناه النبي(ﷺ)، والصحابة وفي نيّتهم إقامة الدين والإيمان بالله ورسوله، وجمع كلمة المؤمنين والألفة بينهم، ويكون منطلقا لدعوتهم ونشر الدين الحنيف، وهكذا ينبغي أن تكون النية في بناء المساجد. بينما مسجد الضرار فقد بناه المنافقون، وفي نيّتهم الأمور الأربعة التي ذكرتها الآية وهي: المضارة للمؤمنين، والكفر بالله تعالى، والتفريق بين المؤمنين، والإعداد فيه لمن يريد أن يحارب دين الله ورسوله.

---

[1] الواحدي، أسباب نزول القرآن، مصدر سابق، ج١، ص٢٥٩. ذكر فيها سبب نزول هذه الآيات بخصوص مسجد الضرار فعدلت عن ذكرها؛ لطولها ولخروجها عن البحث.

وفيما سبق كانت الفروق بين المسجدين من حيث البناء، والنيّة التي بني كل واحد منهما من أجلها وهناك فروق أخرى بينهما، وهي من حيث من يقوم فيها، فمسجد قباء ذكر الله تعالى صفات من يقومون فيه بالصلاة، وأعمال البر بأنهم رجال وكل صفة مدح لأهل قباء تقابله صفة ذمّ لأهل مسجد الضرار، وهذا معروف بمفهوم المخالفة.

صفات أهل قباء:

وأوّل هذه الصفات لأهل قباء بأنهم رجال:

وفي وصف رجال إشارة إلى أنهم أناس قد كملت رجولتهم، وسلمت لهم إنسانيتهم. فكانوا رجالا حقا، لم ينتقص من إنسانيتهم شيء فالكفر، والشرك، والنفاق، وضعف الإيمان، كلّها أمراض خبيثة، تغتال إنسانيّة الإنسان، وتفقده معنى الرجولة فيه. فالرجل كلّ الرجل، هو من تحرّر عقله من الضلال، وصفت روحه من الكدر، وسلم قلبه من الزيغ. ثم لا عليه بعد هذا ألا يمسك بيده شيء من جمال الصورة، أو وفرة المال، أو قوة السلطان[1]. وفي تنكير لفظ رجال معنى التفخيم، والتعظيم، كقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧﴾ [النور: ٣٧].

وصفة الرجولة تجتمع فيها صفات كريمة، كالشجاعة، والإقدام، والكرم، وعزة النفس، والصدق كلها تنبؤ عن طهارة القلب، بينما هذه الصفات لا توجد في المنافق لأنه جنان يُظهر مالا يُبطن، خائفا من الموت حريصا على الحياة بخيلا شحيحا، ذليل النفس خسيس الطباع، كاذبا فيما يقوله وينقله، وسبب هذا كله عدم طهارة قلبه، ولهذه الصفات أثرها السيئ على رجولتهم، ولم يأت في القرآن الكريم في معرض وصف المنافقين بأنهم رجال في أي آية بينما كانوا يوصفون بأنهم: ومن الناس، ومنهم، وهم الذين، وفي قلوبهم مرض.

الصفة الثانية: أنهم يحبون أن يتطهروا.

---

[1] عبدالكريم الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، مصدر سابق، ج١١، ص٦٨٠.

جاء في سبب نزول هذه الآية: عن أبي هريرة(ﷺ)، قال: قال رسول الله(ﷺ): نزلت في أهل قباء: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾. [التوبة: ١٠٨]. قال: كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية[١].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: في حاضري المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، رجال يحبُّون أن ينظّفوا مقاعدَهم بالماء إذا أتوا الغائط، والله يحبّ المتطهّرين بالماء" [٢]. فقد كانوا هم أول من عُرف باستخدامهم للماء في الاستنجاء، ولم يكن ذلك معروفا عند العرب، وإنما عرف أهل المدينة ذلك لمجاورة اليهود لهم الذين كانوا يستخدمونه في طهارتهم كما ورد ذلك في بعض الروايات. ويحتمل أن تكون الطهارة هنا طهارة معنوية، وهي الطهارة من الذنوب، والمعاصي.

الطهارة معنوية وحسية:

ويذكر الرازي هنا ما يؤيد أن المقصود من الطهارة هي المعنويّة، والحسيّة فيقول: وفي تفسير هذه الطهارة قولان:

الأول: المراد منه التطهُّر عن الذنوب والمعاصي، وهذا القول متعين لوجوه:

أولا: إن التطهّر عن الذنوب والمعاصي هو المؤثر في القرب من الله تعالى واستحقاق ثوابه ومدحه.

ثانيا: إنه تعالى وصف أصحاب مسجد الضرار بمضارة المسلمين والكفر بالله والتفريق بين المسلمين فوجب كون هؤلاء بالضد من صفاتهم. لكونهم مبرئين عن الكفر والمعاصي.

ثالثا: إن طهارة الظاهر إنما يحصل لها أثر وقدر عند الله لو حصلت طهارة الباطن من الكفر والمعاصي، أما لو حصلت طهارة الباطن من الكفر والمعاصي، ولم تحصل نظافة الظاهر، كأن طهارة الباطن ليس لها أثر، فكان طهارة الباطن أولى.

---

[١] ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، مصدر سابق، أبواب الطهارة وسننها، باب الاستنجاء بالماء، رقم٣٥٧، ج١، ص٢٣٤، حسن لغيره.

[٢] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج١٤، ص٤٨٢.

القول الثاني: أن المراد منه الطهارة بالماء بعد الحجر. وهو قول أكثر المفسرين من أهل الأخبار[١]. وهذا ما ذكرنا فيه آنفا من سبب نزول الآية فتأمّله.

والراجح في معنى التطهّر هنا، الطهارة من النجاسة لورود سبب النزول بذلك، وهذا لا يمنع أنه يشمل الأمرين معاً. وهذا ما كان يُعرف عن الأنصار من مسارعتهم لمرضاة الله تعالى، ورسوله (ﷺ)، فوصْفهم لمحبة التطهّر من الذنوب، والمعاصي، ومن الأوساخ، والنجاسات دلالة على المسارعة في فعلها.

قال السعدي: " ومن المعلوم أن من أحبّ شيئا لا بد أن يسعى له ويجتهد فيما يحبّ، فلا بدّ أنهم كانوا حريصين على التطهّر من الذنوب والأوساخ والأحداث، ولهذا كانوا ممن سبق إسلامه، وكانوا مقيمين للصلاة، محافظين على الجهاد، مع رسول الله(ﷺ)، وإقامة شرائع الدين، وممن كانوا يتحرّزون من مخالفة الله ورسوله"[٢]. بخلاف المنافقين الذين كانوا لا يحرصون على طهارة قلوبهم من الحقد، والكيد لدين الله تعالى، وإن كانوا لحرصين على طهارة مظاهرهم دون بواطنهم كما قال تعالى في وصْفهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون: ٤].

ويختم تعالى الآية في حق صفات أهل قباء بأنه سبحانه يحبّهم فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾. [التوبة: ١٠٨]. وفي هذه الآية يؤكد تعالى على مبدإ التطهّر في هذا الدين العظيم، بأنه سبحانه يحبّ المطهرين، من الذنوب، والنجاسة. [٣].

والمطهّرين هم المبالغين في الطهارة الروحية والجسدية، وإنما يبالغون فيها إذا أحبوها، وحينئذ تكمل إنسانيتهم المؤلفة من الروح والجسد. ولا يطيق نجاسة البدن وقذارته إلا ناقص الفطرة والأدب، وأنقص منه من يطيق خبث النفس بالإصرار على المعاصي والعادات القبيحة،

---

[١] الرازي، **التفسير الكبير**، مصدر سابق، ج١٦، ص١٤٨. بتصرف.
[٢] السعدي، **تيسير الكريم**، مصدر سابق، ج١، ص٣٥١.
[٣] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج١٤، ص٤٩٠.

والتخلّق بالأخلاق الذميمة. دعْ رجس المنافقين المرائين في الأعمال، الأشحة الباخلين بالأموال[١].

محبة الله للتوابين والمتطهرين:

وحبّه سبحانه اللائق بربوبيته منزه عن مشابهة حبنا، كتنزه ذاته وسائر صفاته عن مشابهة ذواتنا وصفاتنا، ولكن يظهر أثره في المحبوبين من عباده في أخلاقهم وأعمالهم، ومعارفهم وآدابهم، وأعلاه ما أشار إليه حديث البخاري القدسي عَنْ أبي هُرَيْرَةَ(ﷺ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ(ﷺ): " إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحبّ إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته "[٢].

وقد ذُكر في القرآن الكريم أنه تعالى يُحبّ المتقين، ويُحبّ المحسنين، ويُحبّ الصابرين، ويُحبّ التوّابين، ويُحبّ المتطهرين، ويُحبّ المقسطين، ويُحبّ المتوكّلين. وفي الجانب الآخر فهو سبحانه لا يحبّ الكافرين، ولا يحبّ الظالمين، ولا يحبّ المعتدين، ولا يحبّ المستكبرين، ولا يحبّ الفساد، ولا يحبّ الخائنين، وغيرها من الأفعال السيئة. والذي أردت أن أبينه أن صفة الطّهارة لازمة في جميع الصفات التي يحبّها الله تعالى من عباده فمثلا لن تجد تقيّا أو محسنا أو صابرا أو متوكّلا، إلا وهو طاهر القلب نقيّ السريرة، وعلى العكس من ذلك في الفئة التي لا يحبّ الله من اتصف بصفاتهم مثل الكفر، والظلم، والتكبّر، وغيرها فهؤلاء لم يوصفوا بهذه الصّفات إلا لأنهم لم يطهّروا قلوبهم مما تلبّست به من الذنوب، والمعاصي بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى.

يحذر الله تعالى من فئة فقدت الطهْر والإيمان في حياتها وقلبها، وهي متى كانت ووجدت في مجتمع أفسدته وألحقت بأهله الدمار، هم المنافقون أصحاب الدرك الأسفل من النار، ومنهم أصحاب المسجد الضرار وهي حيلة من حيلهم على الدين ولكن الله تعالى فضح أمرهم وكشف سترهم، وبعدهم يبين تعالى من هم أصحاب المساجد الحقيقيين، والمسجد الذي بني على

---

[١] رشيد رضا، **المنار**، مصدر سابق، ج١١، ص٣٥.

[٢] المصدر السابق، ج١١ص٣٥بتصرف. والحديث عند البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم٦٥٠٢، ج٨، ص١٠٥.

التقوى والرضوان، فذكر أهل مسجد قباء، وأن الله تعالى يحبهم، لسبب أنهم يحبون أن يتطهروا، فه يحبون التطهر من الذنوب والمعاصي كما يحب أن المنافقين يحبون طهارة الظاهر.
فبيوت الله المساجد يجب أن تبنى على أساس التقوى والطهر والإيمان والتعاون، بين رواده، ولهم في أصحاب قباء إسوة حسنة، وبذلك تؤدي رسالتها المنوطة بها.

الهدايات القرآنية:

-١- إن محبة الله تعالى ليست لكل مصلّ بل محبته لكل مصل طاهر القلب والقالب.
-٢- المساجد التي تبنى على النفاق، وهدم الدين لا قيمة لها ولأهلها عند الله تعالى. ولذلك أمر رسول الله(ﷺ) هدم مسجد الضرار وجعل مكانه كناسة.
-٣- محبة العبد لربه أمر مفروغ منه؛ لأنه سبحانه المتفضل بالنعم، ولكن الأمر الذي لا يكون إلا لمن طهّر قلبه وعمله، هو أن الله تعالى هو الذي يحب العبد.

الفصل الثاني

الطهر المعنوي وموضوعاته في القرآن الكريم

المبحث الأول: طهارة القرآن الكريم وقارئه.

ذكر تعالى في كتابه العزيز طهارة القرآن الكريم الموجود في الصحف صراحة ثلاث مرات، وإلا فإن موضوع طهارة القرآن الكريم ذكر بمعناه أكثر من ذلك بكثير لمن أراد أن يتتبعه في كتاب الله، والمواضع الثلاثة هي فيما يلي:

المطلب الأول: طهارة القرآن في اللوح المحفوظ في سورة الواقعة:

قال الله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾. [الواقعة: ٧٩].

تأتي هذه الآية في المقطع الأخير السورة الكريمة، ألا وهو تعظيم القرآن الكريم وطهارته وطهارة الكتاب المكتوب فيه وطهارة الملائكة من حوله.

قال تعالى:﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾[الواقعة: ٧٩]. ونتعرض فيها لمعرفة المطهرون، وسبب طهارتهم، هل الطهارة المطلوبة هنا حسية أو معنوية.

قال الطبري: واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله: ﴿إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ فقال بعضهم: هم الملائكة. قول ابن عباس، وسعيد بن جبير وعكرمة.

وقال آخرون: هم حملة التوراة والإنجيل. قول عكرمة

وقال آخرون: عني بذلك: أنه لا يمسه عند الله إلا المطهرون. عن قتادة، قوله:﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ ذاكم عند ربّ العالمين، فأما عندكم فيمسه المشرك النجس، والمنافق الرَّجِس. ثم قال الطبري: والصواب عندنا إنه عمّ بخبره المطهرين ولم يخصص بعضا دون بعض فشمل كلا من: الملائكة المطهرون، والرسل، والأنبياء المطهرون، فالملائكة الذين ينزلون به مطهرون والرسل، والأنبياء الذين يبلّغونه، ويتلونه على الناس مطهّرون[١].

---

[١] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج٢٣، ص١٥٢، ١٥١، ١٥٠. بتصرف

قال الزمخشري: "والملائكة هم المطهرون من جميع الأدناس أدناس الذنوب وما سواها: إن جعلت الجملة صفه لكتاب مكنون وهو اللوح. وإن جعلتها صفة للقرآن، فالمعنى لا ينبغي أن يمسه إلا من هو على الطهارة من الناس، يعنى مس المكتوب منه"[١].

القول الراجح في المطهرين:

وقد رجح جمهور المفسرين[٢] أن المقصود ب المطهرون هم الملائكة، قال الرازي: إلا المطهرون هم الملائكة طهرهم الله في أول أمرهم وأبقاهم كذلك طول عمرهم ولو كان المراد نفي الحدث لقال: لا يمسه إلا المطهرون أو المطهرون، بتشديد الطاء والهاء، والقراءة المشهورة الصحيحة المطهرون من التطهير لا من الإطهار[٣].

والقول بأنهم الملائكة، هو ما اختاره الإمام مالك حيث قال: أحسن ما سمعت في قوله:﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ [الواقعة: ٧٩]. أنها بمنزلة الآية التي في سورة عبس يريد أن المطهرين هم الملائكة الذين وصفوا بالطهارة [٤].

ويرى الباحث أن المقصود من المطهرين ليس المتوضئون؛ لأنه لو قصدوا بها لقال تعالى المتطهرين، لأن الملائكة مطهَّرة بذاتها، أما البشر فيطلبون الطهارة، فالمطهرون من تكون طهارتهم من غيرهم، أم المتطهرون فطهارتهم مسندة إلى فعلهم وهم البشر، وحيث أراد الله هذا المعنى قال فيه:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾[البقرة: ٢٢٢] وفي الحديث: «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين »[٥].

إذن فالمُطهّر هو من كان طاهر الأصل بدون أن يأتي بها مثل: الملائكة الأطهار والأزواج المطهرة في الجنان.

---

[١] الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج٤، ص٤٦٩.

[٢] البغوي، معالم التنزيل، مصدر سابق، ج٥، ص١٩، وابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج٥، ص٢٥٢، والبيضاوي، أنوار التنزيل أسرار التأويل، مصدر سابق، ج٥، ١٨٣، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، مصدر سابق، ج١٠، ص٩٢.

[٣] الرازي، التفسير الكبير، مصدر سابق، ج٢٩، ص٤٣٢.

[٤] القرطبي، أبو عبد الله محمد، (١٣٨٤هـ-١٩٦٤ م)، **الجامع لأحكام القرآن**، (تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش)، ط٢، ج١٧، ص٢٢٥، دار الكتب المصرية – القاهرة.

[٥] الترمذي، **سنن الترمذي**، مصدر سابق، كتاب الطهارة، باب مايقال بعد الوضوء، رقم ٥٥، ج١، ص١٠٩. الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر.

أما سبب طهارتهم فقد زعم المشركون، أن الشياطين تنزلت به على محمد(ﷺ) فأخبرهم الله أنها لا تقدر على ذلك ولا تستطيعه، وما ينبغي لهم أن ينزلوا به، وهو محجوب عنهم وقرأ:﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ و يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١١][١]. فنفت الآية هذا الزعم من المشركين، وبيّنت أن الشياطين لا تستطيع أن تنزل به، فهذا الكتاب مطهّر، والشياطين غير طاهرة فالشيطان لا يمس هذا الكتاب المكنون في علم الله وحفظه، وإنما تنزل به الملائكة المطهرون[٢]. ثم زاده شرفا بأنه مصون ومحفوظ من أي الآفات، ولو من التراب، أو الغبار[٣]. فقال تعالى: ﴿فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٨]. والمكنون المستور الذي لا تناله أيدي البشر، كما في وصف الحور العين في نفس السورة فقال تعالى:﴿كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [الواقعة: ٧٣] فالقرآن كريم، ومصانٌ من أي نقص، أوعيب، وهذا يؤكد أن المراد بالكتاب هنا هو الذي في اللوْح المحفوظ وهو القول الراجح عند أكثر المفسرين[٤].

ويرى الباحث أن مما يؤكد أن هذا الكتاب هو اللوح المحفوظ، أن الكتاب الله الموجود بين أيدينا لا يسلم من أن يمسه كافر أو يعبث به والعياذ بالله كما هو مشاهد ومعروف، وكثيرا ما حاول أعداء الإسلام تحريف القرآن، بل وقاموا بذلك، ولكن الله فضحهم وكشف أمرهم؛ لأن سبحانه تكفل بحفظ هذا الكتاب فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩].

وهنا يظهر أمرٌ هامٌ وهو ما حكم الطهارة لمن أراد مس المصحف.

مسألة مس المصحف:

اختلفت أقوال الفقهاء في حكم الطهارة لمن أراد أن يمس المصحف الشريف وهي فيما يلي: ومنشأ الخلاف هو هل المقصود من الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ، أما القرآن الذي بين أيدينا، وكذلك هل المقصود من المطهرون الملائكة أما هم بنو آدم، وهل لفظ اللام في قوله:

---

[١] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج٢٣، ص١٤٩. بتصرف.
[٢] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج٦، ص٣٤٧١. بتصرف
[٣] الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، مصدر سابق، ج٢٣، ص١٤٩.
[٤] الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، مصدر سابق، ج٢٣، ص١٤٩، والرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن، (١٤٢٠هـ)، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، غير محقق، ط ٣، ج٢٩، ص٤٣٠. دار إحياء التراث العربي – بيروت.

﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٩]. لفظه الخبر ومعناه الأمر.

رد ابن العربي قول: إن لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر، وقال حققنا أنه خبر عن الشرع، أي لا يمسه إلا المطهرون شرعا، رد الإمام ابن العربي قول: إن لفظه الخبر ومعناه الأمر[١]، وقال ابن عطية: والقول بأن لا يَمَسُّهُ نهي قول فيه ضعف وذلك أنه إذا كان خبرا فهو في موضع الصفة، وقوله بعد ذلك: تَنْزِيلٌ: صفة أيضا، فإذا جعلناه نهيا جاء معنى أجنبيا معترضا بين الصفات، وذلك لا يحسن في رصف الكلام فتدبره[٢]. والآية تحتاج لإخراجها من الخبرية إلى الإنشاء دليل، والأصل إبقاء الخبر على خبريته حتى يوجد المقتضى[٣].

واستدل ابن العربي على طهارة من أراد مس المصحف بمايلي:

-١- الدليل عليها من السنة المطهرة، ومن هذه الأدلة في عدم مس المصحف إلا على طهارة حديث الزهري أنّ في الكتاب الذي كتبه النبي(ﷺ) إلى أهل اليمن في السنن والفرائض والديات: « أن لا يمسّ القرآن إلا طاهر»[٤].

-٢-وكذلك في قصة إسلام عمر(رضي الله عنه) أنّه قال لأخته: أعطوني الكتاب الذي تقرؤون، فقالت: لا يمسه إلا المطهرون، فقام، واغتسل، ومسّ المصحف، وكذلك روي عن كثير من الصحابة أنهم كانوا يأمرون أبناءهم بالوضوء لمس المصحف[٥].

وقد قال أهل العراق منهم إبراهيم النخعي. ولا يمس القرآن إلا طاهر.

واختلفت الرواية عن أبي حنيفة؛ فروي عنه أنه يمسه المحدث، وروي عنه أنه يمس ظاهره وحواشيه وما لا مكتوب فيه. وأما الكتاب فلا يمسه إلا المطهرون. وهذا إن سلم مما يقوي الحجة عليه؛ لأن حريم الممنوع ممنوع، وفيما كتبه النبي (ﷺ) لعمرو بن حزم أقوى دليل عليه. والله أعلم[٦].

---

[١] ابن العربي، مصدر سابق، **أحكام القرآن**، ج٤، ص١٧٥.

[٢] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، مصدر سابق، ج٥، ص٢٥٢. بتصرف.

[٣] السايس، محمد علي السايس، ٢٠٠٢م، **تفسير آيات الأحكام**، (تحقيق: ناجي سويدان)، ط، ج١، ص ٧٢٢، المكتبة العصرية للطباعة والنشر. بتصرف

[٤] مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، (١٤١٢هـ)، **موطأ الإمام مالك**، (تحقيق: بشار عواد معروف- محمود خليل) ط، كتاب وقوت الصلاة، باب لا يمس القرآن إلا طاهر ما جاء في الطهر من قراءة القرآن، رقم ٢٣٤، ج١، ص٩٠. الناشر: مؤسسة الرسالة، الأردن عمان.

[٥] السايس، **تفسير آيات الأحكام**، مصدر سابق، ج١، ص ٧٢٣. بتصرف

[٦] أبو بكر بن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م) **أحكام القرآن**، (راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا)، ط٣، ج٤، ص١٧٤. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

و فرّق الإمام الطحاوي بين القراءة من المصحف، وبين القراءة عن ظهر قلب واستدل بما روي عن سلمان الفارسي (ﷺ) عن عبد الرحمن بن يزيد، قال: كنا مع سلمان، فبرز لحاجة وليس بيننا وبينه نهر ولا ماء، ثم أقبل، فقلنا: يا أبا عبد الله، ألا نأتيك بماء فتتوضأ كي تقرأ علينا؟ فقال: "إني لست أمسه إنه لا يمسه إلا المطهرون"، ثم قرأ علينا حتى قلنا حسبنا.

فدّل هذا الحديث على أن سلمان إنما أراد بقوله " إني لست أمسه " أي: لست بقراءتي إياه مماسا له، ثم قال الطحاوي: لا يمسه إلا المطهرون، يعني: " بالأيدي لا بالتلاوة فهذا الذي وجدناه عن أصحاب رسول الله (ﷺ) في تأويل هذه الآية"، و لا نبيح للجنب ولا للمحدثين غير المتوضئين مماسة المصحف حتى يتطهر، لما قد روي في ذلك عن رسول الله(ﷺ)لما كتبه لعمرو بن حزم، " أن لا يمس القرآن إلا طاهرا " وذلك عندنا على المصاحف المكتوب فيها القرآن وكذلك لا ينبغي للجنب والحائض ولا للمحدثين بالغائط والبول وما سواهما مما ينقض الطهارة أن يمس الدرهم المكتوب فيه السورة من القرآن حتى يطهروا وهذا قول مالك، وأبي حنيفة، وأبي يوسف، والشافعي[١].

إن طهارة مس المصحف ليست مأخوذة من الآية الكريمة، واستدل ابن تيمية على الحكم الشرعي من وجه لطيف فقال: إنّ الآية تدل على الحكم من باب الإشارة فإذا كان الله تبارك وتعالى يخبر أنَّ الصحف المطهَّرة في السماء لا يمسُها إلا المطهّرون فالصحف التي بأيدينا كذلك ينبغي ألاّ يمسّها إلا طاهر.

وقد ذهب الجمهور إلى منع المحدث من مس المصحف، وبه قال علي وابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وابن زيد وعطاء والزهري والنخعي والحكم وحماد وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي[٢].

استثناء المالكية:

وقد استثنى المالكية منهم ما يلي:

١- الصغير لسبب المشقة، وعدم تنفيره من قراءة القرآن.

---

[١]الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، (المجلد ١: ١٤١٦هـ -١٩٩٥م المجلد٢: ١٤١٨ هـ -١٩٩٨م)، **أحكام القرآن الكريم**، (تحقيق: الدكتور سعد الدين أونال)، ط١، ج١، ص١١٨، مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، استانبول.

[٢] صديق خان، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، (٢٠٠٣)، **نيل المرام من تفسير آيات الأحكام**، (تحقيق: محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي)، بدون سنة طبع، ج١، ص٤٢٩،دار الكتب العلمية

-٢- المتعلّم والمعلّم للمشقة، حتى الحائض دون الجنب، وعللوا ذلك؛ لأن الجنب رفع حدثه بيده، ولا يشق عليه كالوضوء، بخلاف الحائض فإن رفع حدثها ليس بيدها. واتفقوا على منع الجنب حتى يغتسل[١].

وفي الآية تفريعات أخرى من الناحية الفقهية تطلب في مظانها لمن أراد التوسع في المسألة وختمت الآيات بقوله تعالى:﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾. [الواقعة: ٨٠]، وذلك بعد أن ذكر صفات لهذا الكتاب من كرامة، وصون، وحفظ، وصفات لمن ينتاولونه بالطهارة والنزاهة جاءت الآية لتؤكد أن هذا الكتاب ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾. [الواقعة: ٨٠]، وقد مهدت الآيات قبلها ببيان آثار قدرة الله في خلق النجوم، وتحديد أماكنها، وتنظيم سيرها بحيث لا يصطدم نجم بآخر. فقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾. [الواقعة: ٧٥]. وهذا أمر عظيم لأن هناك ملايين النجوم والتي لا نعلم منها إلا القليل القليل. وكأن الآية تشير في عدم اصطدام النجوم، وسيرها في مسارها الصحيح بأن القرآن الكريم مع كثرة آياته، وأحكامه وموضوعاته، فإنها لا تتعارض الآيات مع بعضها البعض، ولا يناقض بعضها بعضا، فهي كالنجوم في ضيائها، ونظامها، وسيرها.

ثم بين تعالى مكانة القرآن الكريم فشرع في ذكر صفاته فقال تعالى:﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [الواقعة: ٧٣] ، فهو كريم بمصدره، كريم بذاته، وكريم باتجاهاته، كريم على الله، كريم على الملائكة، كريم على المؤمنين، قال الرازي: كريم أي لا يهون بكثرة التلاوة ويبقى أبد الدهر كالكلام الغض والحديث الطري، والكريم اسم جامع لصفات المدح، قيل: الكريم هو الذي كان طاهر الأصل ظاهر الفضل، والكريم عند العامة هو كثير العطاء فمن طلب منه شيئا أعطاه، وكذلك القرآن الكريم، فالفقيه يستدل به ويأخذ منه، والحكيم يستمد به ويحتج به، والأديب يستفيد منه ويتقوى به، والمفسّر، والخطيب، والواعظ، غيرهم هكذا[٢].

---

[١] وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت الطبعة: (من ١٤٠٤ ١٤٢٧هـ)، الأجزاء ١ ٢٣: الطبعة الثانية، دار السلاسل – الكويت، والأجزاء ٢٤ ٣٨: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة مصر والأجزاء ٣٩ ٤٥: الطبعة الثانية، طبع الوزارة، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، صادر عن: عدد الأجزاء: ٤٥ جزءا، ج٣٨، ص٦، ٩. بتصرف

[٢] الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن، (١٤٢٠هـ)، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، غير محقق، ط ٣، ج٢٩، ص٤٣٠، دار إحياء التراث العربي – بيروت. بتصرف

ثم زاده شرفا بأنه مصون ومحفوظ من أي الآفات، ولو من التراب، أو الغبار[١]. فقال تعالى:﴿ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨﴾ [الواقعة: ٧٨]. والمكنون المستور الذي لا تناله أيدي البشر، كما في وصف الحور العين في نفس السورة فقال تعالى: ﴿كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ ٢٣﴾ [الواقعة: ٧٣] فالقرآن كريم، ومصانٌ من أي نقص، أوعيب، وهذا يؤكد أن المراد بالكتاب هنا هو الذي في اللوْح المحفوظ وهو القول الراجح عند أكثر المفسرين[٢].

وبعد أن ذكر صفات لكتابه، شرع في ذكر صفات من يتناولونه من الملائكة، والأنبياء، والرسل بأنهم مطهّرون من الذنوب والآثام

وكذلك من أكرمه الله عز وجل من هذه الأمة من ترتيل وحفظ لكتابه العزيز فإنه يطهرُ قلوبهم وكثرة تلاوة القرآن دلالة على طهارة قلب قارئه، « لو أن قلوبنا طهرت ما شبعت من كلام ربنا، وإني لأكره أن يأتي علي يوم لا أنظر في المصحف» وما مات عثمان(ﷺ) حتى خرق مصحفه من كثرة ما كان يديم النظر فيه[٣].

فالقلب الطاهر، لكمال حياته ونوره وتخلّصه من الأدران والخبائث، لا يشبع من القرآن، ولا يتغذّى إلا بحقائقه، ولا يتداوى إلا بأدويته، بخلاف القلب الذى لم يطهّره الله تعالى، فإنه يتغذّى من الأغذية التي تناسبه، بحسب ما فيه من النجاسة. فإن القلب النجس كالبدن العليل المريض، لا تلائمه الأغذية التي تلائم الصحيح. [٤]

---

[١] الطبري، محمد بن جرير، (١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م)، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط ١، ج٢٣، ص١٤٩، مؤسسة الرسالة. الأردن- عمان.

[٢] الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، مصدر سابق، ج٢٣، ص١٤٩، والرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن، (١٤٢٠هـ)، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، غير محقق، ط ٣، ج٢٩، ص٤٣٠. دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[٣] البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، (١٤١٣هـ -١٩٩٣م)، **الأسماء والصفات للبيهقي**، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، ط١، باب ما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين رضي الله عنهم في أن القرآن كلام الله غير مخلوق، رقم ٥٢٤، ج١، ص٥٩٣. الناشر: مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية.

[٤] ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (بدون سنة) **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان** (تحقيق: محمد حامد الفقي)، ط، ج١، ص٥٥، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية. بتصرف.

المطلب الثاني: مكانة وطهارة القرآن عند الله تعالى:

قال الله تعالى:﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١٦].

تتابعت الآيات بذكر صفات تتعلق بالقرآن الكريم: فقال تعالى: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾. [عبس: ١٦]. والصحف يعني بها اللوح المحفوظ، ومكرمة لما فيها من الحكم، والعلم[١]. ووصفها بالمكرمة؛ لأنها نزلت من كريم، وكرامة الكتاب من كرامة صاحبه، ونزل بها كرام حفظة[٢]. وهذه الصحف مع كرامتها فهي رفيعة القدر عند الله عز وجل، أو هي في السماء السابعة [٣]. ويمكن الجمع بين القولين بأن هذه الصحف هي اللوح المحفوظ، وهي مرفوعة القدر.

وقد جاء في معنى الطهارة في هذه الآية أكثر من معنى، فمنها أنها منزهة عن التناقض، والكذب والعيب[٤]. ومنزهة عن أيدي الشياطين، فلا يمسها إلا أيدي ملائكة مطهّرين[٥]. وهذا المعنى مأخوذ بالمقابلة، فإذا كانت بأيدي الملائكة الأطهار، فهي منزهة أن تمسها الشياطين الأشرار، فالملائكة تصونها وتحفظوها من النقص أو الزيادة، بعكس الشياطين التي عرفت بالكذب والافتراء.

وهي كذلك مطهرة من أن تنزل على قوم مشركين؛ لأن قلوبهم ليست طاهرة فهي مليئة بالشرك، والكفر، وعبادة غير الله من الأصنام، والأوثان، وهي مطهرة أيضا من الشرك والكفر، فهي تدعوا إلى توحيد الله تعالى، وإفراده سبحانه دون غيره بالعبادة، وتحذرهم من ارتكاب الكبائر من عبادة الأوثان.

---

[١] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج٢٤، ص٢٢١.
[٢] الماوردي، **النكت والعيون**، مصدر سابق، ج ٦، ص ٢٠٣.
[٣] البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، مصدر سابق، ج٥، ص٢١١.
[٤] السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، (١٤١٣هـ- ١٩٩٣م)، **بحر العلوم**، تحقيق علي معوض، وآخرين بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ج٣، ص٥٤٧.
[٥] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، ١٤٠٧هـ، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، غير محقق، ط٣، ج٤، ص٥٤٧. دار الكتاب العربي، بيروت.

ولمكانة هذا الكتاب أنه سبحانه جعل الملائكة والصحف مطهرة؛ لأن الصحف يقع عليها التطهير، فجعل التطهير لمن حملها أيضا[١]، وهذه بشارة أيضا لمن يحفظ كتاب الله ويتلوه ويتدبره، بأن يناله من طهارة هذا القرآن الكريم.

صفات الملائكة السفرة:

وعندما انتهى سبحانه من ذكر صفات القرآن الكريم، شرع في ذكر صفات الملائكة الموكلون به فوصفهم بأنهم فقال: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾. [عبس: ١٦].

الصفة الأولى: سفرة، أي جعل تعالى الملائكة إذا نزلت بوحيه[٢]، كالسفير الذي يصلح بين القوم قال الشاعر[٣]:

وما أدَعُ السِّفارةَ بين قوْمي. . . وما أمْشي بغِشٍ إنْ مَشَيْتُ[٤].

الصفة الثانية: أنهم كرام قال عطاء: يتكرّمون أن يكونوا مع ابن آدم إذا خلا مع زوجته للجماع أو قضاء الحاجة[٥]، وهم أعزاء على الله تعالى معظمين عنده، فهم من الكرامة بمعنى التوقير، أو متعطفين على المؤمنين يستغفرون لهم، ويرشدونهم إلى ما فيه الخير بالإلهام وينزلون بما فيه تكميلهم من الشرائع فهو من الكرم ضد اللؤم[٦].

وهنا ربط بين صفة الكرم للصحف وللملائكة، ولمن يقرأ القرآن، وهي إشارة على أن من قرأ القرآن وحفظه يكتسب هذه الصفة الحسنة من الكرم والجود، وهذا ما كان معلوم من خلقه(ﷺ) فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان رسول الله(ﷺ) أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلَرَسول الله (ﷺ) أجود بالخير من الريح المرسلة[٧].

---

[١] البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر**، مصدرسابق، رقم ٤٩٣٧، ج٦، ص١٦٦.
[٢] ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، مصدر سابق، ج٤، ص٤٠١،. بتصرف.
[٣] هو موسى بن جابر بن أرقم، وهو حنيفي نصراني يمامي جاهلي، ويعرف بابن ليلى، ويلقب بأ زيرق اليمامة، وبه يعرف: الوافر. أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس(١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م)، **البصائر والذخائر**، (تحقيق: د/ وداد القاضي)، ط١، ج٢، ص١٩٢. الناشر: دار صادر – بيروت.
[٤] المرزباني، **معجم الشعراء**، مصدر سابق، ج٥، ص٣٧٧.
[٥] الرازي، **التفسير الكبير**، مصدر سابق، ج٣١، ص٥٦
[٦] الألوسي، **روح المعاني**، مصدر سابق، ج١٥، ص٢٤٥. بتصرف.
[٧] البخاري، **الجامع الصحيح المختصر**، مصدر سابق، بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي رقم ٦، ج١، ص٨.

الصفة الثالثة: أنهم بررة فهم مع كل ما سبق من صفاتهم الحسنة بررة أي صادقون في أعمالهم مطيعون لله تعالى[١]. قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾[التحريم: ٦]. واختُص جمْع الملائكة ببررة، والآدميين بالأبرار في القرآن، والسنة المطهرة؛ لأن الأبرار من صيغ القلة دون البررة، ومتقو الملائكة أكثر من متقي الآدميين فناسب استعمال صيغة القلة وإن لم ترد حقيقتها في الآدميين دونهم[٢]. ولعلك تلحظ معي أن صفات الملائكة التي كلفت بهذا الأمر لكتاب الله العزيز تزيد عن غيرهم من الملائكة وذلك لقربهم من تلك الصحف. وقد جمُعت هذه الصفات في حديث النبي(ﷺ)، الذي وعد فيه بالأجريْن لمن قرأ القرآن وهو عليه شاق فعن عائشة، عن النبي (ﷺ) قال: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران»[٣].

وقد جاءت هذه الآيات في تحديد مقصد القرآن الكريم و مهمته في أنه تذكرة لمن أراد ذكره واتباع ما فيه، وكل ما ذكر في هذه الآيات من وصف للقرآن والملائكة مايزيد من اطمئنان وثقة بأنه كلام رب العالمين.

جاء في سبب نزول الآيات وهو ابن أم مكتوم، وذلك أنه أتى النبي(ﷺ) وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام وعباس بن عبد المطلب وأبيا وأمية ابني خلف، ويدعوهم إلى الله تعالى ويرجو إسلامهم، فقام ابن أم مكتوم وقال: يا رسول الله، علمني، مما علمك الله؛ وجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري أنه مشتغل مقبل على غيره، حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله (ﷺ) لقطعه كلامه، وقال في نفسه: "يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان والسفلة والعبيد"، فعبس رسول الله(ﷺ) وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم، فأنزل الله تعالى هذه الآيات، فكان رسول الله (ﷺ) بعد ذلك يكرمه، وإذا رآه يقول: "مرحبا بمن عاتبني فيه ربي"[٤].

---

[١] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مصدر سابق، ج١٩، ص٢١٧.

[٢] الألوسي، **روح المعاني**، مصدر سابق، ج١٥، ص ٢٤٥. بتصرف.

[٣] مسلم، المسند الصحيح المختصر، مصدر سابق، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر في القرآن، والذي والذي يتتعتع فيه، رقم٧٩٨، ج١، ص٥٤٩. (ويتتعتع فيه) هو الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه فله أجران أجر بالقراءة وأجر بتتعتعه في تلاوته ومشقته]

[٤] الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، (١٤١٢هـ -١٩٩٢م) **أسباب نزول القرآن**، (تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان)، ط٢، ج١، ص٤٤٩. الناشر: دار الإصلاح – الدمام.

وأجمع المفسرون على أن الذي عبس هو الرسول(ﷺ)، والأعمى هو عبد الله ابن أم مكتوم (رضي الله عنه)[١].

وقد قال أغلب المفسرين أن المعاتبة للنبي(ﷺ) كانت لتركه الأوْلى، بينما يرى ابن عاشور أن المعاتبة كانت على العبوس والتولّي، لا على ما حف بذلك من المبادرة بدعوة للمشرك، وتأخير إرشاد للمؤمن، لأن ما سلكه (ﷺ) هو من طريق الاجتهاد القويم فيما لم يوح إليه فيه، والحادثة إرشادين لا محيص من تقديم أحدهما على الآخر الأول إرشاد كافر إلى الإسلام عساه أن يسلم، والثاني إرشاد مؤمن إلى شعب الإسلام عساه أن يزداد تزكية[٢].

المطلب الثالث: طهارة قارئ الصحف:

قال تعالى: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ۝٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ۝٣﴾. [البينة: ٣].

تحدّثت الآية الأولى في هذه السورة الكريمة عن حال أهل الكتاب، والمشركين في عدم ترك ما هم فيه من العبادة حتى تأتيهم البينة، وما كانوا لينفكّوا، ويتحوّلوا عن هذا الكفر الذي صاروا إليه، إلّا بهذه الرسالة الجديدة، وإلّا على يد رسول، يكون هو ذاته بيّنة واضحة، فارقة فاصلة[٣].

والتعبير عن إتيانه بصيغة المضارع باعتبار حال المحكي لا باعتبار حال الحكاية كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [البقرة: ١٠٢] أي تلت[٤].

أما قوله تعالى:﴿حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ أي الحجّة الواضحة وهي محمد (ﷺ) أتاهم بالقرآن فبيّن لهم ضلالتهم وجهالتهم، وهداهم إلى الإيمان. حيث فسّر البيّنة فقال: ﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾. فأبدل النكرة من المعرفة كقوله: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾ [البروج: ١٦][١].

---

[١] النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد، (١٤١٦ هـ)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، (تحقيق: الشيخ زكريا عميرات)، ط١، ج٦، ص٤٤٦، دار الكتب العلمية، بيروت.
[٢] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مصدر سابق، ج١٥، ص١١٣. بتصرف
[٣] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج ٦، ص ٣٩٤٨. بتصرف.
[٤] الألوسي، **روح المعاني**، مصدر سابق، ج ١٥، ص ٤٢٧.

وإضافة الرسول إلى الله تدل على مكانته (ﷺ)، ثم ذكر حال النبي (ﷺ) مع هذه الصحف أنه يتلوها وجاءت بالفعل المضارع الذي يدل على المواظبة والاستمرار، ومن معاني التلاوة التدبر والاتباع، والعمل به قال تعالى:﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١﴾ [البقرة: ١٣١]. قال الطبري: "والصواب من القول في تأويل ذلك أنه بمعنى: يتبعونه حق اتباعه، من قول القائل: ما زلت أتلو أثره، إذا اتبع أثره، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك تأويله"[٢].

قوله تعالى: ﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ٢﴾، أي يقرأ صحفا مطهّرة من الباطل،﴿فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ٣﴾، وهي في الصحف المطهرة كتب من الله قيمة عادلة مستقيمة، ليس فيها خطأ، لأنها من عند الله[٣].

وهي مطهّرة من الشرك والكفر، وهذه الصحف المطهّرة- وهي هذا القرآن- فيها كتب قيمة أي موضوعات وحقائق قيّمة[٤].

أما قوله تعالى: ﴿يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ٣﴾ يتلوا صحفا مطهرة فيها كتب قيّمة فاعلم أن الصحف جمع صحيفة وهي ظرف للمكتوب، وفي: المطهرة وجوه:

أحدها: مطهرة عن الباطل وهي كقوله: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾. [فصلت: ٤٢]. وقوله:﴿ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤ ﴾ [عبس: ١٤].

ثانيها: مطهرة عن الذكر القبيح فإن القرآن يذكر بأحسن الذكر ويثنى عليه أحسن الثناء.

---

[١] الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن** ، مصدر سابق، ط١، ج١٠، ص٢٦٠.
[٢] الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج٢، ص٥٦٩.
[٣] المصدر السابق، ج٢٤، ص٥٤٠.
[٤] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج٦، ص ٣٩٤٨. بتصرف.

ثالثها: أن يقال: مطهرة أي ينبغي أن لا يمسها إلا المطهرون، كقوله تعالى:﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾. [الواقعة: ٧٨، ٧٩]. واعلم أن المطهرة وإن جرت نعتا للصحف في الظاهر فهي نعت لما في الصحف وهو القرآن[١].

وفي هذه الآية لا يوجد أدنى شك أن هذه الصحف هي القرآن الكريم، بعكس ما ذكر في سورة الواقعة بأنها في كتاب مكنون مصون، وفي سورة عبس بأنها مرفوعة، وبأيدي سفرة، أما في هذه السورة تظهر لنا أنها آيات القرآن الكريم، وأن تلاوتها كانت من النبي(ﷺ)، وهذه السورة مدنية بعكس سورتي الواقعة، وعبس فإنهما مكيتان.

بعكس حال المشركين وأهل الكتاب الذين تفرقوا بين مؤمن، وكافر بعد ظهور الحجة الواضحة على صدق رسالة محمد (ﷺ) وتدل الآية علي أنه (ﷺ) كان يتلو عن ظهر قلبه، لا عن كتاب، لأنه كان أميا، لا يكتب ولا يقرأ[٢].

طهره صلى الله عليه وسلم:

وقد كان من طهره (ﷺ) يقرأ القرآن ويسمعه من غيره، فقد قرأ (ﷺ) على أبيّ(رضي الله عنه)، قال بعضهم ليعلّم الناس التواضع وطهارة القلب عند المعلّم والمربي، ولئلا يأنف أحد من التعلّم والقراءة على من دونه في المنزلة. وفيه فضيلة عظيمة لأبي(رضي الله عنه)، إذ أمر الله رسوله أن يقرأ عليه وفيه من الفقه قراءة العالم على المتعلّم[٣].

وأما السماع من غيره (ﷺ) فعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال لي النبي (ﷺ): «اقرأ عَليّ» قلت: آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: « فإني أحبّ أن أسمعه من غيري» فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ۝٤١﴾. [النساء: ٤١] قال: «أمسك» فإذا عيناه تذرفان[٤].

---

[١] الرازي، **التفسير الكبير**، مصدر سابق، ج ٣٢، ص٢٤٠.
[٢] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مصدر سابق، ج٢٠، ص١٤٢. بتصرف.
[٣] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر السابق، ج٢٠، ص ١٣٩. بتصرف.
[٤] البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، كتاب تفسير القرآن، باب {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا} [النساء: ٤١] " رقم ٤٥٨٣، ج ٦، ص ٤٥.

وكذلك كان حال الصحابة من بعده (ﷺ) فقد كان عمر(رضي الله عنه) يقول لأبى موسى الأشعري (رضي الله عنه) ذكرنا ربنا فيقرأ حتى يكاد وقت الصلاة يتوسط فيقول يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول انا في الصلاة وفى الحديث من استمع آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة فظهر أن استماع القرآن من الغير في بعض الأحيان من السنن[١].

وقد كان لسماع القرآن الكريم كثير الأثر في إسلام المشركين في زمن النبي (ﷺ)، وكثير من غير المسلمين في الزمن الحاضر، ونذكر قصة إسلام الطفيل بن عمرو طريف الدوسي، صاحب رسول الله وكان سيدا مطاعا من أشراف العرب، ذكر ابن إسحاق، أن الطفيل بن عمرو قال: كنت رجلا شاعرا، سيدا في قومي، فقدمت مكة، فمشيت إلى رجالات قريش، فقالوا: إنك امرؤ شاعر سيد، وإنا قد خشينا أن يلقاك هذا الرجل، فيصيبك ببعض حديثه، فإنما حديثه كالسحر، فاحذره أن يدخل عليك وعلى قومك ما أدخل علينا، فإنه فرق بين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وابنه. فو الله ما زالوا يحدثوني شأنه، وينهوني أن أسمع منه، حتى قلت: والله لا أدخل المسجد إلا وأنا ساد أذني. قال: فعمدت إلى أذني، فحشوتها كرسفا[٢]، ثم غدوت إلى المسجد، فإذا برسول الله(ﷺ) قائما في المسجد، فقمت قريبا منه، وأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله. فقلت في نفسي: والله إن هذا للعجز، وإني امرؤ ثبت، ما تخفى علي الأمور حسنها وقبيحها، والله لأتسمعنّ منه، فإن كان أمره رشدا أخذت منه، وإلا اجتنبته. فنزعت الكرسفة، فلم أسمع قط كلاما أحسن من كلام يتكلم به. فقلت: يا سبحان الله! ما سمعت كاليوم لفظا أحسن ولا أجمل منه. فلما انصرف تبعته، فدخلت معه بيته، فقلت: يا محمد! إن قومك جاؤوني، فقالوا لي: كذا وكذا، فأخبرته بما قالوا، وقد أبى الله إلا أن أسمعني منك ما تقول، وقد وقع في نفسي أنه حق، فاعرض علي دينك. فعرض علي الإسلام، فأسلمت[٣].

فحري بنا ونحن نعيش في زمن هجر فيه كثير من الناس لا أقول العمل بالقرآن أو حفظه أو قراءته! بل هجروا فيه حتي لسماعه أو النظر إليه، وبينما تجد الواحد منا يجلس الساعات الطوال أمام التلفاز والأنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، ولايستطيع أن يجلس ولو قليلا لقراءة أو لسماع القرآن الكريم

---

[١] أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، دون سنة، **روح البيان**، دون تحقيق، ط. . ، ج١٠، ص٤٩٢، ٤٩١، دار الفكر، بيروت. بتصرف.

[٢] الكرسف هو القطن.

[٣] الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، رقم ٧٥، ج١، ص٣٤٤.

طهارة القرآن الكريم والذي لا يدعوا إلا لكل طهر وعفاف في أحكامه وينبذ من سيئ وخبيث وتركه، فقد ذكر طهارته في ثلاث مواضع من القرآن الكريم، في سورة الواقعة، وسورة عبس، وسورة البينة، وكلا من سورتي الواقعة وعبس مكيتان بلا خلاف والجانب المكي يهتم غالبا بأمور يقيم بها الحجّة على صدق هذا القرآن ورسالته بتبيين أصله وأساسه، ويثبت الإيمان والعقيدة في قلوب المؤمنين، فبين تعالى في هاتين السورتين مكانة القرآن الكريم، ووصفاته، والتي منها طهارته وصفات من يمسه ومن هم كتبته، وما وظيفته، فهو في كل أحواله منزّه عن العيب والتناقض وأن تناله أيدي الشياطين بسوء؛ لأنه مصون عند الله تعالى محفوظ، وبعد أن بان للناس ووضحت عندهم حقيقة القرآن الكريم أصله ومنبعه جاءت الآية التي في سورة البينة بالأمر باتباع هذه الآيات البيّنات وصدق ما فيها من الأحكام والعبر، وسورة البيّنة من السور المدنيّة التي تهتم بأظهار الأحكام الشرعية، فكان في ترتيب هذه السور حسب المصحف الشريف طريقة علمية دعوية يستفيد منها الدعاة إلى الله تعالى في دعوتهم غيرهم، بأن يوضحوا لهم الطريق لمعرفة الدين و حقيقة هذا الكتاب المُطهّر.

فجدير بنا أن نتطهر بهذا الكتاب الكريم وذلك بتلاوة آياته وتدبرها والعمل بما فيها لينالنا الطهر في قلوبنا وجوارحنا فبكثرة التلاوة تكون طهارة القلوب ونذكر هنا قال: سمعت الحسن، يقول: قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: «لو أن قلوبنا طهرت ما شبعت من كلام ربنا، وإني لأكره أن يأتي علي يوم لا أنظر في المصحف» وما مات عثمان رضي الله عنه حتى خرق مصحفه من كثرة ما كان يديم النظر فيه[1].

وأما عند هجرانه تكون قسوة القلوب وبالبعد عن تطبيقه، تكون المعاصي والذنوب التي تكون هي سببا في عدم طهارة القلوب، فكل ما نحن فيه من المشاق والمتاعب سببه بعدنا عن كتاب الله العزيز تلاوة وعملا، وهذا الكتاب أنزله الله تعالى ليكون لنا إمامنا ونبراسا في حياتنا، وأ ن يحكم بين الأحياء لا أن يقرأ على الأموات.

فما علينا إلا أن نتبع ما جاء في كتاب ربنا عز وجل ونعمل بما فيه لنسعد في الدنيا بالطهر والتقى وفي الآخرة بالنعيم والرضى. قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾[طه: ١٢٣].

---

[1] البيهقي، **الأسماء والصفات للبيهقي**، مصدر سابق، ط١، باب ما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين رضي الله عنهم في أن القرآن كلام الله غير مخلوق، رقم ٥٢٤، ج١، ص٥٩٣.

الهدايات القرآنية:

إن طهارة القرآن الكريم وقارئه لها ثلاث مراحل:

الأولى التعريف بمكانته، الثانية وظيفته، الثالثة التطبيق العملي.

الربط بين المواضع الثلاثة:

-١- سورة الواقعة ذكر فيها مكانة القرآن الكريم، وعلو شأنه. . . . معرفة منزلة القرآن.

-٢- سورة عبس ذكر فيها أن هذا القرآن الكريم تذكرة للمدكر. . . . معرفة مهمّة القرآن.

-٣- سورة البيّنة ذكر فيها الطريق الصحيح لتطبيق القرآن. . . . . التطبيق العملي.

المبحث الثاني: أمهات المؤمنين.

المطلب الأول: طهارة أهل البيت.

يبيّن تعالى العلّة، والسبب في كل هذه النواهي، والأوامر فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾. [الأحزاب: ٣٣].

ومعناها إنما يريد الله أن يخلصكنَّ من دنس المعاصي، ويطهركنَّ من الآثام، التي يتدنس بها عِرض الإنسان كما يتلوث بدنه بالنجاسات[١]. وفي العبارة تلطف ببيان علة التكليف وغايته. تلطف يشي بأن الله سبحانه يشعرهم بأنه بذاته العلية يتولى تطهيرهم وإذهاب الرجس عنهم. وهي رعاية علوية مباشرة بأهل هذا البيت. و حين نتصوّر من هو القائل جل وعلا ندرك مدى هذا التكريم العظيم [٢]. قال الرازي: "وهنا لطيفة وهي أن الرجس قد يزول عينا ولا يطهر المحل فقوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾. أي يزيل عنكم الذنوب ويطهركم أي يلبسكم خلع الطهارة والكرامة" [٣].

مسألة من هم أهل البيت؟

وفي قوله تعالى ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ – ثلاثة أقاويل[٤]:

أحدها: أنه عنى علياً وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، وهو قول أبو سعيد الخدري وأنس بن مالك وعائشة وأم سلمة رضي الله عنهم.

الثاني: أنه عنى أزواج النبي (ﷺ) خاصة، وهو قول ابن عباس وعكرمة.

الثالث: أنها في الأهل والأزواج، وهو قول الضحاك.

ويرى الباحث أن قول الضحاك أنها في الأهل والأزواج هو الصحيح لما يأتي:

---

[١] الصابوني، محمدعلي، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧م، **صفوة التفاسير**، ط١، ج٢، ص٤٨١، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
[٢] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج٥، ص٢٨٦٢. بتصرف.
[٣] الرازي، **التفسير الكبير**، مصدر سابق، ج٢٥، ص١٦٨.
[٤] الماوردي، **النكت والعيون**، مصدر سابق، ج٤، ص٤٠١.

أولا: ترك تعالى خطاب المؤنثات وخاطب بخطاب المذكرين ليدخل فيه نساء أهل بيته ورجالهم.

ثانيا: لحديث زيد بن أرقم(ﷺ) أنه قال: قام رسول الله (ﷺ) يوما فينا خطيبا، بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: " أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به " فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: « وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» فقال له حصين: ومن أهل بيته؟ يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم[١].

حدثني من سمع أم سلمة تذكر: أن النبي(ﷺ) كان في بيتها، فأتته فاطمة رضي الله عنها ببرمة فيها خزيرة، فدخلت بها عليه، فقال لها: "ادعي لي زوجك وابنيك"، قالت: فجاء علي وحسن وحسين، فدخلوا فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له، وكان تحته كساء خيبري، قالت: وأنا في الحجرة أصلي، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾. [الأحزاب: ٣٣]قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثم أخرج يديه فألوى بهما إلى السماء ثم قال: "اللهم هؤلاء أهل بيت وخاصتي وحاميتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا"، قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله، قال: " إنك إلى خير، إنك إلى خير"[٢].

فهو يسمّيهم أهل البيت بدون وصف للبيت ولا إضافة. كأنما هذا البيت هو البيت الوحيد في هذا العالم، المستحق لهذه الصفة. فإذا قيل البيت فقد عرف وحدد ووصف. ومثل هذا قيل عن الكعبة. بيت الله. فسميت البيت. والبيت الحرام. فالتعبير عن بيت رسول الله (ﷺ) كذلك تكريم وتشريف واختصاص عظيم[٣].

---

[١] مسلم، **المسند الصحيح المحتصر**، مصدر سابق، رقم٢٤٠٨، ج٤، ص١٨٧٣.
[٢] الواحدي، أسباب النزول، مصدر سابق،
[٣] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج٥، ص٢٨٦٢.

والرجس: هي الأفعال الخبيثة والأخلاق الدنيئة، فالأفعال الخبيثة الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وما قلّ وما جلّ. والأخلاق الدنيئة الأهواء والبدع كالبخل والشحّ وقطع الرّحم، ويريد بهم الأخلاق الكريمة كالجود والإيثار والسخاء وصلة الرّحم، ويديم لهم التوفيق والعصمة والتسديد، ويطهرهم من الذنوب والعيوب[١].

معنى طهارة أهل البيت:

وأما قوله تعالى: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وفي تأويلها ثلاثة أوجه:

الأول: يذهب عنكم رجس الأهواء والتبرج ويطهركم من دنس الدنيا والميل إليها.

الثاني: يذهب عنكم رجس الغل والحسد، ويطهركم بالتوفيق والهداية.

الثالث: يذهب عنكم رجس البخل والطمع ويطهركم بالسخاء والإيثار[٢].

قال الزمخشري: واستعار للذنوب: الرجس، وللتقوى: الطهر، لأنّ عرض المقترف للمقبحات يتلوّث بها ويتدنس، كما يتلوث بدنه بالأرجاس. وأما المحسنات، فالعرض معها نقى مصون كالثوب الطاهر. وفي هذه الاستعارة ما ينفر أولى الألباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه، ويرغبهم فيما رضيه لهم وأمرهم به[٣]. ومعلوم أنه تعالى لم يرد تطهيراً عن نجاسة في ثوب وبدن، وإنما أراد تطهير النفس الذي تستحق به المدح، والثناء[٤].

وقبلها حذّرهن من إتيان الفاحشة فيكون عذابهن مضاعفا، قال الزمخشري: وإنما ضوعف عذابهنّ لأنّ ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهنّ وأقبح، لأن زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة[٥]. ثم نهاهن تعالى عن أمور لا يليق بمن كان في منزلتهن من فعل الترقق والتكسّر بالقول للرجال الأجانب منهن، وأن يقلن قولا عفيفا حسنا لا ريبة فيه، ثم أمرهن بالإقرار في بيوتهن ولا يخرجن لغير حاجة، وإن خرجن فعليهن أن يكن بهيئة محتشمة محجبات بدون إظهار زينة، كما كانت تفعله النساء في الجاهلية الأولى، وهذه الأمور التي نهى الله تعالى

---

[١] القشيري، عبد الكريم بن هوازن، بدون سنة، **لطائف الإشارات = تفسير القشيري**، (تحقيق: إبراهيم البسيوني)، ط٣، ج٣، ص١٦٠، ١٦١ الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر.

[٢] الماوردي، **النكت والعيون**، مصدرسابق، ج٤، ص٤٠١.

[٣] الزمخشري، **الكشاف**، مصدرسابق، ج٣، ص٥٣٨. بتصرف.

[٤] الأصفهاني، **تفسير الراغب**، مصدر سابق، ج١، ص١٢٧. بتصرف.

[٥] الزمخشري، **الكشاف**، مصدر سابق، ج٣، ص٥٣٦. بتصرف.

عنهن نساء النبي(ﷺ)، وهن الطاهرات العفيفات فمن باب أولى لغيرهن من نساء المؤمنين، وليست مقصورة عليهن فقط، وبعد هذا النهي أمرهن تعالى بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله (ﷺ).

قال ابن كثير: " نهاهنَّ أولاً عن الشر، ثم أمرهن بالخير، من إقامة الصلاة وهي عبادة الله وحده، وإيتاء الزكاة وهي الإحسان إلى المخلوقين ﴿وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾. أي أطعن الله ورسوله في جميع الأوامر والنواهي، وهذا من باب عطف العام على الخاص[١].

وأخيرا فإنه يجعل تلك الأوامر والتوجيهات وسيلة لإذهاب الرجس وتطهير البيت. فالتطهير من التطهر، وإذهاب الرجس يتم بوسائل يأخذ الناس بها أنفسهم، ويحققونها في واقع الحياة العملي. وهذا هو طريق الإسلام شعور وتقوى في الضمير. وسلوك وعمل في الحياة. يتم بهما معا تمام الإسلام، وتتحقق بهما أهدافه واتجاهاته في الحياة[٢].

المطلب الثاني: حجاب أمهات المؤمنين طهارة:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾. [الأحزاب: ٥٣].

أما قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّ﴾. [الأحزاب: ٥٣]. وهذه آية المطلب.

والمراد من طهارة القلوب المذكورة في الآية الكريمة، طهارتها من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النّساء وللنساء في أمر الرجال[٣]. أي ذلك أنفى للريبة وأبعد للتهمة

---

[١] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ١٤١٩هـ، **تفسير القرآن العظيم**، (تحقيق: محمد حسين شمس الدين)، ط١، ج٦، ص٣٦٤، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت.
[٢] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج٥، ص٢٨٦٢.
[٣] المصدر السابق، ج٤، ص٣٩٥.

وأقوى في الحماية. وهذا يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له فإن مجانبة ذلك أحسن لحاله وأحصن لنفسه وأتم لعصمته[١].

عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب(ﷺ) قلت: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب. فأنزل الله تعالى آية الحجاب. رواه البخاري

عن أنس بن مالك قال: لما تزوج النبي(ﷺ) زينب بنت جحش، دعا القوم فطعموا، ثم جلسوا يتحدثون. قال: فأخذ كأنه يتهيأ للقيام، فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام وقام من القوم من قام وقعد ثلاثة نفر وإن النبي(ﷺ) جاء فدخل فإذا القوم جلوس فرجع وإنهم قاموا وانطلقوا، فجئت فأخبرت النبي(ﷺ) أنهم قد انطلقوا، قال: فجاء حتى دخل، قال: وذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه[٢]، وأنزل الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام} الآية إلى قوله: {إن ذلكم كان عند الله عظيما}

وقد جاء عن أنس بن مالك (ﷺ) وجماعة أن سبب نزول آية الحجاب في أمر القعود في بيت زينب، ليلة بناء النبي (ﷺ) بها[٣]. وقال مجاهد سبب آية الحجاب أن رسول الله (ﷺ) أكل معه قوم وعائشة معهم فمست يدها يد رجل منهم فنزلت آية الحجاب بسبب ذلك، وقالت عائشة وجماعة سبب الحجاب كلام عمر (ﷺ) وأنه كلم رسول الله (ﷺ) مرارا في أن يحجب نساءه وكان رسول الله (ﷺ) لا يفعل وكان عمر (ﷺ) يتابع فخرجت سودة ليلة لحاجتها وكانت امرأة تفرع النساء طولا فناداها عمر قد عرفناك يا سودة حرصا على الحجاب. وقالت له زينب بنت جحش: عجبنا لك يا ابن الخطاب تغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا، فما زال عمر يتابع حتى نزلت آية الحجاب. ونرجّح هذا القول في أنها نزلت موافقة لرأي عمر(ﷺ)، وذلك لقوله (ﷺ) وافقت ربي في ثلاث: منها الحجاب، ومقام إبراهيم، وعسى ربه إن طلقكن[٤].

الطهارة في الحجاب:

وفي الكلام من وراء الحجاب، وعدم النظر إلى المرأة أطهر للقلب؛ لأن العين روزنة القلب، فإذا لم تر العين لا يشتهي القلب. أما إن رأت العين فقد يشتهي القلب وقد لا يشتهي،

---

[١] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مصدر سابق، ج١٤، ص٢٢٨.
[٢] الواحدي، أسباب النزول، مصدر سابق، ج١، ص٣٥٩.
[٣] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج٢٠، ص٣١١. ذكر الرواة كاملة.
[٤] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، مصدر سابق، ج٤، ص٣٩٥.

فالقلب عند عدم الرؤية أطهر، وعدم الفتنة حينئذ أظهر، ثم إن الله تعالى لما علّم المؤمنين الأدب أكده بما يحملهم على محا فظته فقال: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾. [الأحزاب: ٥٣]. وكل ما منعتم عنه مؤذ فامتنعوا عنه[١].

والعجيب بأن الخطاب بطلب المتاع يكون من وراء حجاب؛ لأن فيه طهارة لقلوب المخاطبين يقول هذا عن نساء النبي الطاهرات. أمهات المؤمنين، وعن رجال الصدر الأول من صحابة رسول الله (ﷺ) ممن لا تتطاول إليهن وإليهم الأعناق! وحين يقول الله قولا، ويقول خلق من خلقه قولا، فالقول لله- سبحانه- وكل قول آخر هراء، لا يردده إلا من يجرؤ على القول بأن العبيد الفانين أعلم بالنفس البشرية من الخالق الباقي الذي خلق هؤلاء العبيد! والواقع العملي الملموس يهتف بصدق الله، وكذب المدعين غير ما يقول الله. والتجارب المعروضة اليوم في العالم مصدقة لما نقول. وهي في البلاد التي بلغ الاختلاط الحر فيها أقصاه أظهر في هذا وأقطع من كل دليل. وأمريكا أول هذه البلاد التي آتى الاختلاط فيها أبشع الثمار[٢].

والمتاع: ما يحتاج إلى الانتفاع به مثل عارية الأواني ونحوها، ومثل سؤال العفاة ويلحق بذلكما هو أولى بالحكم من سؤال عن الدين أوعن القرآن، وقد كانوا يسألون عائشة عن مسائل الدين. واسم التفضيل في قوله: أطهر مستعمل للزيادة دون التفضيل، والمعنى: ذلك أقوى طهارة لقلوبكم وقلوبهن فإن قلوب الفريقين طاهرة بالتقوى وتعظيم حرمات الله وحرمة النبي(ﷺ) ولكن لما كانت التقوى لا تصل بهم إلى درجة العصمة أراد الله أن يزيدهم منها بما يكسب المؤمنين مراتب من الحفظ الإلهي من الخواطر الشيطانية بقطع أضعف أسبابها وما يقرب أمهات المؤمنين من مرتبة العصمة الثابتة لزوجهن (ﷺ) فإن الطيبات للطيبين بقطع الخواطر الشيطانية عنهن بقطع دابرها ولو بالفرض[٣].

فأراد الله تعالى بهذا الأمر أن يرتقي بإيمان المؤمنين بطهارة قلوبهم من وساوس الشيطان التي تقذفها في القلب عند وإذا كان هذا مع أزواج النبي (ﷺ) وهن أمهات المؤمنين فمن باب أولى مع غيرهن من النساء الأجانب من المخالطة والجلوس فلا يقل أحد غير ما قال الله. لا يقل أحد إن الاختلاط، وإزالة الحجب، والترخص في الحديث واللقاء والجلوس والمشاركة بين الجنسين أطهر للقلوب، وأعف للضمائر، وأعون على تصريف الغريزة المكبوتة، وعلى إشعار

---

[١] الرازي، **التفسير الكبير**، مصدر سابق، ج ٢٥، ص١٩٠

[٢] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج٥، ص٢٨٧٨.

[٣] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مصدر سابق، ج٢٢، ص٩٠، ٩١ بتصرف.

الجنسين بالأدب وترقيق المشاعر والسلوك. إلى آخر ما يقوله نفر من خلق الله الضعاف المهازيل الجهال المحجوبين. لا يقل أحد شيئا من هذا والله يقول[١]:

حجاب المرأة المسلمة:

ونتعرّض هنا لقضية هي من أهم قضايا المسلمين في هذا العصر، وهي تتعلق بطهارة المجتمع جميعا رجال ونساء، ألا وهي قضية الاختلاط، وحجاب المرأة المسلمة.

إن الآية الكريمة وإن كانت موجهة لنساء النبي (ﷺ)، غير أنها جاءت معللة بقول ربنا سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. فبيّن أن العلّة هي طهورية قلوب النوعين، والتباعد عن دواعي الريبة وقذر القلوب، ولاشك أن هذه العلة تشمل جميع نساء المؤمنين، لأنه يطلب في حقهن طهارة قلوبهن، وطهارة قلوب الرجال من الميل إلى ما لا ينبغي منهن. فليس لقائل أن يقول: هذا الأدب الكريم السماوي، المقتضي المحافظة على الشرف والدين وأطهرية القلوب من الميل إلى الفجور، يجوز إلغاؤه وإهداره بالنسبة لغير أزواج النبي (ﷺ) من نساء المؤمنين، لأن طهارة القلب ومجانبة أسباب الرذيلة، أمر مطلوب من الجميع بلا شك، مع أن النفوس أشد هيبة لأزواج النبي (ﷺ) من غيرهن؛ لأنهن أمهات المؤمنين"[٢]، ولأنهن من خيرة نساء العالمين، فمن دونهن – وكل النساء دونهن– من باب أولى، قال القرطبي: "ويدخل في ذلك جميع النساء بالمعنى، وبما تضمنته أصول الشريعة. . "[٣]. فإن قيل: آية الحجاب تخص بمنطوقها أزواج النبي (ﷺ). فالجواب: أنها لم تدلّ على أن غيرهن من النساء لا يشاركهن في حكمها. والأصل مساواة الجميع في الأحكام الشرعية إلا ما قام عليه دليل خاص[٤].

ولو سلمنا تسليماً جدلياً أن حكم الآية الكريمة خاص بأزواج النبي (ﷺ) فهن القدوة الحسنة لنساء المؤمنين. فليس لنا أن نحرم نساءنا هذا الأدب السماوي الكريم المقتضي المحافظة

---

[١] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج٥، ص٢٨٧٨.

[٢] محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، (١٣٩٩هـ)، **فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم**، (جمع وترتيب وتحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم)، ط ١، ج١٠، ص٢٤٥، الناشر: مطبعة الحكومة بمكة المكرمة.

[٣] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مصدر سابق، ج ١٤، ص٢٢٧.

[٤] إبراهيم بن عبدالله الأزرق الكتاب: **الاختلاط بين الواقع والتشريع**، بتقريظ فَضِيلَةُ الشَيْخ/ أ. د نَاصِرُ بنُ سُلَيْمَانُ العُمَر محرم/١٤٢٥، ص٣٩، ٣٨، ٣٧. بتصرف

على الشرف والفضيلة والطهر والتباعد عن أسباب الرذيلة ودنس القلوب، وقد اختاره الله لنساء أحب خلقه إليه، وأفضلهم عنده(ﷺ) [١].

وأريد أن أنبّها هنا أن للمرأة مكانتها الرفيعة في الإسلام، فهي كالجوهرة التي يجب المحافظة عليها. فقد لقيت المرأة المسلمة من التشريع الإسلامي عناية فائقة كفيلة بأن تصون عفتها، وتجعلها عزيزة الجانب، سامية المكان، وإن الشروط التي فرضت عليه في ملبسها وزينتها لم تكن إلا لسد ذريعة الفساد الذي ينتج عن التبرج بالزينة، وهذا ليس تقييداً لحريتها بل هو وقاية لها أن تسقط في درك المهانة، ووحل الابتذال، أو تكون مسرحاً لأعين الناظرين،

فضائل الحجاب:

ونذكر هنا فضائل الحجاب الذي غفل عنه كثير من أولياء الأمور، والنساء خاصة وهي فيما يلي:

-أولا- الحجاب طاعة لله عز وجل وطاعة للرسول (ﷺ): وقد أمر الله سبحانه النساء بالحجاب فقال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾. [النور: ٣١].

-ثانيا- الحجاب عفّة:

فقد جعل الله تعالى التزام الحجاب عنوان العفة، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾. [الأحزاب: ٥٩]. قال مجاهد: يتجلببن فيعلم أنهن حرائر، فلا يتعرض لهن فاسق بأذى ولا ريبة[٢].

و ما نراه في الآن واقعنا فإن المرأة المحتشمة الطاهرة الملتزمة بالزي الشرعي عند خروجها، فلا يتعرض لها أحد بل تحترم حتى من قبل الفساق، بعكس المرأة المتبرجة المبدية لمفاتنها، أو التي تدعي أنها محجبة، وهي تلبس ما يبدي مفاتنها من زينة ولباس، وعطر، وبعد هذا تطلق على نفسها أنها محجبة، فهل مثل هذا يطلق عليه حجاب! لا والله إنه تبرج متستر

---

[١] محمد بن إبراهيم آل الشيخ، **فتاوى ورسائل**، مصدرسابق، ج١٠، ص٢٤٧.
[٢] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج٢٠، ص ٣٢٥.

بستار الحجاب. فمثل هؤلاء النسوة هن أكثر عرضة لأذى الفسّاق، وبهذا يكن قد اقترفن إثم التبرج، والإساءة إلى طهر الحجاب الذي أمر الله به.

-ثالثا- الحجاب طهارة:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[الأحزاب: ٥٣].

فوصف الحجاب بأنه طهارة لقلوب المؤمنين والمؤمنات لأن العين إذا لم تر لم يشته القلب، ومن هنا كان القلب عند عدم الرؤية أطهر، وعدم الفتنة حينئذ أظهر لأن الحجاب يقطع أطماع مرضى القلوب.

-رابعا- الحجاب حياء:

قال (ﷺ): " الحياء والإيمان قرنا جميعاً، فإن رفع أحدهما رفع الآخر"[١].

-خامسا- الحجاب غيرة:

قال علي(رضي الله عنه): " بلغني أن نساءكم يزاحمن العلوج –أي الرجال الكفار من العجم – في الأسواق ألا تغارون؟ إنه لا خير فيمن لا يغار "[٢].

وإنك لتعجب ممن تخرج زوجته، أو بنته، أو أخته متبرجة متعطّرة بكامل زينتها، ولا يتحرك فيه شيء من الغيرة فلا يأمر، ولا ينهى عما يراه، بل هناك من يشجع ويفتخر بأن يرى الناس أهله بزينتها، لا جرم أن من كان هذا حاله فقد حرم نفسه وأهله من فضيلة الطهر والعفاف الذي جاء بها ديننا الحنيف، ونسي حديث النبي (ﷺ)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله(ﷺ) قال: " ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث "، الذي يقر في أهله الخبث[٣].

تأتي طهارة بيت رسول الله(ﷺ)، فقد ذكر تعالى طهارة أهل البيت في سورة الأحزاب وهي من السور ة المدنية بالاتفاق والتي تعتني بإظهار الأحكام الشرعية، والتي تكون بها سعادة الفرد والمجتمع. فكان من بين هذه الأحكام وأبرزها حكم الحجاب لأزواج النبي (ﷺ) وقبل ذلك

---

[١] الحاكم، **المستدرك**، مصدر سابق، رقم٥٨، ج١، ص٧٣. وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما، فقد احتجا برواته ولم يخرجاه بهذا اللفظ،

[٢] الإمام أحمد، **المسند**، مصدر سابق، مسند علي ر ضي الله عنه، رقم١١١٨، ج٢، ص٧٣.

[٣] المصدر سابق، رقم٥٣٧٢، ج٩، ص٢٧٢.

نهاهن وأمرهن بأمور، وكانت العلة منها هو إزالة الرجس من دنس الشيطان وتطهيرهن من المعاصي والآثام، ثم أمرهن بأمر يزيد من طهارة قلوبهن ألا وهو الحجاب، لما فيه من التستر، وهو علامة على الطهر والعفاف والتقى، ولا يليق بأزواج خير البرية إلا أن يكنّ على هذا القدر من الطهر والعفاف، وهن في ذلك قدوة لغيرهن من نساء العالمين، فإذا كن أمرن بذلك وهن أمهات المؤمنين الطاهرات كان من باب أولى أن يكون الخطاب لغيرهن من النساء في كل زمان. ومتى تباعدت نساؤنا وبناتنا وأخواتنا عن خلق العفاف والطهارة، انتشر الفساد في الأخلاق، وضاعة الأسر والمجتمعات في مستنقعات الفاحشة والرذلة.

الهدايات القرآنية:

-١- أن الله تعالى لا ينهى عن شيء أو يأمر بأمر إلا ليطهر به عباده المؤمنين.

-٢- إضافة طهارة أهل البيت إلى الله تعالى دلالة على مكانتهن عند الله تعالى.

فهذه مكانة أزواج نبينا (ﷺ)عند الله تعالى من التقوى والطهر، فما علينا إلا أن ننزل أمهات المؤمنين رسولنا الكريم منازلهم، ونقتدي بهم، وندافع عنهم ونذكر محاسنهم، أماالطعن في أمهات المؤمنين ، والانتقاص من قدرهن هو طعن في القرآن العظيم الذي زكاهم وذكر طهارتهم،

المبحث الثالث: طهارة مريم وابنها عليهما السلام.

المطلب الأول: طهارة مريم بنت عمران عليها السلام

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [آل عمران: ٤٢].

هذا إخبار من الله تعالى بما خاطبت به الملائكة مريم عليها السلام، عن أمر الله لهم بذلك: أن الله قد اصطفاها، أي: اختارها لكثرة عبادتها وزهادتها وشرفها وطهرها من الأكدار والوسواس واصطفاها ثانيا مرة بعد مرة لجلالتها على نساء العالمين[١]، وأي اصطفاء؟! وهو يختارها لتلقي النفخة المباشرة، كما تلقاها أول هذه الخليقة: آدم؟ وعَرْض هذه الخارقة على البشرية من خلالها وعن طريقها؟ إنه الاصطفاء للأمر المفرد في تاريخ البشرية، وهو بلا جدال أمر عظيم[٢].

لّما ذكر تعالى قصة ولادة يحيى بن زكريا عليهما السلام من عجوز عاقرٍ وشيخٍ قد بلغ من الكبر عتياً، وذلك بمقتضى السنن الكونية شيء خارق للعادة، أعقبها بما هو أبلغ وأروع في خرق العادات، فذكر قصة ولادة السيد المسيح عيسى من غير أب وهي شيء أعجب من الأول، والغرضُ من ذكر هذه القصة الردّ على النصارى الذين ادعوا ألوهية عيسى، فذكر ولادته من مريم البتول ليدلّ على بشريته، وأعقبه بذكر ما أيده به من المعجزات ليشير إلى رسالته، وأنه أحد الرسل الكرام الذين أظهر الله على أيديهم خوارق العادات، وليس له شيء من أوصاف الربوبية[٣].

وفي هذه يقول الله تعالى: اذكر يا محمد (ﷺ)إذ قالت الملائكة يا مريم، وهل المقصود بالملائكة هم مجموعة منهم، أو هو جبريل عليه السلام، قول أغلب من تعرض لهذه المسألة، أن المراد بالملائكة في هذه الآية الكريمة هو جبريل عليه السلام[٤].

---

[١] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مصدر سابق، ج٢، ص٣٩.
[٢] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج١، ص٣٩٥.
[٣] الصابوني، **صفوة التفاسير**، مصدر سابق، ج١، ص١٨٣.
[٤] ابن الجوزي، زاد المسير، مصدر سابق، ج١، ص٢٨١، النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، مصدر سابق، ج٢، ص١٥٩، البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج٤، ص٣٧١، أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج٢، ص٣٤.

قال الرازي: " قالوا المراد بالملائكة هاهنا جبريل وحده، وهذا كقوله{ ينزل الملائكة بالروح من أمره}. [النحل: ٢] يعني جبريل، وهذا وإن كان عدولا عن الظاهر إلا أنه يجب المصير إليه، لأن سورة مريم دلت على أن المتكلم مع مريم عليها السلام هو جبريل عليه السلام"[١]، وهو قوله: {فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا}[مريم:]. وهو القول الراجح.

وقد كلمتها الملائكة مشافهة، وهنا خلاف آخر وهو هل مريم عليها السلام نبية أوْ لا؛ قال القرطبي: " الصحيح أن مريم نبية"[٢]، وقال عياض الجمهور على خلافه[٣]، ونقل النووي في الأذكار أن إمام الحرمين نقل الإجماع على أن مريم ليست نبية، ولو قال: عليها السلام، فالظاهر أنه لا بأس به[٤]. والراجح في المسألة أنها ليست بنبيّة لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾. [النحل: ٤٣].

وقد ذكر المفسرون أقوالا كثيرة في معنى الاصطفاء الأول، ثم الطهر، ثم الاصطفاء الثاني، وقد جمع بين هذه الأقوال الإمام الرازي، وذكرها بطريقة سلسة ورتبها ترتيبا حسنا حيث قال: اعلم أن المذكور في هذه الآية أولا: هو الاصطفاء، وثانيا: التطهير، وثالثا: الاصطفاء على نساء العالمين، ولا يجوز أن يكون الاصطفاء أولا من الاصطفاء الثاني، لما أن التصريح التكرير غير لائق، فلا بد من صرف الاصطفاء الأول إلى ما اتفق لها من الأمور الحسنة في أول عمرها، والاصطفاء الثاني إلى ما اتفق لها في آخر عمرها[٥].

---

[١] الرازي، التفسير الكبير، مصدر سابق، ج٨، ص٢١٨.
[٢] القرطبي، الجامع في أحكام القرآن، مصدر سابق، ج٤، ص٨٣.
[٣] العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ١٣٧٩هـ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ج٦، ص٤٧١. الناشر: دار المعرفة – بيروت.
[٤] النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م)، **الأذكار**(تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط رحمه الله)، كتاب الصّلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بابُ الصَّلاة على الأنبياءِ وآلهم تبعاً لهم صلى الله عليه وسلم، ج١، ص١١٩، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.
[٥] الرازي، **التفسير الكبير**، مصدر سابق، ج٨، ص٢١٧.

الأقوال في الاصطفاء الأول:

أولا: أنه تعالى قبّل تحريرها مع أنها كانت أنثى ولم يحصل هذا لغيرها من الإناث[١]. **ثانيا: ثالثا:** أنه تعالى فرّغها لعبادته، وخصّها في هذا المعنى بأنواع اللطف والهداية والعصمة[٢].

رابعها: أنه كفاها أمر معيشتها، فكان يأتيها رزقها من عند الله تعالى. **خامسها:** أنه تعالى أسمعها كلام الملائكة شفاها، ولم يتّفق ذلك لأنثى غيرها[٣].

يذكر تعالى أنه طهرها، والإشارة إلى الطهر هنا إشارة ذات مغزى، وذلك لما لابس مولد عيسى(عليه السلام) من شبهات لم يتورع اليهود أن يلصقوها بمريم الطاهرة، معتمدين على أن هذا المولد لا مثال له في عالم الناس فيزعموا أن وراءه سراً لا يُشرف قبحهم الله! وهنا تظهر عظمة هذا الدين ويتبين مصدره عن يقين. فها هو ذا محمد(ﷺ) الذي يلقى من أهل الكتاب ما يلقى من التكذيب والعنت والجدل والشبهات ها هو ذا يحدث عن ربه بحقيقة مريم العظيمة وتفضيلها على نساء العالمين بهذا الإطلاق الذي يرفعها إلى أعلى الآفاق. وهو في معرض مناظرة مع القوم الذين يعتزون بمريم، ويتخذون من تعظيمها مبرراً لعدم إيمانهم بمحمد وبالدين الجديد! أي صدق؟ وآية عظمة؟ وأية دلالة على مصدر هذا الدين، وصدق صاحبه الأمين! [٤].

وللتطهير في هذه الآية الكريمة عدة أقوال[٥]:

الأول: أنه تعالى طهرها عن الكفر والمعصية، كقوله في أزواج النبي (ﷺ) ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾. [الأحزاب: ٣٣].

الثاني: أنه تعالى طهرها عن مسيس الرجال.

الثالث: طهرها عن الحيض، قالوا: كانت مريم لا تحيض.

رابعا: وطهرك من الأفعال الذميمة، والعادات القبيحة.

خامسا: وطهرك عن مقالة اليهود وتهمتهم وكذبهم.

---

[١] البغوي، **معالم التنزيل**، مصدر سابق، ج١، ص٤٣٨. ذكره أيضا.
[٢] الأصفهاني، **تفسير الراغب**، مصدر سابق، ج٢، ص٥٥١. ذكره أيضا.
[٣] الرازي، **التفسير الكبير**، مصدر سابق، ج ٨، ص ٢١٨.
[٤] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج١، ص٣٩٥.
[٥] الرازي، **التفسير الكبير**، مصدر سابق، ج ٨، ص ٢١٨.

ونستطيع القول أن كل هذه الأقوال تجوز في حقّها عليها السلام، وقد جاء الطهر هنا بين الاصطفائين لتثبت أنها مع كل اصطفاء فإنها طاهرة. ويرى الباحث أن القول الأول هو الراجح بين هذه الأقوال؛ لشموله في معناه جميع ما قيل فيها. وهو أنه تعالى طهرها عن الكفر والمعصية.

الاصطفاء الثاني:

المراد منه أنه تعالى وهب لها عيسى عليه السلام من غير أب، وأنطق عيسى حال انفصاله منها حتى شهد بما يدل على براءتها عن التهمة، وجعلها وابنها آية للعالمين، فهذا هو المراد من هذه الألفاظ الثلاثة [١]. إذن لا توكيد إذ المراد بالاصطفاء الأول اصطفاء الولاية، وبالثاني اصطفاء ولادة عيسى، لأنها بولادته حصل لها زيادة اصطفاء وعلو منزلة على الأكفاء. وقيل: الاصطفاء الأول: اختيار وعموم يدخل فيه صوالح من النساء، والثاني: اصطفاء على نساء العالمين. وقيل: لما أطلق الاصطفاء الأول بيّن بالثاني أنها مصطفاة على النساء دون الرجال. [٢] وقال الزمخشري: " اصطفاك أولا حين تقبلك من أمك ورباك، واختصك بالكرامة السنية، وطهرك مما يستقذر من الأفعال، ومما قذفك به اليهود، واصطفاك آخرا على نساء العالمين بأن وهب لك عيسى من غير أب، ولم يكن ذلك لأحد من النساء" [٣]. وهكذا نجد أنّ اصطفاء آل عمران ذكر أولا مجملا ضمن من اصطفى الله تعالى، ثم بيّن باصطفاء مريم أو عيسى عليهما السلام، ومن هذا يتبين أنّ عمران الذي سمّيت السورة بآله هو أبو مريم، لا أبو موسى وهارون عليهما السلام[٤].

وذكرت الآية أن الذي تولى تطهير مريم عليها السلام، هو رب العالمين فأضاف تطهيرها لنفسه عز وجل، وفي هذه زيادة لشرفها، ومكانتها بين نساء العالمين، وهنا علاقة بين تطهير مريم عليها السلام، وتطهير آل بيت النبي (ﷺ) في قوله تعالى: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[الأحزاب: ٣٣]. ومما يدل على العلاقة بين الطهارتين أيضا حديث النبي (ﷺ) عن أبي موسى، (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): « كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء غير مريم بنت

---

[١] الرازي، **التفسير الكبير**، مصدر سابق، ج٨، ص٢١٨، ٢١٧.
[٢] أبوحيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج٣، ص١٤٦.
[٣] الزمخشري، **الكشاف**، مصدر سابق، ج١، ص٣٦٢.
[٤] شرف الدين، **الموسوعة القرآنية خصائص السور**، مصدر سابق، ج٢، ص٥.

عمران، وآسية امرأة فرعون وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام »[١].

وحديث رسول الله (ﷺ): «خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد»[٢]. قال: أبو كريب، وأشار وكيع إلى السماء والأرض.

وبهذا تتضح لنا قصة مريم عليها السلام الطاهرة العفيفة الشريفة، وكذب دعوى اليهود والنصارى في حقّها وطعنهم في عفّتها.

المطلب الثاني: طهارة عيسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٥٥﴾. [آل عمران: ٥٥].

قوله تعالى: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[آل عمران:٥٥] كثرت أقوال المفسرين فيها، وقد جمعها، ورتبها الإمام أبو حيان الأندلسي في تفسيره فأجاد، وأفاد فقال: جعل الذين كفروا دنسا ونجسا فطهره منهم، لأن صحبة الأشرار وخلطة الفجار تتنزل منزلة الدنس في الثوب، والمعنى: أنه تعالى يخلصه منهم، فكنى عن إخراجه منهم وتخليصه بالتطهير، وأتى بلفظ الظاهر لا بالضمير، وهو الذين كفروا، إشارة إلى علة الدنس والنجس وهو الكفر، كما قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[التوبة: ٢٨]. وكما جاء في الحديث: «الْمُؤْمِنُ لا يَنْجُسُ»[٣]. فجعل علة تطهيره الإيمان. وقيل: مطهرك من أذى الكفرة. وقيل: من الكفر والفواحش. وقيل: مما قالوه فيك وفي أمك. وقيل: ومطهرك أي مطهر بك وجه الناس من نجاسة الكفر والعصيان[٤].

---

[١] مسلم، **المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، رقم٢٤٣١، ج٤، ص١٨٨٦.
[٢] المصدر السابق، رقم٢٤٣٠، ج٤، ص١٨٨٥.
[٣] البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، كتاب الجنائز، باب غسل الميت ووضوئه بالماء والسدر، بدون رقم، ج٢، ص٧٣.
[٤] أبوحيان، **البحر المحيط**، مصدر سابق، ج٣، ص١٧٨، ١٧٧. بتصرف.

محبة الله تعالى لرسله عليهم السلام:

فالله عز وجل لا يرضى لرسله وأنبيائه الأطهار أن يعيشوا بين الأشرار؛ لأن مجاورة الكافرين الأنجاس، فيها من الأذى مالا يخفى، وعندما كانت دعوة الرسل والأنبياء هو تطهير الناس من الكفر والمعاصي بتوحيد الله تعالى، وهذا سبب وجودهم بينهم، فلما أقاموا عليهم الحجة ولم يرضوا لأنفسهم باتباع الرسل الذين يريدون طهارتهم، كان وجودهم لا فائدة فيه، كما حدث مع أنبياء الله تعالى إلى رسلهم، ونكر على سبيل المثال نوح (عليه السلام) الذي دعا قومه إلى طهارة التوحيد، وترك عبادة الأوثان ألف سنة إلا خمسين عاما، فقد دعاهم ليلا ونهارا سرا وعلانية، فقابلوه بالإعراض تارة وبالاستهزاء تارة أخرى فلم يستجيبوا له. فلما تيقن من عنادهم وكفرهم دعا عليهم، وهذا ما حصل لعيسى(عليه السلام)، بل زاد اليهود في أذيته وأرادوا قتله فأنجاه الله عز وجل من مكرهم.

فالأنبياء والرسل أرادوا تطهير أقوامهم من الشرك والمعاصي، وأراد الله تعالى تطهير الأنبياء والرسل من دنس القوم الكافرين، وهكذا سنة الله عز وجل بعد إقامة الحجة بأن ينجي المؤمنين ويهلك القوم الكافرين، وقصص الأنبياء خير شاهد على هذه السنة الربانية التي لا تتغير ولا تتبدل قال أبو مسلم: التخليص والتطهير واحد، إلا أن لفظ التطهير فيه رفعة للمخاطب، كما أن الشهود والحضور واحد، وفي الشهود رفعة؛ ولهذا ذكره الله في المؤمنين، وذكر الحضور والإحضار في الكافرين[١].

وهذه الأقوال والمعاني تحتملها الآية الكريمة، وهي تدخل في نوعين الطهارة الحسية والمعنوية وهنا تظهر علاقة الطهر بين الأم والابن، فعندما تحدث تعالى على تطهير مريم عليها السلام، ذكر بعدها طهارة ابنها (عليه السلام)، وهذان المطلبان شديدا الصلة بينهما لأنهما تناولا طهارة الأم وابنها عليهما السلام.

وهذه الآيات تتحدث عن قصّة المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام)وإنجائه ممن أراد قتله، وقد ذكر تعالى في الآيات السابقة بشارة مريم بالسيد المسيح، ثم أعقبها بذكر معجزات عيسى (عليه السلام). وكلها براهين ساطعة تدل على نبوته (عليه السلام)، ومع كل البراهين والمعجزات التي أيده الله

---

[١] أبوحيان، **البحر المحيط**، مصدر سابق، ج٣، ص١٧٨، ١٧٧. بتصرف.

بها فإنَّ الكثير من بني إسرائيل لم يؤمنوا به وقد عزم أعداء الله اليهود على قتله فنجّاه الله من شرهم ورفعه إلى السماء[١].

نزول عيسى عليه السلام:

نقل الطبري في معنى الوفاة في هذه الآية الكريمة عدة أقوال منها أنها الموت، أو النوم، أو الإتمام، أو القبض، أو أنه تقديم، وتأخير في ألفاظ هذه الآية، ونسب هذه الأقوال لأصحابها، ثم قال: وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا، من قال: "معنى ذلك: إني قابضك من الأرض ورافعك إليّ"، لتواتر الأخبار عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال، ثم يمكث في الأرض مدة ذكَرها، اختلفت الرواية في مبلغها ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه[٢].

وقد رويت هذه الحادثة التي تكون في آخر الزمان، وهي من علامات الساعة الكبرى بعدة روايات وهي صحيحة الإسناد من ذلك ما رواه أبو هريرة(رضي الله عنه)، يقول: قال رسول الله (ﷺ): «ليهبطن عيسى ابن مريم حكما عدلا، وإماما مقسطا وليسلكن فجا حاجا، أو معتمرا أو بنيتهما وليأتين قبري حتى يسلم ولأردن عليه» يقول أبو هريرة (رضي الله عنه): " أي بني أخي إن رأيتموه فقولوا: أبو هريرة يقرئك السلام[٣].

وقال ابن كثير " تواترت الأحاديث عن رسول الله (ﷺ) أنه أخبر بنزول عيسى (عليه السلام) قبل يوم القيامة إماما عادلا وحكما مقسطا "[٤].

فتأويل الآية إذن: قال الله لعيسى: إني قابضك من الأرض، ورافعك إليّ، ومطهرك من الذين كفروا فجحدوا نبوّتك، وهذا الخبر فيه من الله عز وجل احتجاجًا على الذين حاجُّوا رسولَ الله (ﷺ) في عيسى من وفد نجرانَ بأن عيسى لم يُقتَل ولم يُصلَب كما زعموا، وأنهم واليهودَ الذين أقرُّوا بذلك وادَّعوا على عيسى – كذبةً في دعواهم وزعمهم[٥]. قال ابن عطية: " وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى (عليه السلام) في السماء حيّ، وأنه ينزل في آخر الزمان فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويقتل الدجال ويفيض العدل ويُظهر هذه الملة ملة محمد

---

[١] الصابوني، **صفوة التفاسير**، مصدر سابق، ج١، ص١٨٦.
[٢] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج٦، ص٤٥٨.
[٣] الحاكم، **المستدرك**، مصدر سابق، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب ذكر نبي الله وروحه عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليهما، رقم٤١٦٢، ج٢، ص٦٥١. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة.
[٤] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مصدر سابق، ج٧، ص٢٢٣.
[٥] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج٦، ص٤٦١. بتصرف.

ويحج البيت ويعتمر، ويبقى في الأرض أربعا وعشرين سنة، وقيل أربعين سنة، ثم يميته الله تعالى"[١].

ومن طهارة هذا الدين الحنيف نفي التهم والادعاءات الكاذبة عن الطاهرين والطاهرات مما يقوله الكفرة والفساق في شأنهم مما ينقص من قدرهم ومكانتهم، ومن بين الله تعالى طهارتهم مريم وابنها عيسى عليهما السلام، فقد اتهموا بالزنا والفاحشة أن ابنها ابن زنا وهما من أطهار الأنساب والأحساب من ذرية طيبة مباركة طاهرة، وبعضهم أساء الأدب مع الله تعالى ونسب له الزوجة والولد تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. فبين الله تعالى طهارتها ومكانتها أنه اصطفاها مرتين وذكر بينهما أن طهرها قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾[آل عمران: ٤٢].

وفي إضافة تطهير لله تعالى ما يبن مكنتها عند الله تعالى، وبين لهم حقيقة أمرها وهي أن إتيانها بولد من غير أب هي معجزة وآية من آيات الله تعالى الكثير في هذا الكون الفسيح. وكذلك طهر ابنها من نجاسة مخالطة الكفرة الفساق الذين طعنوا في نسبه وأرادوا قتله، وتصليبه، فأنقذه الله تعالى منهم بأن طهره ورفعه إليه من بينهم.

الهدايات القرآنية:

إن الله تعالى يغار على أوليائه ممن يطعن فيهم فلذلك يظهر آيات تدل على براءتهم وطهارتهم. وتكون إضافة التطهير إليه سبحانه كما في طهارة أهل بيت رسول الله(ﷺ) وفي بيان طهارة مريم وابنها عليهما السلام توجيه للخلق بأن يطهروا أولياء الله مما يفتر عليهم من البهتان والكذب والافتراء، خصوصا الأنبياء والرسل والصالحين والصالحات.

وفيه أيضا تربية للخلق أن يوقروا من ذكر الله تعالى طهارتهم وزكاهم وأكرمهم، وبهذا يكون للأنبياء والصالحين مكانتهم الحقيقية من التقدير والوقار والاحترام بين الناس وفي المجتمعات، وتكون لذكر سيرهم القدوة الحسنة لمن أراد الاقتداء بالطاهرين، وهذا هو ما نحتاجه نحن في زمن غابت فيه القدوة الحسنة.

---

[١] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، مصدر سابق، ج١، ص٤٤٤.

المبحث الرابع: طهارة في ترك الفاحشة

المطلب الأول: نجاسة قوم لوط:

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾. [الأعراف: ٨٢]. [النمل: ٥٦].

وقد ذكرت هذه الآية في موضعين في كتاب الله وهما سورة الأعراف الآية ٨٢، وسورة النمل ٥٦.

تأتي قصة لوط (عليه السلام)، وهي تعالج قضية من أقبح القضايا التي ارتكبها نوع من البشر، بل هي أقبحها بعد الشرك بالله تعالى، وهي أنهم يشتهون فعل الفاحشة مع الرجال دون النساء، وهي تناقض طبيعة، وميول الإنسان في نيل شهوته، فهم بفعلتهم هذه منقلبوا، ومنتكسوا الفطرة، وكان جزاؤهم أن قلبت بهم قراهم، فجعل عاليها سافلها، والجزاء من جنس العمل.

جاء في تفسير لفظ يتطهرون معان كثيرة، منها أنهم يتنزهون، ويتحرجون، يتقذرون منا، ويتنزهون عن فعلنا، قال قتادة: يتنزهون عن أدبار الرجال، يتنزهون عن حالنا وعاداتنا، يتنزهون عن أدبار الرجال والنساء، ويقال تطهر الرجل أي تنزه عن الإثم، يتطهرون من فعل الفواحش قال الخازن: "يعني أنهم أناس يتنزهون عن فعلكم وعن أدبار الرجال لأنها موضع النجاسة ومن تركها فقد تطهر، وقيل: إن البعد عن المعاصي والآثام يسمى طهارة فمن تباعد عنهما فقد تطهر فلهذا قال إنهم أناس يتطهرون أي من فعل المعاصي والآثام"[١]. وهذان القولان هما الظاهران في هذا اللفظ، فيشمل إذن الطهارة المادية والحسيّة.

يقول سيد قطب: يا عجباً! أو من يتطهر يخرج من القرية إخراجاً، ليبقى فيها الملوثون المدنسون؟! ولكن لماذا العجب؟ وماذا تصنع الجاهلية الحديثة؟ أليست تطارد الذين يتطهرون، فلا ينغمسون في الوحل الذي تنغمس فيه مجتمعات الجاهلية – وتسميه تقدما وتحطيماً للأغلال عن المرأة وغير المرأة– أليست تطاردهم في أرزاقهم وأنفسهم، وأموالهم، وأفكارهم، وتصوراتهم كذلك ولا تطيق أن تراهم يتطهّرون لأنها لا تتسع، ولا ترحّب إلا بالملوثين الدنسين القذرين؟! إنه منطق الجاهلية في كل حين! ! [٢].

---

[١] الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، مصدر سابق، ج٢، ص٢٢٦.
[٢] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج٣، ص١٣١٦.

بشاعة جريمة اللواط:

وقد ذكر النيسابوري وجوها لقبح هذا الفعل ومنها:

-١- أن أكثر الناس يحترزون فيه عن الولد لأن الولد يحمل المرء على طلب المال وإتعاب النفس في وجوه المكاسب إلا أنه تعالى جعل الزواج سببا لحصول اللذة العظيمة حتى إن الإنسان يطلب تلك اللذة ويقدم على الوقاع وحينئذ يحصل الولد شاء أم أبى، وبهذا الطريق يبقى النسل ولا ينقطع النوع فوضع اللذة في الوقاع يشبه وضع الشيء الذي يشتهيه الحيوان في الفخ والغرض إبقاء النوع الإنساني الذي هو أشرف الأنواع. فكل لذة لا تؤدي إلى هذا الغرض وجب الحكم بتحريمها لما فيه من ضياع البذر ولزوم خلاف الحكمة.

-٢- أن الذكورة مظنة الفعل والأنوثة مظنة الانفعال، فانعكاس القضية يكون خروجا عن مقتضى الطبيعة والحكمة.

-٣- أن الاشتغال بمحض الشهوة تشبه بالبهائم وخروج عن الغريزة الإنسانية.

-٤- هب أن الفاعل يلتذّ بذلك العمل إلا أنه سعى في إلحاق العار العظيم بالمفعول ما دام حيا، والعاقل لا يرضى لأجل لذة زائلة إلحاق منقصة دائمة بغيره.

-٥- أنه يوجب استحكام العداوة بين الفاعل والمفعول إلى حيث يقدم المفعول عل قتل الفاعل، أو على إلحاق الضرر به بكل طريق يقدر عليه وذلك لنفور طبعه عن رؤيته.

وأما حصول هذا العمل بين الرجل والمرأة فإنه يوجب زيادة الألفة والمحبة كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾. [الروم: ٢١]، ومنها أنه تعالى أودع في الرحم قوّة جاذبة للمني بحيث لا يبقى شيء منه في مجاريه وأوعيته، أما إذا واقع الذكر فإنه يبقى شيء من أواخر المني في المجاري فيعفن ويفسد ويتولد منه العلل والأورام في الأسافل كما يشهد به القوانين الطبية[١]. ولزيادة بشاعة هذه الرذيلة فقد وصفها الله تعالى بالنجاسة والخبث مثل الشرك، والزنى. قال الإمام ابن القيم: قد وصف الله سبحانه الشرك والزنى واللواطة بالنجاسة والخبث في كتابه، دون سائر

---

[١] النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، مصدر سابق، ج٢، ص٢٧٩.

الذنوب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾[التوبة: ٢٨]، وقوله تعالى في حق اللوطية: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾. [الأنبياء: ٧٤]. وقالت اللوطية: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾. [النمل: ٥٦]. فأقرّوا مع شركهم وكفرهم، أنهم هم الأخابث الأنجاس، وأن لوطا وآله مطهّرون من ذلك باجتنابهم له. وقال تعالى في حق الزناة: ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ﴾ [النور: ٢٦]

وأما نجاسة الزنى واللواطة أغلظ من غيرها من النجاسات، من جهة أنها تفسد القلب، وتضعف توحيده جدّا. ولهذا، أحظى الناس بهذه النجاسة أكثرهم شركا، فكلما كان الشرك في العبد أغلب، كانت هذه النجاسة والخبائث فيه أكثر[١].

وكل نبي كان يبعث إلى قومه يدعوهم إلى توحيد الله تعالى، ثم يعالج ما كان منتشرا بينهم من أخلاق سيئة، وكان خلقهم السيئ أنهم يفضلون إتيان الرجال في أدبارهم، وهو ما يسمى باللواط.

وكان لوط (عليه السلام) يذكرهم ببشاعة هذا الفعل وقبحه مرات عديدة وبأساليب مختلفة، فتارة يذكرهم أن إتيانكم لهذه الفاحشة الخبيثة، ما فعلها قبلكم أحد من الخلق، وهذا على سبيل التلميح لا التصريح، فلم يرتدعوا بل زادوا في غيهم، وفسقهم، ثم صرح لهم أن إتيان الرجال في أدبارهم هي الفاحشة المعيبة التي ينهاهم عنها. قال البيضاوي: " كأنه وبخهم أولاً بإتيان الفاحشة ثم باختراعها فإنه أسوأ"[٢]. وفي نصب لفظ شهوةً ما فيها من الإنكار لفعلهم، فهم لا يحملهم على هذا الفعل المقيت إلا قضاء الشهوة. قال الزمخشري: شهوة إما مفعول له، أي للاشتهاء لا حامل لكم عليه إلا مجرد الشهوة من غير داع آخر، ولا ذم أعظم منه، لأنه وصف لهم بالبهيمية، أنه لا داعى لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه أو حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين إلى السماجة[٣].

وبعد عدة من المحاولات لصرفهم عن هذه الفاحشة المقيتة، علم حقيقة أمرهم وهو أنهم لا يرتدعون، ولا ينتهون، ولا يدركون بشاعة فعلهم لأن قلوبهم ملئت بحب هذه الرذيلة فأعمت

---

(١) ابن القيم، **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، مصدر سابق، ج١ص٥٩. بتصرف.
(٢) البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، مصدر سابق، ج٣، ص٢٢.
(٣) الزمخشري، **الكشاف**، مصدر سابق، ج٢، ص١٢٥.
السماجة: خلاف الحسن والسمج من الألبان وهو الخبيث الطعم. ابن فارس، **مقاييس اللغة**، مصدر سابق، ج٣ص٩٩.

أبصارهم وبصائرهم فحالهم كحال السكران الذي لا يشعر، ولا يحس بما يحدث حوله، وما يلقى عليه من نصح، وتوجيه، وقد وصفهم الله تعالى بهذا في كتابه العزيز فقال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾. [الحجر: ٧٢]. وبعد هذا النصح، والإنكار عليهم فعلهم، بيّن سبب عدم استجابتهم فقال عنهم:﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾.[الأعراف: ٨١]. فأضرب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعوا إلى اتباع الشهوات وهو أنهم قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء، فمن ثم أسرفوا في باب قضاء الشهوة، حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد[١].

حلقة أخرى لوصف قوم لوط:

هذه حلقة أخرى من قصة لوط (عليه السلام) مع قومه، وهو قريبة جدا في عرضها بما جاء في سورة الأعراف وما بعدها فقد ذكر فيها إتيانهم هي الفعلة الخبيثة، وأنهم أول من اقترفها ثم بيّن حقيقتهم فوصفهم بأنهم ﴿قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأعراف: ٨١].أي لستم تأتون هذه الفاحشة المرة بعد المرة بعد ندم وتوبة عقب كل مرة، بل أنتم مسرفون فيها وفي سائر أعمالكم لا تقفون عند حد الاعتدال في عمل من الأعمال، كما وصفهم في سورة الشعراء بأنهم: ﴿ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾. [الشعراء: ١٦٦]. أي متجاوزون لحدود الفطرة وحدود الشريعة، ووصفه في سورة النمل بأنهم ﴿قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾. [النمل: ٥٥]. وهي صفة تشمل الجهل الذي هو ضد العلم، والجهل الذي هو بمعنى السفه والطيش[٢]. قال صاحب المنار: ومجموع الآيات يدل على أنهم كانوا مُرْزَئِينَ* بفساد العقل والنفس، بجمعهم بين الإسراف والعدوان والجهل، فلا هم يعقلون ضرر هذه الفاحشة في الجناية على النسل وعلى الصحة وعلى الفضيلة والآداب العامة ولا غيرها من منكراتهم فيجتنبوها أو يجتنبوا الإسراف فيها، ولا هم على شيء من الحياء وحسن الخلق يصرفهم عن ذلك[٣]. تذكر هذه الآية ما كان من ردة فعلهم على لوط (عليه السلام) فبعد أن ذكّرهم، وبيّن لهم سوء فعلهم في إتيان الرجال دون النساء، مجاهرة لا يستحي بعضهم من بعض.

---

[١] الزمخشري، **الكشاف**، مصدر سابق، ج٣، ص١٢٥.
[٢] رشيد رضا، **المنار**، مصدر سابق، ج٤، ص٤٥٤. بتصرف * أي مصابين.
[٣] المصدر السابق، ج٤، ص٤٥٥، ٤٥٤.

وفي قوله: ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾﴾. [النمل: ٥٤]. قال البغوي: أي تعلمون أنها فاحشة. وقيل: معناه يرى بعضكم بعضا وكانوا لا يستترون عتوا منهم[١]. وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾. [النمل: ٥٥]. قال ابن عباس (ﷺ): تجهلون القيامة وعاقبة العِصيان[٢]. فإن قلت: فسرت تبصرون بالعلم وبعده بل أنتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء وجهلاء؟ قلت: أراد: تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك. أو تجهلون العاقبة. أو أراد بالجهل. السفاهة والمجانة التي كانوا عليها [٣]. فما كان منهم أن أمروا بإخراجه من القرية هو وأهله، لا لشيء إلا لأنهم لم يفعلوا فعلهم، ولم يرضوا به. وقد بلغ من واقحتهم وفجورهم أن يفعلوا الفاحشة ويفخروا بها ويحتقروا من يتنزّه عنها وهذا أسفل الدركات، ولا يهبط إليه إلا من لا يؤمن بالله واليوم الآخر[٤].

سبب عقوبتهم:

فبسبب أنهم تعودوا على الإسراف على أنفسهم ارتكبوا هذه الفاحشة، وهذه هي الحجة الثالثة في استحقاقهم لنزول العذاب وهي فيما يلي:

-١- إتيان الرجال دون النساء.

-٢- هم أول من فعلها في العالمين.

-٣- حقيقة أمرهم أنهم فسقة.

-٤- وهي الخاتمة لهم أنهم قابلوا هذه النصائح، والإرشاد إلى إخراج لوط (عليه السلام)، وآله من القرية. قال الواحدي: وهذا إخبار عن ربهم على نبيهم بأقبح جواب حين جعلوا تنزههم عن الفاحشة سببا لإخراجهم إياه من القرية، وهذا معنى قول قتادة: عابوهم بغير عيب، وذموهم بغير ذم[٥]. وقولهم إنهم أناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش، وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة، كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم: أبعدوا عنا هذا المتقشف، وأريحونا من هذا المتزهد وأهله ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين[٦].

---

[١] البغوي، **معالم التنزيل**، مصدر سابق، ج٣، ص٥١٠.
[٢] ابن الجوزي، **زاد المسير**، مصدر سابق، ج٣، ص٣٦٦.
[٣] الزمخشري، **الكشاف**، مصدر سابق، ج٣، ص٣٧٤.
[٤] المراغي، **تفسير المراغي**، مصدر سابق، ج٨، ص٢٠٥.
[٥] الواحدي،الوسيط في تفسير القرآن المجيد، مصدر سابق، ج٢، ص٣٨٦. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
[٦] الزمخشري، **الكشاف**، مصدر سابق، ج٣، ص١٢٦.

وبعد هذا النصح، وإقامة الحجة عليهم التي قوبلت بالإعراض، والاستهزاء من القوم الفاسقين، جاء العذاب من رب العالمين، فأنجى الله لوطا وأهله وهم ابنتاه، وكانت زوجته كافرة فهلكت مع قومها، وكان عقابهم أن أرسل الله عليهم العذاب عن طريق جبريل (عليه السلام). قال مجاهد: نزل جبريل (عليه السلام) فأدخل جناحيه تحت مدائن قوم لوط فاقتلعها ورفعها إلى السماء ثم قلبها فجعل أعلاها أسفلها ثم اتبعوا بالحجارة[١]. ثم ختمت القصة بالعبرة لمن أراد أن يعتبر فقال تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٨٤﴾. [الأعراف: ٨٤].

قال الطبري: " يقول جل ثناؤه: فانظر، يا محمد، إلى عاقبة هؤلاء الذين كذبوا الله ورسوله من قوم لوط، فاجترموا معاصي الله، وركبوا الفواحش، واستحلوا ما حرم الله من أدبار الرجال، كيف كانت؟ وإلى أي شيء صارت؟ هل كانت إلا البوار والهلاك؟ فإن ذلك أو نظيره من العقوبة، عاقبة من كذبك واستكبر عن الإيمان بالله وتصديقك إن لم يتوبوا، من قومك"[٢].

وكانت النتيجة أن نجى الله لوطا (عليه السلام)، وأهله من العذاب الذي نزل على الفسقة من قومه بعد أن أقام عليهم الحجة، وبين لهم سوء فعلهم، وأن عاقبته عذاب من رب العالمين فلم يستجيبوا له، وكانت عقوبتهم وهو إمطار الله عليهم من السماء حجارة من سجيل ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٥٨﴾. [النمل: ٥٨]. يقول الطبري: " فساء ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم الله عقابه على معصيتهم إياه، وخوفهم بأسه بإرسال الرسول إليهم بذلك"[٣].

يقول سيد قطب: " ولا يذكر تفصيلات هنا عن هذا المطر المهلك كما وردت تفصيلاته في السور الأخرى. فنكتفي نحن بهذا مجاراة للسياق. ولكننا نلمح في اختيار هلاك قوم لوط بالمطر، وهو الماء المحيي المنبت أنه مماثل لاستخدامهم ماء الحياة ماء النطف في غير ما جعل له وهو أن يكون مادة حياة وخصب. والله أعلم بقوله ومراده، وأعلم بسننه وتدبيره. وإن هو إلا رأي أراه في هذا التدبير"[٤].

والتطهّر تكلف الطهارة، وحقيقتها النظافة، وتطلق الطهارة– مجازا– على تزكية النفس والحذر من الرذائل وهي المراد هنا، وتلك صفة كمال، لكن القوم لما تمرّدوا على الفسوق كان

---

[١] الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، مصدر سابق، ج٢، ص٢٢٦.
[٢] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج١٢، ص٥٥٣.
[٣] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج١٩، ص٤٨٢.
[٤] سيد قطب، في **ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج٥، ص٢٦٤٨.

يعدون الكمال منافرا لطباعهم، فلا يطيقون معاشرة أهل الكمال، ويذمّون ما لهم من الكمالات فيسئمونها ثقلا، ولذا وصفوا تنزّه لوط (عليه السلام) وآله تطهرا، بصيغة التكلف والتصنع، ويجوز أن يكون حكاية لما في كلامهم من التهكم بلوط (عليه السلام) وآله، وهذا من قلب الحقائق لأجل مشايعة العوائد الذميمة، وأهل المجون والانخلاع، يسمون المتعفف عن سيرتهم بالتائب أو نحو ذلك، فقولهم: إنهم أناس يتطهرون قصدوا به ذمّهم[١]. وهم قد علموا هذا التطهر من خلق لوط (عليه السلام) وأهله لأنهم عاشروهم، ورأوا سيرتهم، ولذلك جيء بالخبر جملة فعلية مضارعية لدلالتها على أن التطهر متكرر منهم، ومتجدد، وذلك أدعى لمنافرتهم طباعهم[٢].

عداوة العصاة للأطهار:

فهذه الطهارة التي وجدها منتكسوا الفطرة أنها التهمة والسبب في إخراج لوط(عليه السلام) وآله. فكان جوابهم للوط (عليه السلام) في غير ما طلب منهم، وغيروا وجهة الكلام؛ لكي يفروا من المواجهة لضعف حجتهم، وفساد رأيهم، وهذه طبيعة العصاة، والطغاة في كل زمان، ومكان فعندما تظهر خطيئتهم، وتدحض حجتهم، ويعجزون عن الرد أو الدفاع عن فعالهم يلجؤون إلى التهديد لمن ينصحهم ويدعوهم إلى الاستقامة والطهارة بالقتل، أو السجن، أو الطرد، كما حصل لأنبياء الله من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا.

فهذا خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام) لما أقام عليهم الحجة وبين لهم أن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر بالدليل، والبرهان، واليقين كما في سورة الأنبياء، وسورة العنكبوت فما كانت ردّة فعلهم، الإحراق والقتل. قال تعالى: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ۝٦٨﴾ [الأنبياء: ٦٨] **وفي سورة العنكبوت قال تعالى:** ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٢٤﴾ [العنكبوت: ٢٤]. وهذا كليم الله موسى (عليه السلام)الذي أرسل إلى من ادعى أنه رب العالمين إلى الطاغية فرعون وعندما افحمه بالحجة الدامغة عندما حاوره هدده بأنه سيسجنه إذا عبد غيره قال فرعون: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ۝٢٩﴾. [الشعراء: ٢٩]. وفي قصة لوط (عليه السلام) يستخدم معه قومه النوع الثالث

---

[١] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مصدر سابق، ج ٨، ص٢٣٤.
[٢] المصدر السابق، ج ٨، ص٢٣٤.

من ردود فعل العصاة، والطغاة، على المصلحين والناصحين، نفيهم وهو إخراجه، وأهله من قريتهم. ولم يكن لهم حجة على المعارضة إلا أن لوطا وأهله لا يريدون أن يشاركوهم فيما يفعلون تباعدا من الأرجاس[١]. أما خاتم الأنبياء، والمرسلين نبينا محمد (ﷺ)، فقد أراد مشركوا مكة التآمر عليه، والمكر به بأحد هذه الوسائل الثلاث، نقل الطبري بسنده عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠]. قال: تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبي (ﷺ). وقال بعضهم: بل اقتلوه. وقال بعضهم: بل أخرجوه. فأطلع الله نبيه على ذلك، فبات عليّ (رضي الله عنه) على فراش النبي (ﷺ) تلك الليلة[٢]. وقد ذكر ابن هشام في سيرته الرواية كاملة، فآثرت عدم ذكرها لطولها، ومن أراد الاطلاع عليها بالكامل فليرجع إليه[٣].

المطلب الثاني: طهر الشهوة في الزواج:

قال تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾. [هود: ٧٨].

والإسراع لاقتراف المعاصي هي حالة الفسقة في كل زمان، ومكان، فترى العصاة يسارعون في فعل المنكرات، ويتكاسلون في فعل الخيرات، وهي نتيجة طبيعية لمن تعود على فعل المحرمات ولا يقف الحال بالعصاة إلى فعل المعاصي، بل ينكرون على من ينصحهم، وينهاهم، فيبغضونهم، والأشد من ذلك أنهم لا يرضون بأحد يكون معهم في مكانهم إلا أن يفعل مثل فعلهم، وإلا طردوه، وأخرجوه، وهذا مشاهد معروف في زماننا فالذي يعرف بالأمانة، والصدق، والديانة، يحارب، ويضيّق عليه، حتى يختار أحد الأمرين وكلاهما مرٌّ، وهو إما أن يفعل مثل فعلهم في الكذب، وأخذ الرشوة، والسرقة، أو أن يترك عمله؛ والسبب أنه رجل يطهر نفسه عن فعل ما حرم وهذا هو نفس السبب الذي أخرج به لوطا وآله من قريته، فهو يتنزه عن

---

[١] المراغي، **تفسير المراغي**، مصدر سابق، ج٢٠، ص٣. بتصرف

[٢] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج١٣، ص٤٩٧.

[٣] ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، ١٣٧٥هـ -١٩٥٥م السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢، ج١، ص٤٨١. الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

أن يفعل فعلهم، عن قتادة أنه تلا: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾عابوهم بغير عَيْب، وذمُّوهم بغير ذمّ[١].

ولمّا رأى لوطا (عليه السلام) شدّة إقبالهم على داره لقضاء شهوتهم، وفعل شذوذهم، أراد أن يوجههم إلى ما يوافق فطرتهم، ويقضي وطرهم، ويطفئ فورتهم، فوجههم إلى الزواج من بناته والمقصود بهن نساء أمته، قال مجاهد، قال: لم يكنَّ بناته، ولكن كُنَّ من أمته، وكل نبي هو أب أمته، وروي عن ابن مسعود(رضي الله عنه) أنه كان يقرأ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾. [الأحزاب: ٦].

وهو أب لهم، وهي قراءة أبي بن كعب. وهكذا قال سعيد بن جبير: إنه أراد بنات أمته[٢]. فلم يجد منهم إذعانا، ولا استجابة، فاستعمل معهم أسلوبا آخر، وذلك بتحريك نخوة الرجال في إكرام الضيف، واحترامه، وذكر لهم أن هؤلاء القوم هم ضيف عندي، فلا يصح، ولا يحل لكم أن تؤذونهم، فليست هذه من قيم الضيافة، ومع هذا لم يتغير من أمرهم شيئا، ثم ذكرهم بأمر يرجع فيه كل واحد منهم في نفسه﴿أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨﴾. [هود: ٧٨]. قال الطبري: أليس منكم رجل ذو رُشْد، ينهى من أراد ركوبَ الفاحشة من ضيفي، فيحول بينهم وبين ذلك؟ [٣]. والاستفهام هنا للتعجب أليس فيكم على كثرتكم رجل صالح عاقل فيدرك أن هذا الفعل من المحرمات، تالله إن هذه الفئة قد انسلخت، وتجردت من كل الأخلاق، والقيم. وكانت إجابتهم بعد ذلك بكل سفالة، وانحطاط: ﴿قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ٧٩﴾ [هود: ٧٩]. هنا تأكد عند لوط (عليه السلام) أن هؤلاء القوم لا ينفع فيهم نصح، ولا دعوة، ولا توجيه، فتمنى لو كان له قوة من عشيرة؛ لأنه لم يكن من قبيلتهم، عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: « يغفر الله للوط، إن كان ليأوي إلى ركن شديد»[٤]. في هذه اللحظات كشف له الأضياف أنهم ملائكة مرسلون من عند ربهم لإقامة الحجة عليهم، ثم إنزال العذاب بهم، وأمرته أن يخرج هو وأهله ليلا، ولا ينظر أحد خلفه عند إنزال العذاب بالقوم الفسقة وكان ممن هلك زوجته لأنها كانت كافرة. ولما جاء وقت العذاب وكان صباحا، رفع جبريل(عليه السلام) قراهم بجناحه إلى السماء ثم قلبها فجعل ثم اتبعهم بعد

---

[١] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج١٢، ص٥٥٠.
[٢] السمرقندي، **بحر العلوم**، مصدر سابق، ج٢، ص١٦٤، ١٦٣.
[٣] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج١٥، ص٤١٧.
[٤] البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، كتاب أحاديث الأنبياء، باب {ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون} رقم ٣٣٧٥، ج٤، ص١٤٨.

ذلك بالحجارة من طين مطبوخ متتابعة، معلّمة، وختمت أحداث هذه القصة بأن هذا العذاب ليس ببعيد على من يقترف المعاصي، والآثام[١].

عقوبة اللواط:

قال الترمذي: عند شرحه لحديث ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ): «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»[٢]. "اختلف أهل العلم في حد اللوطي، فرأى بعضهم: أن عليه الرجم أحصن أو لم يحصن، وهذا قول مالك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وقال بعض أهل العلم من فقهاء التابعين منهم: الحسن البصري، وإبراهيم النخعي، وعطاء بن أبي رباح، وغيرهم، قالوا: حد اللوطي حد الزاني، وهو قول الثوري، وأهل الكوفة"[٣].

ولقد اختلف أصحاب رسول الله (ﷺ) في كيفية حد اللواط بعد اتفاقهم على إقامته. فروي عن أبي بكر الصديق(رضي الله عنه) أنه قال: يقتلان بالسيف حداً ثم يحرقان بالنار، زجراً لهما، وتخويفاً لغيرهما، وهو رأي الإمام (رضي الله عنه)، وكثير من الصحابة (رضي الله عنهم)، وروي عن أبن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ينكفان من مكان مرتفع مثل جبل شاهق، أو بناء مرتفع ويهدم عليهما الجدار ويتبعان بالأحجار حتى يموتا، كما حصل لقوم لوط. وروي عن عبد الله بن الزبير(رضي الله عنه) أنه قال: يحبسان في أنتن المواضع حتى يموتا، والراجح من هذه الآراء أن حدّه الرجم مطلقاً، بكراً أو ثيّبا[٤].

وقد ذكرت حلقات لهذه القصة بشيء من التفصيل في عدة سور من القرآن الكريم، كسورة الأعراف، وسورة هود، وسورة الحجر، وسورة الشعراء، وسورة النمل، وسورة العنكبوت، وسورة والذاريات، وسورة القمر، وذكرت بالإشارة في سور أخرى.

قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ﴾. [هود: ٧٨]. قال الطبري: " بناتي أطهر لكم مما تريدون من الفاحشة من الرجال"[٥]. قال أبوحيان: " ومعنى أطهر: أنظف فعلا. وقيل: أحل

---

[١] السمرقندي، **بحر العلوم**، مصدر سابق، ج٢، ص١٦٥. بتصرف.
[٢] الترمذي، **سنن الترمذي**، مصدر سابق، كتاب أبواب الحدود، باب ما جاء في حد اللوطي، رقم١٤٥٦، ج٤، ص ٥٧. صحيح.
[٣] المصدر السابق، ج٤، ص٥٧.
[٤] الجزيري، عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري، (١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م)، **الفقه على المذاهب الأربعة** (بدون تحقيق)، ط٢ج ٥، ص ١٢٨، ١٢٧، بتصرف من الهامش، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
[٥] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج١٥، ص٤١٥.

وأطهر بيتا"[١]. وفي وصف الزواج من النساء بأنه الأطهر، يجتمع فيه بأنه الأنظف، والأحسن، والأحل، والأطيب. يقول سيد قطب: " أطهر بكل معاني الطهر النفسي والحسي. فهن يلبين الفطرة النظيفة، ويثرن مشاعر كذلك نظيفة. نظافة فطرية ونظافة أخلاقية ودينيّة. ثم هن أطهر حسيّاً. حيث أعدت القدرة الخالقة للحياة الناشئة مكمناً كذلك طاهراً نظيفاً "[٢].

إذن وصف الزواج بأنه الأطهر في قضاء الشهوة، فإنه يفهم أن ما سواه لا يكون إلا خبثا ونجاسة، مثل فعل فاحشة الزنى، أو فعل فاحشة اللواط، أو السحاق بين النساء، وهي التي لا يليق بالعاقل اقترافها فضلا على أن يكون من المؤمنين؛ لأنها من خوارق المروءة حتي عند الغرب الكافر المبيح لها.

وقد وصف الله عباده المؤمنين فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝﴾. [المؤمنين: ٥، ٦، ٧].

إن ظهور الفاحشة بصفة عامة مدمرة للأمم، والشعوب، خصوصا إذا أباحوا بها وأعلنوها بينهم، وذلك لما يترتب عليها من الفقر، والأمراض المهلكة، وهذا كله مما يأمر به الشيطان قال تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ۝٢٦٨﴾. [البقرة: ٢٦٨]، وفي سنن ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب قال: كنت عاشر عشرة رهط من المهاجرين عند رسول الله (ﷺ) فأقبل علينا رسول الله (ﷺ) بوجهه فقال: « يا معشر المهاجرين خمس خصال أعوذ بالله أن تدركوهن: ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا،. . .)[٣].

أضرار الفواحش على الفرد والمجتمع:

ولهذه الفواحش أضرارا متعددة، دينية، وخلقية، واجتماعية، واقتصادية، ونفسية، وصحية. وإن كانت هذه الأضرار في المعاصي بصفة عامة، وقد ذكرها ابن القيم في كتابه الداء والدواء، وفصّل فيها، وبينها بيانا شافيا، ونحن نذكر هنا ما يناسب بحثنا:

---

[١] أبوحيان، **البحر المحيط**، مصدر سابق، ج٦، ص١٨٧.
[٢] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج٤، ص١٩١٤.
[٣] ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، مصدر سابق، أبواب الفتن، باب العقوبات، رقم٤٠١٩، ج٢، ص١٣٣٢، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ٢/٢٧٠.

فقال: يكفي في فاحشة اللواط جرما، وإثما، أنها كبيرة من كبائر الذنوب، وقد عاقب تعالى من فعلها بعقوبة لم تعاقب بها أمة غيرها قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا وَأَمْطَرْنَا سَافِلَهَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾. [هود: ٨٣]. فجمع لهم بين رفع، وقلب قراهم، ثم القاؤهم على الأرض، واتباعهم بحجارة من نار. وكذلك تجرّ صاحبها إلى معاص أخرى، ربما لا تقل عن اللواط قبحا، كما تجره إلى ترك طاعات كان يفعلها؛ فكم شرب بسببه من المسكرات، وتعاطى المخدرات؟ وكم ضيع بسببها من الجمع والجماعات؟ وكم أغري به من عداوات؟. ثم إن الاسترسال فيها تقود الإنسان إلى محبتها، فيحب الفاحشة ويبغض العفة، فيقع في محبة ما كرهه الله، وبغض ما أحبه الله. وقد يقوده التمادي به والاستمرار عليه ــ عياذا بالله ــ إلى استحلاله[١].

ومن أضرارها الخُلقيّة أنها تذهب الحياء فتجد من يمارس هذه الفعلة صلب الوجه، وقحا لا يبالي بما فعل، ولا يرعى لأحد حقه، وربما انسلخ من الحياء بالكلية، فلا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله، وقبيح فعاله، بل ربما قام هو بإخبارهم عما يقوم به من عمل سيء، وإذا وصل الإنسان إلى هذه الحالة عز إصلاحه، وصعب علاجه.إنها حالة انتكاس الفطرة، وارتكاس الطباع، واضمحلال ميزان الفضيلة، والرذيلة، أو انعدامه بالكلية عند من يعمل هذا العمل؛ فالرذائل عنده فضائل، والفضائل رذائل[٢]. وكذلك حرمان العلم والترقي في مدارج الكمال، ومراتب الفضيلة.

ومن أضرارها على المجتمع: زوال الخيرات والبركات، وقلة الأمن، وشيوع الفوضى، وانتشار الرعب، وكثرة الاضطرابات، وتفسخ المجتمع وتحلله: وهذه نتيجة طبيعية؛ فالمجتمع الذي تشيع فيه الفاحشة لا بد وأن يتحلل ويتفسح، وتسود فيه الروح البهيمية، والأخلاق السيئة، وهكذا تتفكك الأسر، ومن بعدها المجتمعات، ومن أخطرها عزوف الرجال عن الزواج، ويترتب عليها ظهور الزنا، وقلة النسل.

وأما أضرارها الاقتصادية منها ما يلي:

---

[١] محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، (١٤١٥هـ ١٩٩٤م)، **الفاحشة عمل قوم لوط**، ط١، ج١، ص٢٨، الناشر: دار ابن خزيمة.

[٢] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج٣، ص١٥١٣. بتصرف.

١ ــ إهدار الثروة المالية بحثا عن الشهوة المحرمة، داخل البلاد، أو خارجها، وكذلك ما ينفق من أموال لشراء المجلات الهابطة والأشرطة الماجنة التي تهيج الغرائز وتحرك الكوامن.

٢ ــ ما يبذل من أموال لدراسة هذه الظاهرة؛ والبحث في سبل علاجها، وما ينفق لعلاج المصابين بها.

٣ــ البطالة وقلة الأيدي العاملة: فالمجتمع الذي ينتشر فيه هذا الوباء لا بد أن يتأثر، ويضعف، ويقل الجادون فيه، ويكثر فيه أهل البطالة، فاللواط يشغل الإنسان عن مصالحه الدينية والدنيوية[١]. قال ابن القيم: ليس شيء أضيع لمصالح الدين والدنيا من عشق الصور، أما مصالح الدين فإنها منوطة بلم شعث القلب وإقباله على الله، وعشق الصور أعظم شيء تشعبا وتشتيتا له، وأما مصالح الدنيا فهي تابعة لمصالح الدين، فمن انفرطت عليه مصالح دينه وضاعت عليه فمصالح دنياه أضيع وأضيع[٢].

وأما أضراره النفسية كثيرة منها: فمنها الخوف الشديد، والوحشة، والاضطراب؛ والحزن الدائم، والعذاب المستمر، والقلق الملازم كثرة الوساوس والأوهام، والإصابة بمرض الهوس الجنسي لأن الطاعة حصن الله الأعظم، الذي من دخله كان من الآمنين، ومن خرج عنه أحاطت به المخاوف من كل جانب، والجزاء من جنس العمل؛ فمن بحث عن الأمن والأنس في معصية الله انقلب عليه الأمر رأسا على عقب فأصبح أمنه خوفا، وأنسه هما وغما. ويشعر داخليا بأنه لم يخلق ليكون رجلا، وينقلب ذلك الشعور إلى شذوذ جنسي، فيميل إلى بني جنسه، وتتّجه أفكاره إلى أعضائه التناسلية، ومن هنا يتبيّن لنا العلة الحقيقية من إسراف بعض الشباب

من الساقطين في التزين وتقليد النساء[٣].

أما أضراره الصحية فحدث ولا حرج، فها هو الطب الحديث يكشف لنا بين الفينة والأخرى كارثة من كوارث الشذوذ الجنسي، وها هي وسائل الإعلام تطل علينا من وقت لآخر بقارعة تحل بساحة الشذاذ، وما أن يجد الأطباء علاجا نافعا أو عقارا ناجعا لمرض من الأمراض إلا ويستجد مرض جديد يشغلهم عن المرض السابق، مما جعلهم يقفون واجمين متحيرين أمام هذا الخضم الموار، من تلك الشرور والأخطار[٤]، وصدق رسول الله (ﷺ) حين قال: "لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن

---

[١] محمد الحمد، **الفاحشة عمل قوم لوط**، مصدر سابق، ج١، ص٣٦.

[٢] ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (١٤١٨هـ – ١٩٩٧م)، **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء**، ط١، ص٢١٣، الناشر: دار المعرفة – المغرب.

[٣] محمد الحمد، **الفاحشة عمل قوم لوط**، مصدر سابق، ج١، ص٤٠.

[٤] المصدر السابق. ج١ص٤١.

مضت في أسلافهم الذين مضوا"[١]. مثل أمراض الزهري، والسيلان، والهربس، والإيدز، والتي سببها الرئيسي هو العلاقة الجنسية المحرمة، والشذوذ الجنسي.

ومن كامل هذا الدين الإسلامي المتين أن حذّر في كتابه العزيز من أمور تكون سببا في فقد الدين والطهر والعفاف، وكان من أبرز ما تُفقد به طهارة قلب المسلم لا جرم أنه الشرك، ومن بعده الكبائر من لذنوب، ومن بين هذه الكبائر اقتراف فاحشة وجريمة خبيثة تدل على انتكاس فطرة فاعلها ألا وهي فاحشة اللواط التي اشتهر بها قوم لوط عليه السلام، وقد تأصلت فيهم هذه الفاحشة حتى ذهبت بعقولهم وقلوبهم ومروتهم وهكذا تفعل المعاصي بأصحابها.

وبذل لوط عليه السلام النصح لهم وبين لهم عظيم جريمتهم، وأن فعلهم هذا لم يسبق إليه غيرهم من العالمين، وبين لهم أن الزواج هو طريق الفطرة السليمة لقضاء الشهوة، ولكنهم لم يستجيبوا بل زادوا في غيهم، فكانت عاقبتهم أن أهلكوا أجمعين.

وفي ذكر هذه القصة تربية للمسلمين في أن من سلك طريق الانحراف ولم يرجع ويتوب فستكون نهايته سوء المآل والختام؛ لأن بكثرة المعاصي والإصرار عليها يموت في المسلم قلبه ويغطى بالران عن أبي هريرة(ﷺ)، قال: قال رسول الله(ﷺ): " إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب صقل منها، فإن عاد زادت حتى تعظم في قلبه، فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[المطففين: ١٤][٢]. فتنقلب عنده الموازين فلا يرى الحرام إلا حلالا فإذا تمكن ذلك في قلبه فقد طهارة الإيمان وطهارة الأعمال، وحل مكانها نجاسة الإثم والعصيان.

وهنا توجيه لمن غره الشيطان في فعل المعاصي، وأن هناك من يفعل أكثر من ذلك، ونسي هذا المسكين أن من يعمل في الكبائر العظام من الأوزار لم تكن بدايته إلا بقليل من المعاصي من غير توبة ولا طهر حتى تمكنت منه ووصل إلى هذه الحال.

الهدايات القرآنية:

-١- إن التمادي في المعاصي تقلب الموازين لفاعلها، وتنجس قلبه فيرى الحرام حلال والعكس.

-٢- ذكرت قصة لوط عليه السلام مع قومه وما كان من ردة فعلهم بأن أجابوا على نصحه

---

[١] سبق تخريجه في الهامش رقم ١٦.

[٢] الحاكم، **المستدرك**، مصدر سابق، رقم٦، ج١، ص٤٥. وقال هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين.

بطرده وآل بيته من القرية في سورتي الأعراف والنمل، بينما في سورة هود بين لهم الطريقة المثلى في قضاء الشهوة بطهارة وعفاف بزواجهم من الإناث الذي يلبي لهم الفطرة السليمة.

-٣- كل هذه السور مكية النزول وكل واحدة منها تناولت القصة بجانب يتناسق مع سياق السورة التي ذكرت فيها، وفي مجموعها تعطي لنا الصورة الكاملة لهذا القصة وكأن كل واحدة منها مشهد أو حلقة من مشاهد وحلقات هذه القصة.

-٤- وصفهم الله تعالى في سبب عدم استجابتهم بأنهم قوم مسرفون، وبأنهم ليس عندهم رشد، وبأنهم قوم يجهلون، فإذا كانت هذه أوصافهم إسراف وعدم رشْد وجهل، وهم قد انتكست فطرتهم بفعلتهم البشعة وانقلبت الموازين عندهم، فكان جزاؤهم أن قلب الله عليهم قراهم.

المبحث الخامس: عدم طهارة المنافقين واليهود

قال تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾﴾. [المائدة: ٤١].

قال الطبري: إن الله تعالى لم يطهر قلوب هؤلاء القوم لما فيها من النفاق، والكفر يقول: هؤلاء الذين لم يرد الله أن يطهر من دنس الكفر ووسخ الشرك قلوبهم، بطهارة الإسلام ونظافة الإيمان، فيتوبوا، بل أراد بهم الخزي في الدنيا وفي الآخرة عذاب عظيم[١]. والخزي الذي في الدنيا هو للمنافقين واليهود، فخزي المنافقين الفضيحة وهتك الستر بإظهار نفاقهم، وخزي اليهود الجزية، أو القتل، والسَّبْيُ كما في بني قريظة، والجلاء، وَالنَّفْيُ كما في بني النضير وَرُؤْيَتُهُمْ مِنْ مُحَمَّدٍ (ﷺ)، وأصحابه وفيهم ما يكرهون، والعذاب العظيم في الآخرة، الخلود في النار[٢].

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية عن البراء بن عازب قال: مر رسول الله (ﷺ) بيهودي محمما مجلودا، فدعاهم فقال: "أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم" قالوا: نعم، قال: فدعا رجلا من علمائهم فقال: "أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام، هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ " قال: لا، ولولا أنك نشدتني لم أخبرك، نجد حد الزاني في كتابنا الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذ أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الوضيع أقمنا عليه الحد، فقلنا: تعالوا نجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فاجتمعنا على التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله (ﷺ): "اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه"، فأمر به فرجم[٣]، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾. [المائدة: ٤١].

والقضيّة البارزة في هذه الآية هي في عدم تحكيم شرع الله تعالى، أو التهرب منه، أو التحايل عليه، أو تبديله بما يوافق أهواءهم، وهي سمة بارزة يشترك فيها المنافقون، واليهود، في كل عصر، وأوان مع علمهم أنه يخالفون دينهم وشرعهم، واتضح ذلك عندما اتفق اليهود على عدم رجم المحصن إذا زنى، وذلك عندما كثر الزنى في أشرافهم، فبدلوا حكم الله تعالى بتسويد

---

[١] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج١٠، ص٣١٨، ٣١٧. بتصرف.
[٢] البغوي، **معالم التنزيل**، ج٢، ص٥٢، والسمرقندي، ج١، ص٣٩١، والثعلبي، ج٦، ص٤٤. بتصرف.
[٣] الواحدي، أسباب النزول، مصدر سابق، ج١، ص١٩٦، ١٩٥. و"المحمّم": المسوّد الوجه" حمّم الرجل تحميما": سخم وجهه بالحمم، وهو الفحم. .

وجه الفاعل وجلده، وهذا حال كثير من المنافقين في هذه الأيام، من عدم تحكيم شرع الله في بلاد المسلمين، إرضاء لأسيادهم من اليهود والنصارى، وكان الأولى بهم إرضاء رب العالمين.

قال السعدي: ويدل ذلك على أن من كان مقصوده بالتحاكم إلى الحكم الشرعي اتباع هواه، وأنه إن حكم له رضي، وإن لم يحكم له سخط، فإن ذلك من عدم طهارة قلبه، كما أن من حاكم وتحاكم إلى الشرع ورضي به، وافق هواه أو خالفه، فإنه من طهارة القلب، ودلت الآية أيضا على أن طهارة القلب، سبب لكل خير، وهو أكبر داع إلى كل قول رشيد وعمل سديد[1].

علاقة المنافقين باليهود:

وقد ذكرت آيات كثيرة في وصف قلوب المنافقين واليهود بالمرض، والقسوة، والطبع عليها ويظهر من مجموع هذه الآيات التي ذكرت صفات يتفق فيها المنافقين واليهود، على أنهم يشتركون في علة واحدة ألا وهي عدم طهارة قلوبهم وبغضهم ومكرهم للدين وأهله، غير أن عداوة المنافقين غير ظاهرة بينما عداوة اليهود بينة واضحة بل ويفاخرون بهذه العداوة لعنهم الله تعالى.

ونستنتج أيضا أن هناك علاقة وثيقة بين المنافقين واليهود، وأن هدفهم المنشود والموحّد بينهم هو القضاء على الدين الإسلامي وأهله، والكيد له في كل زمان ومكان والتاريخ خير شاهد على هذا، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر ما حدث في غزوة الأحزاب من اتفاق بين المنافقين واليهود داخل المدينة مع المشركين من قريش لغزو المدينة المنورة، والقضاء على الإسلام وأهله، ولكن الله تعالى نصر عبده وأعزّ جنده، وهزم الأحزاب وحده.

وتبيّن لنا آية أخرى شدة مسارعة المنافقين، ومحبّتهم لليهود قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢﴾. [المائدة: ٥٢، ٥١].

قال الطبري: "اختلف أهل التأويل في المعنيِّ بهذه الآية، وإن كان مأمورًا بذلك جميع المؤمنين، قال: جاء عبادة بن الصامت من بني الحارث بن الخزرج، إلى رسول الله (ﷺ) فقال:

---

[1] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، مصدر سابق، ج١، ص٢٣١. بتصرف.

يا رسول الله، إن لي موالي من يهود كثيرٌ عدَدُهم، وإني أبرأ إلى الله ورسوله من وَلاية يهود، أتولَّى الله ورسوله. فقال عبد الله بن أبي: إنّي رجل أخاف الدَّوائر، لا أبرأ من ولاية مواليّ. فقال رسول الله (ﷺ) لعبد الله بن أبيّ: يا أبا الحباب، ما بخلتَ به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) فهو إليك دونه؟ قال: قد قبلتُ، فأنزل الله هذه الآيات" [١].

وهناك أمر آخر وهو أن بقاء اليهود متوقف على وجود المنافقين، خصوصا أنك تلحظ في الآيات التي يذكر فيها المنافقين واليهود أن ذكر المنافقين دائما مقدّم على اليهود، وهذه ما نراه في بلاد المسلمين من التآمر على شعوبها، وإذلالها، وسرقة خيراتها، وبثت الفتنة بينها، وهذا لا يتم إلا عن طريق المنافقين ومن ورائهم أعداء الدين من اليهود، والنصارى الحاقدين؛ لأنهم لا يستطيعون مواجهة المسلمين عيانا لجبنهم وخوفهم من وحدة المسلمين ضدهم؛ لأن في ذلك هزيمتهم وخسرانهم.

هذه الفئة التي لم يشأ الله طهارة لقلوبهم هم شرار الخلْق عند الله تعالى قتلة الأنبياء المحرّفين لدين الله أحفاد القردة وأبناء الخنازير ألا إنهم اليهود عليهم، وخلق آخر يذكرون دائما مع اليهود لاتفاقهم في الصفات السيئة هم الذين يظهرون مالا يبطنون ألا هم المنافقون ففهم متفقون مع اليهود والنصارى الحاقدين على النيل من الدين الإسلامي الحنيف فذكر تعالى في أن هؤلاء القوم أي المنافقون واليهود لم يرد الله طاهرة لقلوبهم لسابق علمه سبحانه بسوء نيتهم وقبيح فعالهم. وقد وصف الله تعالى قلوب هؤلاء الصنفين في كتابه العزيز بأنها مريضة، وأنها قاسية، وأنها مطبوع عليها وأنهم ملعونون وغيرها من الصفات مما يدل على أن قلوبهم ليست محلا لطهارة الدين والإيمان.

إذن فواجب على المسلمين لكي يحافظوا على طهارة دينهم، أن يحذروا من هؤلاء الأنجاس الحاقدين الذي يكيدون لهدم الدين وصدّ المسلمين على اتباع خير المرسلين، فتارة تراهم يشككون في أحكام الدين، وتارة يثيرون الفتنة بين المسلمين، وتارة أخرى يُغْرون المسلمين بالمحرمات بتزيينها لهم فهم يعملون في جميع الاتجاهات ليل نهار وبكل قوة كما هو مشاهد ومعلوم لمحاربة دين الله الإسلام، فما من رذيلة تسيء إلى الدين إلا وتجد أحد هؤلاء الصنفين أو كلاهما من ورائها، فالذين ينشرون الفاحشة ويروجون الخمور والمخدرات ويضيعون شباب الأمة بالوقوع في المحرمات إن ادعوا أنهم مسلمون فهم نجسة قلوبهم؛ لأن فعالهم تدل على أنهم منافقون لفعلهم ما يسيء إلى الدين والمسلمين.

---

[١] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج١٠، ص٣٩٥، ٣٩٦.

فالمؤمن الحق طاهر القلب، يحب دينه ويدافع عن ربه وعقيدته وقرآنه ونبيه وسنته وشعائر دينه وهو طاهر الجوارح لا ينشر الفاحشة ولا المحرمات، المؤمن الطاهر لا يبيع الخمر والمخدرات بل ينكر على من يفعلها ويمارسها.

فعلى المسلمين الغيورين ونحن نعيش في زمن كثرت فيه الفتن والمغريات، أن يتفطنوا لكيد هؤلاء الأنجاس، ويحرصوا على طهارة دينهم، ويربّوا أولادهم على محبة الدين وأهله، ومحبة الطهر والالتزام.

الفصل الثالث

الطهْر "الحسيّ "وموضوعاته في القرآن الكريم

المبحث الأول: طهارة ماء السماء.

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦٓۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ [الفرقان: ٤٨].

يذكر تعالى في هذه الآية الكريمة نعمة إنزال الما الطهور وهي امتداد للعرض الذي تتحدّث فيه الآيات عن قدرة الله، وعن إحسانه إلى عباده، ورحمته بهم، وأنّ من سوابغ إحسانه سبحانه، ومن فواضل رحمته، أنه يرسل الرياح فيجد الناس فيها بشريات الغيث، الذي يوشك أن ينزل، فيحيى الأرض بعد موتها[١].

قال ابن منظور: " وَالْمَاءُ الطَّهُور، بِالْفَتْحِ: هُوَ الَّذِي يَرْفَعُ الحدَث ويُزِيل النجَسَ لأَن فَعُولاً مِنْ أبنية المُبالغة فكأنه تَنَاهى فِي الطَّهَارَةِ[٢].

صفة ماء السماء:

وماء المطر بالغ منتهى الطهارة إذ لم يختلط به شيء يكدره أو يقذره وهو في علم الكيمياء أنقى المياه لخلوه عن جميع الجراثيم فهو الصافي حقا[٣]. قال أبو حيّان: "والظاهر في قوله﴿طَهُورًا مَآءً﴾. أن يكون للمبالغة في طهارته وجهه المبالغة كونه لم يشبه شيء بخلاف ما نبع من الأرض ونحوه فإنه تشوبه أجزاء أرضية من مقرّه أو ممرّه أو مما يطرح فيه"[٤]. والمعنى: أن الماء النازل من السماء هو بالغ نهاية الطهارة في جنسه من المياه ووصف الماء بالطهور يقتضي أنّه مطهّر لغيره إذ العدول عن صيغة فاعل إلى صيغة فعول لزيادة معنى في الوصف، فاقتضاؤه في هذه الآية أنه مطهر لغيره اقتضاء التزامي ليكون مستكملا وصف الطهارة القاصرة والمتعدية، فيكون ذكر هذا الوصف إدماجا لمنة في أثناء المنن المقصودة، ويكون كقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾. [الأنفال: ١١]. وصف الطهارة الذاتية وتطهيره، فيكون هذا الوصف إدماجا ولو لا ذلك لكان الأحق بمقام الامتنان وصف الماء بالصفا أو نحو ذلك[٥].

---

[١] الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، مصدر سابق، ج١٠، ص٣٦.
[٢] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج٤، ص٥٠٦، ٥٠٥.
[٣] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مصدر سابق، ج١٩، ص٤٧.
[٤] أبوحيان، **البحر المحيط**، مصدر سابق، ج٨، ص١١٥.
[٥] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مصدر سابق، ج١٩، ص٤٨، ٤٧. بتصرف.

فهو سبحانه الذي امتن على جميع الخلق بنعمة ماء السماء، والتي لا تكون الحياة إلا به لجميع الكائنات قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. فجميع ما على هذه الأرض من مخلوقات كلها تعيش على ماء السماء إما مباشرة، وإما بما ينشئه من جداول وأنهار على سطح الأرض، ومن ينابيع وعيون وآبار من المياه الجوفية المتسربة إلى باطن الأرض منه، ولكن الذين يعيشون مباشرة على المطر هم الذين يدركون رحمة الله الممثلة فيه إدراكا صحيحا كاملا، وهم يتطلعون إليه شاعرين بأن حياتهم كلها متوقفة عليه، وهم يترقبون الرياح التي يعرفونها تسوق السحب، ويستبشرون بها ويحسون فيها رحمة الله– إن كانوا ممن شرح الله صدورهم للإيمان. [١]

وقد سمّى الله تعالى هذا الماء ووصفه في كتابه العزيز بأوصاف كثيرة، فسمّاه رحمة؛ لأن الله يرحم به عباده فتخصب بلادهم وتنمو زروعهم ومواشيهم وثمارهم، وهو أصل النعم الدنيوية على الخلق.

وسمّاه غيثا لما به يكون للناس غيّاث فيما به قوام أنفسهم ودنياهم، وسمّاه في موضع: رحمة فقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٨﴾ [الشورى: ٢٨]، وسمّاه مباركا لما به ينمو ويزداد كل شيء؛ لأن البركة هي اسم لكل خير ينمو ويزاد بلا اكتساب[٢]. قال تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩﴾[ق: ٩]، وسمّاه رزقا لأنه سبب الأرزاق فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗا﴾[غافر: ١٣] والرِّزق هاهنا: المطر[٣]، وأنّه طهور ما يطهّر به الأنجاس والأقذار الظاهر منها والباطن؛ وكذا الطهور أنه يطهّر حيثما أصابه[٤]. كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ٤٨﴾ [الفرقان: ٤٨]. وما كانت لا تجتمع فيه هذه الأوصاف إلا لأهميته ومكانته، فهو يغني عن غيره، ولا يغني غيره عنه، فما من قطرة نزلت من السماء إلا ولها فائدة.

---

[١] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج٥، ص٢٥٧٠.

[٢] الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م)، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، (تحقيق: د. مجدي باسلوم)، ط١، ج٨، ص٣٢٤. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان

[٣] ابن الجوزي، **زاد المسير**، مصدر سابق، ج٤، ص٣٢.

[٤] الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، مصدر سابق، ج٨، ص٣١.

روي عن عكرمة أنه قال: ما أنزل الله من السماء قطرة إلا أنبت بها في الأرض عشبة أو في البحر لؤلؤة. وقال غيره: في البرّ برٌّ وفي البحر درٌّ[١].

وقوله تعالى: ﴿وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾. أي: نسقيكموه أنتم وأنعامكم، أليس الذي أرسل الرياح المبشرات وجعلها في عملها متنوعات، وأنزل من السماء ماء طهورا مباركا فيه رزق العباد ورزق بهائمهم، هو الذي يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك معه غيره؟ [٢]. وفي هذه الآية بيان للحكمة من سوق هذه الرحمة إلى الناس. إنها حياة لكل ميْت وبعث لكل هامد[٣].

قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾[الحج: ٥] فيلقي على الحياة ظلا خاصا. ظل الطهارة. فالله سبحانه أراد الحياة طاهرة نقية وهو يغسل وجه الأرض بالماء الطهور الذي ينشىء الحياة في الموات ويسقي الأناسي والأنعام. وعند هذا المقطع من استعراض المشاهد الكونية يلتفت إلى القرآن النازل من السماء كذلك لتطهير القلوب والأرواح وكيف يستبشرون بالماء المحيي للأجسام ولا يستبشرون بالقرآن المحيي للأرواح[٤].

وقريبا من هذا المعنى، والربط بين الماء النازل من السماء، وآيات القرآن الكريم النازلة أيضا من السماء، يقول الرازي في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾[غافر: ١٣]. واعلم أن أهم المهمات رعاية مصالح الأديان، ومصالح الأبدان، فهو سبحانه وتعالى راعى مصالح أديان العباد بإظهار البينات والآيات، وراعى مصالح أبدانهم بإنزال الرزق من السماء فموقع الآيات من الأديان كموقع الأرزاق من الأبدان، فالآيات لحياة الأديان، والأرزاق لحياة الأبدان، وعند حصولهما يحصل الإنعام على أقوى الاعتبارات وأكمل الجهات[٥]. وكان من هدي النبي(ﷺ) في التعامل مع هذه النعمة من أول أن تتأخر عن وقتها، ثم إذا رأى تجمّع السحاب، إلى بداية نزول الغيث، ثم إذا تتابع نزوله، وفي جميع هذه الحالات وردت أحاديث صحيحة.

---

[١] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مصدر سابق، ج٦، ص١٠٤.
[٢] المصدر السابق، ج١، ص٥٨٤.
[٣] الخطيب، **تفسير القرآني للقرآن**، مصدر سابق، ج١٠، ص٣٧.
[٤] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج٥، ص٢٥٧٠.
[٥] الرازي، **التفسير الكبير**، مصدر سابق، ج٧، ص٢٧.

هدي النبي صلى الله عليه وسلم مع الغيث:

فأما عند تأخّر الغيث فقد شرع رسول الله (ﷺ) صلاة الاستسقاء، والدعاء لنزول الغيث، ففي الصحيح أن شريك بن عبد الله بن أبي نمر[١]، أنه سمع أنس بن مالك (رضي الله عنه) يذكر أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر، ورسول الله (ﷺ) قائم يخطب، فاستقبل رسول الله (ﷺ) قائما، فقال: يا رسول الله: هلكت المواشي، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، قال: فرفع رسول الله (ﷺ) يديه، فقال: «اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا» قال أنس(رضي الله عنه): ولا والله ما نرى في السماء من سحاب، ولا قزعة ولا شيئا وما بيننا وبين سلع من بيت، ولا دار قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء، انتشرت ثم أمطرت، قال: والله ما رأينا الشمس ستا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله (ﷺ) يخطب، فاستقبله قائما، فقال: يا رسول الله: هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها، قال: فرفع رسول الله(ﷺ) يديه، ثم قال: «اللهم حوالينا، ولا علينا، اللهم على الآكام والجبال والآجام والظراب والأودية ومنابت الشجر» قال: فانقطعت، وخرجنا نمشي في الشمس قال شريك: فسألت أنس بن مالك(رضي الله عنه): أهو الرجل الأول؟ قال: «لا أدري»[٢].

أما إذا رأى تجمّع الغيم، والسحاب فكان حاله (ﷺ) الخوف من الله عز وجل لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: "ما رأيت رسول الله (ﷺ) مستجمًا ضاحكًا حتى أرى من لهواته، إنما كان يتبسَّمُ، وكان إذا رأى غيمًا أو ريحًا عرف ذلك في وجهه، فقلت: يا رسول الله، أرى الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفتُ في وجهك الكراهية؟ فقال: "يا عائشة ما يؤمِّنني أن يكون فيه عذاب، فقد عُذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: ﴿ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾[٣] [الأحقاف: ٢٤]. وإذا كان الماء الطهور في بداية نزوله فقد

---

[١]هو شريك بن عبد الله بن أبي نمر الليثي من أنفسهم. ويكنى أبا عبد الله. وتوفي بعد سنة أربعين ومائة. وقبل خروج محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة، وخرج سنة خمس وأربعين ومائة. وكان ثقة كثير الحديث. ابن سعد، طبقات الكبرى، مصدر سابق، رقم١١٥٨، ج٥، ص٣٩٨، ٣٩٧.

[٢] البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، أبواب الاستسقاء، باب الاستسقاء في المسجد الجامع رقم ١٠١٣، ج٢، ص٢٨. الآكام: جمع الاكمة وهو ما ارتفع من الأرض. والظراب: الروابي الصغار واحدها ظرب وإنما خص الآكام والظراب لأنها أوفق للراعية من شواهق الجبال. وبطون الاودية: اوساطها التي يكون فيها قرار الماء واحدها بطن. الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، **الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي**، (تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني) الناشر: دار الطلائع، ج١، ص٨٧.

[٣] مسلم، **المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، كتاب الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، والفرح بالمطر رقم٨٩٩، ج٢، ص٦١٦.

كان (ﷺ) يستقبله حاسرا ثوبه فعن أنس(رضي الله عنه)، قال: مطرنا ونحن مع رسول الله (ﷺ) فحسر عن ثوبه للمطر، قلنا: لم صنعت هذا يا رسول الله؟ قال: "إنه حديث عهد بربه"[١]. وكان إذا تتابع نزول الماء الطهو من السماء دعا (ﷺ) بدعوات مختلفة: منها "اللهم حولينا لا علينا" كما سبق، وكما روي عن عائشة: أن رسول الله (ﷺ) كان إذا رأى المطر، قال: «اللهم صيّبا نافعا»[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَد صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُواْ﴾. ولقد صرفناه بينهم ليذكروا أي أمطرنا هذه الأرض دون هذه، وسقنا السحاب يمر على الأرض ويتعداها ويتجاوزها إلى الأرض الأخرى، فيمطرها ويكفيها ويجعلها غدقا، والتي وراءها لم ينزل فيها قطرة من ماء، وله في ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة.

قصة الحديقة:

كما في حديث الحديقة فعن أبي هريرة(رضي الله عنه)، عن النبي(ﷺ) قال: " بينا رجل بفلاة من الأرض، فسمع صوتا في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب، فأفرغ ماءه في حرة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان – للاسم الذي سمع في السحابة – فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان، لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخرج منها، فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثا، وأردّ فيها ثلثه "[٣].

قال ابن عباس وابن مسعود (رضي الله عنهما): ليس عام بأكثر مطرا من عام، ولكن الله يصرفه كيف يشاء، ثم قرأ هذه الآية ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝﴾. أي ليذكروا بإحياء الله الأرض الميتة أنه قادر على إحياء الأموات والعظام الرفات، وقد كثر ذكر إحياء الأرض الميتة بعد موتها في القرآن الكريم دلالة على إحياء الموتى كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝﴾ [فاطر: ٩].

---

[١] المصدر السابق، كتاب الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، رقم٨٩٨، ج٢، ص٦١٥.

[٢] البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، أبواب الاستسقاء، باب ما يقال إذا مطرت، رقم ١٠٣٢، ج٢، ص٣٢. (صيبا نافعا) اللهم اصبه مطرا لا ضرر فيه من سيل أو هدم أو عذاب.

[٣] مسلم، **المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، كتاب الزهد والرقائق، باب الصدقة في المساكين، رقم٢٩٨٤، ج٤، ص٢٢٨٨. (حرة) الحرة أرض بها حجارة سود كثيرة (شرجة) وجمعها شراج وهي مسايل الماء في الحرار.

وكذلك ليذكروا لمّا منعوا المطر ما سبب حبس المطر عليهم لعلهم ارتكبوا معصية، وحبس المطر: سببه معصية الله تعالى ورسوله (ﷺ)؛ لحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله (ﷺ) فقال: "يا معشر المهاجرين: خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قطُّ حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا. ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم. ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا. ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوًّا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم. وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم"[١].

وهذا الحديث فيه من الفوائد: أن نقص المكيال والميزان سبب للجدب وشدة المؤونة وجور السلاطين، وفيه أن منع الزكاة من الأسباب الموجبة لمنع قطر السماء، وأن نزول الغيث مع وجود المعاصي إنما هو رحمة من الله تعالى للبهائم[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ۝٥٠﴾[الفرقان:٥٠] قال عكرمة: يعني الذين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا، وهذا الذي قاله عكرمة قد صح في الحديث عن رسول الله (ﷺ)أنه قال لأصحابه يوما على أثر سماء أصابتهم من الليل «هل تدرون ماذا قال ربكم؟ » قالوا: الله ورسوله أعلم. قال «قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بي، كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذاك كافر بي، مؤمن بالكواكب»[٣]. وقد حمل العلماء الكفر المذكور في الحديث على أحد نوعيه الاعتقادي أو كفر النعمة بحسب حال القائل. فمن قال مطرنا بنوء كذا معتقداً أن للكوكب فاعلية وتأثيراً في إيجاد المطر، فهو كافر كفراً مخرجاً من الملة.

من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك إيمان بالله لأنه يعلم أنه لا يمطر ولا يعطي إلا الله عز وجل وأما من قال مطرنا بنوء كذا، وكذا على ما كان بعض أهل الشرك يعنون من إضافة المطر إلى أنه أمطره نوء كذا فذلك كفر كما قال رسول الله(ﷺ) لأن النوء وقت، والوقت مخلوق

---

[١] ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، مصدر سابق، أبواب الفتن، باب العقوبات، رقم٤٠١٩، ج٢، ص١٣٣٢.
[٢] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، (١٤١٣هـ ١٩٩٣م)، **نيل الأوطار**، (تحقيق: عصام الدين الصبابطي)، ط١، ج٤، ص٥ الناشر: دار الحديث، مصر.
[٣] مسلم، **المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء رقم ١٢٥، ج١، ص٨٣.

لا يملك لنفسه، ولا لغيره شيئا، ولا يمطر، ولا يصنع شيئا فأما من قال: مطرنا بنوء كذا على معنى مطرنا بوقت كذا فإنما ذلك كقوله مطرنا في شهر كذا، ولا يكون هذا كفرا، وغيره من الكلام أحب إلي منه[1]. فالشافعي يقصد هنا الكفر الاعتقادي.أما من قال: مطرنا بنوء كذا، ويقصد أن النوء علامة للمطر فقط وأن المدبر هو الله، فهذا لا يكفر كفراً مخرجاً من الملة، كما قال الشافعي.

وقد ذكر تعالى في كتابه أنه من بين ما أنعم على خلقه المسلم والكافر بل حتى البهائم والنباتات وجميع الكائنات، أن أنزل لهم ماء من السماء طهورا صافيا نقيا، ليس فيه نجاسة ولا شائبة على أصل خلقته، قال تعالى. الآية وسورة الفرقان من السور المكية، والتي من ملامحها أن يذكر الله تعالى ما يدل على عظيم قدرته وكثرة نعمه على خلقه، والماء الطهور هو ما كان طاهرا في نفسه مطهر لغيره.

الهدايات القرآنية:

-١- في مكية سورة القرقان دلالة على أنها ما تقدمت في النزول على سورة المائدة التي تحدث عن الطهارة الصغرى والكبرى.

-٢- ذكر صفة الطهور للماء إشارة من الله تعالى أنه يريد به طهارة لعباده.

-٣- هناك علاقة بين الماء النازل من السماء لطهارة الأبدان وبين القرآن النازل من الرحمن لطهارة القلوب فكلاهما نازل من رب العالمين.

---

[1] الشافعي، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) **الأم**، بدون طبعة، ج١، ص٢٨٨. دار المعرفة – بيروت.

المبحث الثاني: الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾. [المائدة: ٦].

إن الحديث عن الصلاة والطهارة إلى جانب الحديث عن الطيبات من الطعام والطيبات من النساء. فيه لفتة إلى لون آخر من الطيبات. طيبات الروح الخالصة. إلى جانب طيبات الطعام والنساء. لون يجد فيه قلب المؤمن ما لا يجده في سائر المتاع. إنه متاع اللقاء مع الله، في جو من الطهر والخشوع والنقاء. فلما فرغ من الحديث عن متاع الطعام والزواج ارتقى إلى متاع الطهارة والصلاة استكمالاً لألوان المتاع الطيبة في حياة الإنسان. والتي بها يتكامل وجود الإنسان [١].

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية عن عائشة زوج النبي(ﷺ) قالت: خرجنا مع رسول الله (ﷺ) في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقدٌ لي، فأقام رسول الله (ﷺ)على التماسه، وأقام الناس معه وليسوا على ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق، فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله (ﷺ) والناس وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله (ﷺ)واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله (ﷺ) والناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر، وقال: ما شاء الله أن يقول وجعل يطعنني بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله (ﷺ) على فخذي، فقام رسول الله (ﷺ) حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم فتيمموا، فقال أسيد بن الحضير(رضي الله عنه)[٢]: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه، فأصبنا العقد تحته[١]. وهذا الحادثة كانت هي السبب في مشروعة التيمم.

---

[١] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج٢، ص٨٤٩.

[٢] هو أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل. ويكنى أبا يحيى. وكان يكنى أيضا أبا الحضير وكان لأسيد من الولد يحيى وأمه من كندة توفي وليس له عقب. وكان يكتب بالعربية في الجاهلية وكانت

طهارة الحدث والخبث:

وتناولت هذه الآية الكريمة أمر الصلاة، والتي هي عماد الدين، وكيفية الاستعداد لها، وذلك بالإتيان بالطهارة، وهي إما أن تكون طهارة مائية وذلك في رفع الحدث بالماء إما بالوضوء للحدث الأصغر، وإما بالغسل للحدث الأكبر، وإما أن تكون الطهارة في عدم وجود الماء، أو خوف الضرر، أو تأخر البرؤ بالصعيد الطاهر، وهو التيمم الذي يبيح العبادة، وهو رخصة ورحمة من الله لعباده.

وقد فصّلت الآية في كيفية أفعال الوضوء، والتيمم، بينما عندما تحدّث عن الغسل لم تفصل فيه؛ ذلك لأن العرب كانت تعرف الغسل وتقوم به في الجاهلية، ولعله من بقايا دين إبراهيم عليه السلام، لأن الوضوء والتيمم لم يكن معروفا عندهم.

وروعي في آية الطهارة قيام الفعل من حيث الأكثر إلى الأقل، فأكثر ما يصاب به المصلون هو تلبّسهم بالحدث الأصغر، وهو على أقل تقدير أن يكون مرة واحدة يوميا على الدوام، فيستعمل فيه الوضوء، ثم ذكر الغسل من الحدث الأكبر، والذي وقوعه لا يكون يوميا على الدوام بل يكون في أيام متفاوتة، ثم ذكر التيمم وهو الطهارة البديلة عن الماء، والذي لا يكون استعماله إلا في حالات محدودة فيعتبر الانتقال إليه قليلا بجانب استعمال المياه.

والآية مشتملة على سبعة أمور كلها مثنى: طهارتان أصل وبدل، والأصل اثنان مستوعب وغير مستوعب، وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود، وأن آلتهما مائع وجامد، وموجبهما حدث أصغر وأكبر، وأن المبيح للعدول إلى البدل مرض أو سفر، وأن الموعود عليهما تطهير الذنوب وإتمام النعمة[٢].

=الكتابة في العرب قليلا. وكان يحسن العوم والرمي. وكان يسمى من كانت هذه الخصال فيه في الجاهلية الكامل وكانت قد اجتمعت في أسيد. وكان إسلام أسيد بن الحضير وسعد بن معاذ على يدي مصعب بن عمير العبدري في يوم أحد. فقدم أسيد سعدا في الإسلام بساعة. وشهد أسيد العقبة الآخرة مع السبعين من الأنصار في روايتهم جميعا. وكان أحد النقباء الأثني عشر، وآخى رسول الله (ﷺ) بين أسيد بن الحضير وزيد بن حارثة. ولم يشهد أسيد بدرا، ولقي أسيد بن الحضير رسول الله(ﷺ) حين أقبل من بدر فقال: الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك. والله يا رسول الله ما كان تخلفي عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدوا ولكن ظننت أنها العير. ولو ظننت أنه عدو ما تخلفت. فقال رسول الله (ﷺ): صدقت]. وشهد أسيد أحدا وجرح يومئذ سبع جراحات. وثبت مع رسول الله(ﷺ) حين انكشف الناس. وشهد الخندق والمشاهد كلها مع رسول الله(ﷺ) وكان من علية أصحابه. توفي أسيد بن الحضير في شعبان سنة عشرين فحمله عمر بن الخطاب بين العمودين من بني عبد الأشهل حتى وضعه بالبقيع وصلى بالبقيع. ابن سعد، الطبقات الكبرى، مصدر سابق، رقم٣٢٦، ج٣، ص٤٥٣، ٤٥٤. بتصرف

[١] البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، كتاب التيمم، بدون باب، رقم٣٣٤، ج١، ص٣٤.

[٢] البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، مصدر سابق، ج٢، ص١١٧.

أما قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾. [المائدة: ٦]. قال الطبري يقول: فتطهّروا بالاغتسال منها قبل دخولكم في صلاتكم التي قمتم إليها[١].

فوائد الاغتسال:

والاغتسال كما هو معروف هو تعميم ظاهر الجسد بالماء، وفي وجوب الدلك خلاف، وللغسل فوائد صحية ونفسية أثبتها العلم الحديث، وفي وجوب الاغتسال من الجنابة حكم صحية رائعة. فالجماع أوقذف المني بأي سبب كان يؤدي إلى فتور وارتخاء يعلل طبياً بوهن في الجملة العصبية و توسع في الأوعية الدموية المحيطية يؤدي إلى فقدان قسط كبير من النشاط العضلي والفكري، وإن الاغتسال ينبه الشبكة العصبية الحسية لتوقظ الجهاز العصبي ويسترجع حيويته. ويتسبب عن اللقاء الجنسي وهن نفسي ورغبة في النوم، والاغتسال ينشط الجسم والروح، وإن التوجيهات الصحية تدعو إلى الاغتسال عقب كل مجهود عضلي كبير وعقب التدريبات الرياضية المجهدة فالاغتسال يزيل آثار الجهد العضلي ويخفف عواقبه والجماع من هذه الناحية جهد عضلي[٢].

رخصة التيمم:

وبعد أن ذكر تعالى كيفية إزالة الحدث الأصغر بالوضوء، والحدث الأكبر بالغسل، وذلك في حالة وجود الماء، انتقل إلى رخصة بالتيمم في حالة عدم جود الماء، أو الخوف من استعماله في زيادة مرض، أو وقوعه، أو تأخر الشفاء، فقال تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾[المائدة: ٦]، وإباحة العبادات بالتيمم لم يكن قبل نزول هذه الآية، كما جاء في سبب النزول. ومن حكم هذه الطهارة يقول سيد: وتقودنا حكمة الوضوء والغسل والتيمم التي كشف النص عنها هنا: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾. [المائدة: ٦]. تقودنا إلى تلك الوحدة التي يحققها الإسلام في الشعائر والشرائع

---

[١] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج١٠، ص٨٢.

[٢] روائع الطب الإسلامي الجزء الثاني [العبادات في الإسلام وأثرها في صحة الفرد والمجتمع] موقع، تأليف العلامة الدكتور الطبيب محمد نزار الدقر اختصاصي بالأمراض الجلدية والتناسلية والعلاج التجميلي دكتور" فلسفة " في العلوم الطبية كاتب متخصص في الطب الإسلامي.

على السواء. فليس الوضوء والغسل مجرد تنظيف للجسد، ليقول متفلسفة هذه الأيام: إننا لسنا في حاجة إلى هذه الإجراءات، كما كان العرب البدائيّون! لأننا نستحم وننظف أعضاءنا بحكم الحضارة! إنما هي محاولة مزدوجة لتوحيد نظافة الجسم وطهارة الروح في عمل واحد وفي عبادة واحدة يتوجه بها المؤمن إلى ربه. وجانب التطهر الروحي أقوى. لأنه عند تعذر استخدام الماء، يستعاض بالتيمم، الذي لا يحقق إلا هذا الشطر الأقوى[١].

وهناك من يطعن في التيمم كيف يكون بدلا عن الطهارة المائية، خصوصا أنه تستعمل فيه الحجارة، أو التراب غالبا.

ويبدو أن حكمة الوضوء أو الغسل، ليست هي مجرد النظافة. وإلا فإن البديل من أحدهما أو من كليهما، لا يحقق هذه الحكمة! فلا بد إذن من حكمة أخرى للوضوء أو الغسل. تكون متحققة كذلك في التيمم، ربما- كانت هي الاستعداد النفسي للقاء الله، بعمل ما، يفصل بين شواغل الحياة اليومية العادية، وبين اللقاء العظيم الكريم. [٢].

كذلك يقودنا الحديث عن التيمم للصلاة عند تعذّر الطهارة بالوضوء أو الغسل أو ضررها إلى لفتة أخرى عن الصلاة ذاتها. عن حرص المنهج الإسلامي على إقامة الصلاة وإزالة كل عائق يمنع منها. فهذا الحكم بالإضافة إلى الأحكام الأخرى كالصلاة عند الخوف والصلاة في حالة المرض من قعود أو من استلقاء حسب الإمكان[٣].

إذن من أظهر حكم التيمم هو الانقياد لهذا التكليف لمحض إظهار العبودية، والانقياد للربوبية فكان هذا الانقياد قد أزال عن قلبه آثار التمرد فكان ذلك طهارة، فهذا هو الوجه الصحيح في تسمية هذه الأعمال طهارة، وتأكد هذا بالأحاديث الكثيرة الواردة[٤].

والذي يظهر في حكمة الطهارة بالتيمم أمرين:

-١- إنه أمر تعبدنا الله به لشيء لا تدركه عقولنا.

-٢- الحكمة منه التخفيف ورفع الحرج على المسلمين.

---

[١] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج٢، ص٨٥٠، ٨٥١.
[٢] المصدر السابق، ج٢، ص٦٧٠. بتصرف
[٣] المصدر السابق، ج٢، ص٨٥٠.
[٤] الرازي، **التفسير الكبير**، مصدر سابق، ج١١، ص٣١٨. بتصرف.

فقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾. [المائدة: ٦].

قال الطبري: ولكن الله يريد أن يطهِّركم بما فرض عليكم من الوضوء من الأحداث والغُسل من الجنابة، والتيمم عند عدم الماء، فتنظفوا وتطهّروا بذلك أجسامكم من الذنوب[١].

فضل الوضوء:

وقد جاءت أحاديث كثيرة تدل على فضل الوضوء، وإسباغه، فمنها: عن أبي هريرة (ﷺ)، أن رسول الله (ﷺ) قال: «إذا توضأ العبد المسلم – أو المؤمن – فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء – أو مع آخر قطر الماء–، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء –، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء – أو مع آخر قطر الماء – حتى يخرج نقيا من الذنوب»[٢]. وفي هذا الفضل والطهر الظاهر على المؤمن أن يكون حريصا عليه في حياته.

كل هذه الأحكام تكشف عن الحرص البالغ على إقامة الصلاة وتبين إلى أي حد يعتمد المنهج على هذه العبادة لتحقيق أغراضه التربوية في النفس البشرية. إذ يجعل من لقاء الله والوقوف بين يديه وسيلة عميقة الأثر، لا يفرط فيها في أدق الظروف وأحرجها ولا يجعل عقبة من العقبات تحول بين المسلم وبين هذا الوقوف وهذا اللقاء. لقاء العبد بربه. وعدم انقطاعه عنه لسبب من الأسباب. إنها نداوة القلب، واسترواح الظل، وبشاشة اللقاء[٣]. .

وفي تفسير هذا التطهير أن يكون المراد منه طهارة القلب عن صفة التمرد عن طاعة الله تعالى، و ذلك لأن الكفر والمعاصي نجاسة للأرواح، فإن النجاسة إنما كانت نجاسة لأنها شيء يراد نفيه وإزالته وتبعيده، والكفر والمعاصي كذلك، فكانت نجاسات روحانية، وكما أن إزالة النجاسات الجسمانية تسمى طهارة فكذلك إزالة هذه العقائد الفاسدة والأخلاق الباطلة تسمى

---

[١] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج١٠، ص٨٥.

[٢] مسلم، **المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، كتاب الطهارة، باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء رقم٢٤٤، ج١، ص٢١٥.

[٣] سيد قطب قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج٢، ص٨٥١.

طهارة، ولهذا التأويل قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾. [التوبة: ٢٨] فجعل رأيهم نجاسة، وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[الأحزاب: ٣٣]، فجعل براءتهم عن المعاصي طهارة لهم. وقال في حق عيسى عليه السلام: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾. [آل عمران: ٥٥].

فجعل خلاصه عن طعنهم وعن تصرفهم فيه تطهيرا له[١].

والتطهّر حالة واجبة للقاء الله وهو يتم في الوضوء والغسل جسماً وروحاً. فأما في التيمم فيتم الشطر الأخير منه ويجزئ في التطهّر عند فقد الماء، أو يكون هناك ضرر في استعمال الماء. ذلك أن الله لا يريد أن يعنت الناس، ويحملهم على الحرج والمشقة بالتكاليف. إنما يريد أن يطهرهم، وأن ينعم عليهم بهذه الطهارة وأن يقودهم إلى الشكر على النعمة، ليضاعفها لهم ويزيدهم منها. فهو الرفق والفضل والواقعية في هذا المنهج اليسير القويم[٢].

قال محمد بن كعب: وكنت إذا سمعت الحديث من رجل من أصحاب النبي (ﷺ)التمسته في القرآن فالتمست هذا فوجدته: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ ﴾[الفتح: ١، ٢]، فعلمت أن النبي (ﷺ) لم تتم عليه النعمة حتى غفر له ذنوبه، ثم قرأت هذه الآية: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ حتى بلغت﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾[المائدة: ٦]. فعرفت أن الله لم يتم عليهم النعمة حتى غفر لهم[٣].

ومن الطهارة الحسية الطهارة من الحدث الأصغر بالوضوء، ومن الحدث الأكبر بالغسل وكلاهما بالماء، وفي عدم وجود الماء أو الخوف من استعماله يجوز له التيمم رخصة من الله تعالى، وسورة المائدة هي من السور المدنية التي تبين الأحكام الشرعية وتثبت العمل بما. وهذه الآية مما تقدم العمل بها قبل نزولها.

---

[١] الرازي، **التفسير الكبير**، مصدر سابق، ج١١، ص٣١٨.
[٢] سيد قطب قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج٢، ص٨٥٠.
[٣] أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي، (١٤٠٧ هـ) **مسند الإمام عبد الله بن المبارك**، (تحقيق: صبحي البدري السامرائي)، ط١، رقم٣٧، ج١، ص٢٠. الناشر: مكتبة المعارف – الرياض.

الهدايات القرآنية:

-١- بينت الآية الوضوء وأفعاله والتيمم وأركانه، ولم تفصل في الغسل؛ لأنه كان معروفا عند العرب قبل الإسلام.

-٢- رتبت الآيات على ما يكثر استعماله للطهارة بحسب طبيعة البشر، فذكرت الوضوء أولا ثم الغسل ومن بعدهما التيمم مكانهما الذي يعد الأقل استعمالا.

-٣- يغلب على التيمم لإباحة العبادة الجانب التعبدي، وهو الانقياد لأمر الله تعالى، وإن كانت فقدت في الظاهر شيئا من الطهارة المادية.

المبحث الثالث: طهارة العشْرة الزوْجية.

المطلب الأول: طهْر حسْن العشْرة.

قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢].

شرعت الآيات تبين أمورا خاصة في الحياة الزوجية، بل هي من أخص الأمور في هذه الحياة الأسرية الجديدة، التي يرجى لها أن تقوم على طهارة العقيدة، وطهارة العشرة، وطهارة الخُلُق التي بها تستمر الحياة الزوجية في سعادة وهناء؛ لأنها عاشت في ظل شرع الله تعالى. بعد أن ذكر تعالى عدم التناكح بين المؤمنين والمشركين ولو أعجب كلاً منهما الآخر من حيث المظهر الخارجي؛ لأن المشركين دعوتهم إلى الشرك ومآلهم إلى النار، وأما المؤمنين فدعوتهم إلى توحيد الله تعالى، ومآلهم إلى الجنة.

والزواج من غير المشركة شرط في صحة النكاح، لمن أراد أن يتزوج فعليه أن يحترز له، وهو طهارة معنوية بالحفاظ على سلامة الأسرة في أول أيامها من الوقوع في والمعصية، الشرك، وعلى المسلم أن يختار الزوجة ذات الدين التي أوصى بها النبي (ﷺ)، فعن أبي هريرة(رضي الله عنه)عن النبي (ﷺ) قال: " تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك "[١]. فالزوجة الصالحة هي التي تحافظ على زوجها وأولادها وتكون سببا رئيسيّا في بناء الأسرة المسلمة الملتزمة بدينها.

فذكر تعالى كيف تكون معاملة ومعاشرة الزوجة في فترة نزول دم الحيض، التي تصاب به المرأة في كل شهر، و دم الحيْض هوَ دم جبلّةٍ وطبيعةٍ، يرخيه الرحم بعد البلوغ في أوقات معتادة، وسمي حيْضاً لأنه يسيل، ويقال: حاض الوادي إذا سال[٢].

---

[١] البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، رقم ٥٠٩٠، ج٩، ص١٣٥.

[٢] البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، ج٢، ص٥٢.

وعن سبب نزول هذه الآية يقول ابن عباس: نزلت الآية في رجل من الأنصار يقال له: أبو الدحداح[١]، سأل رسول الله (ﷺ) فقال: يا رسول الله، كيف نصنع بالنساء إذا حضن؟ أنقربهن أم لا؟ فنزل قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾. يقول عن النساء إذا حضن[٢]. وقال قتادة وغيره: إنما سألوا لأن العرب في المدينة وما والاها كانوا قد استنوا بسنة بني إسرائيل في تجنب مؤاكلة الحائض ومساكنتها، فنزلت هذه الآية، وقال مجاهد: «كانوا يتجنبون النساء في الحيْض ويأتونهن في أدبارهنّ فنزلت الآية في ذلك»[٣]. فأخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فأخرجوهن من بيوتهم، فقال ناس من الأعراب: يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة، فإن آثرناهن بالثياب هلك سائر أهل البيت وإن استأثرنا بها هلكت الحيّض. فقال (ﷺ): إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن، ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم[٤].

قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢].

كانت النساء تُعامل في الجاهلية أثناء الحيض معاملة سيئة فكانوا يخرجونهن من البيوت،

وقيل: إن النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض، واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء فأمر الله المسلمين بالاقتصاد بين الأمرين[٥].

هدي النبي صلى الله عليه وسلم مع أزواجه:

والنبي (ﷺ) الذي هو رحمة للعالمين كان يحسن معاملة نسائه في زمن الحيض، ويعلم البشرية بأسرها كيف تكون حسن العشرة، فكان(ﷺ) يجالس نساءه ويؤاكلهن ويزيد في حسن معاملتهن في فترة الحيض، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أشرب وأنا حائض وأناوله

---

[١] أبو الدحداح وقيل: أبو الدحداحة بن الدحداحة الأنصاري، مذكور في الصحابة.
قال ابن مسعود: لما نزلت: {من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له} قال أبو الدحداح: " يا رسول الله، والله يريد منا القرض؟ قال: نعم ". وذكر حديث صدَقته. ابن الأثير، أسد الغابة، مصدر سابق، رقم٥٨٦٤، ج٦، ص٩٣،

[٢] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، **لباب النقول في أسباب النزول**، (ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي) بون سنة طبع، ج١، ص٢٣، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان

[٣] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، مصدر سابق، ج١، ص٢٩٨.

[٤] الزمخشري، **الكشاف**، مصدر سابق، ج١، ص ١٣٧.

[٥] الزمخشري، **الكشاف**، مصدر سابق، ج١، ص٢٦٥. بتصرف.

للنبي (ﷺ)، فيضع فاه على موضع فيّ أتعرّق العرق فيتناوله فيضع فاه في موضع فيّ[١]. بل وأكثر من ذلك فقد كان (ﷺ) ينام مع أزواجه في ثوب واحد في وقت حيضتهن، قالت أم سلمة: بينما أنا مضطجعة مع رسول الله(ﷺ) في الخميلة، إذ حضت، فانسللت، فأخذت ثياب حيضتي فقال لي رسول الله (ﷺ): «أنفست؟ » قلت: نعم، فدعاني فاضطجعت معه في الخميلة. قالت: « وكانت هي ورسول الله (ﷺ) يغتسلان في الإناء الواحد، من الجنابة»[٢].

وقد أنكرت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها[٣] على ابن عباس عندما علمت أنه يترك فراشه في وقت حيض زوجته، فعن ندبة مولاة آل عباس قالت[٤]: بعثتني ميمونة ابنة الحارث إلى امرأة عبد الله بن عباس، وكانت بينهما قرابةٌ من قبل النساء، فوجدت فراشَها معتزلا فراشَه، فظنت أن ذلك عن الهجران، فسألتها عن اعتزال فراشِه فراشَها، فقالت: إنيّ طامث، وإذا طمثت اعتزل فراشي. فرجعتُ فأخبرتُ بذلك ميمونة فردَّتني إلى ابن عباس، تقول لك أمك: أرغبت عن سنة رسول الله (ﷺ)! فو الله لقد كان النبي(ﷺ) ينام مع المرأة من نسائه وإنها لحائض، وما بينه وبينها إلا ثوبٌ ما يجاوز الركبتين[٥].

---

[١] مسلم، **المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، كتاب الحيض، باب سؤر الحائض، رقم ٣٠٠، ج١، ص٢٤٥. والعرق: العظم بما عليه من اللحم (أتعرق العرق) هو العظم الذي عليه بقية من لحم هذا هو الأشهر في معناه وقال أبو عبيد: هو القدر من اللحم. وقال الخليل: هو العظم بلا لحم وجمعه عُراق بضم العين ويقال عرقت العظم وتعرقته وأعترقته إذا أخذت عنه اللحم بأسنانك.

[٢] المصدر السابق، كتاب الحيض، باب الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد، رقم٢٩٦، ج١، ص٢٤٣. والخميلة: ثوب من صوف له خمل. (الخميلة) قال أهل اللغة الخميلة والخميل بحذف الهاء هي القطيفة وكل ثوب له حمل من أي شيء كان وقيل هي الأسود من الثياب.

[٣] ميمونة بنت الحارث الهلالية هي زوج النبي(ﷺ) وكان اسمها برة فسماها رسول الله (ﷺ) ميمونة، تزوجها رسول الله (ﷺ) بعد وفاة زوجها سنة سبع في عمرة القضاء في ذي القعدة، فأرسل الله (ﷺ) جعفر بن أبي طالب إليه فخطبها، فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب، فزوجها من رسول الله (ﷺ)، وقال بعضهم: تزوجها رسول الله (ﷺ) وهو حلال، وظهر أمر تزويجها وهو محرم ثم بنى بها وهو حلال بسرف بطريق مكة، وماتت بسرف أيضا حيث بنى بها رسول الله (ﷺ) ودفنت هناك. وتوفيت سنة إحدى وخمسين، وقيل: سنة ثلاث وستين عام الحرة، وصلى عليها ابن عباس. ابن الأثير، أسد الغابة، مصدر سابق، رقم٧٣٠٥، ج٧، ص٢٦٢.

[٤] ندبة مولاة عبد الله بن العباس حدثت عنه روى عنها عثمان بن حكيم ومحمد بن علي بن الحسين عليهم السلام ذكرها أبو عبد الله بن منده الحافظ في كتاب معرفة النساء.
ابن نقطة، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، ابن نقطة الحنبلي البغدادي، (١٤١٠هـ)، **إكمال الإكمال (تكملة لكتاب الإكمال لابن ماكولا)**، (تحقيق: د. عبد القيوم عبد ريب النبي)، ط١، رقم٣١٤، ج١، ص٢٥٧، الناشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة.

[٥] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، رقم٤٢٤٠، ج٤، ص٣٧٦.

وعن عائشة قالت: «كنت أغسل رأس رسول الله(ﷺ)وأنا حائض »[١]. و عن أبي هريرة(رضي الله عنه)، قال: بينما رسول الله (ﷺ) في المسجد، فقال " يا عائشة: ناوليني الثوب" فقالت: إني حائض، فقال: «إن حيضتك ليست في يدك» فناولته[٢].

وقد كان (ﷺ) يقرأ القرآن وهو متكئ على حجر إحداهن وقت الحيض، قالت عائشة: " كان رسول الله (ﷺ)، يأمرني فأغسل رأسه وأنا حائض، وكان يتكئ في حجري وأنا حائض فيقرأ القرآن"[٣].

فهذا الخلق الرفيع من المؤانسة والزيادة في حسن المعاملة منه (ﷺ) مع أزواجه في وقت حيضهن فيه من الأنس، وحسن العشرة للزوجة خصوصا وأن المرأة في مدة الحيض يعتريها من التغيرات الفسيولوجيا مالا يحدث في غيرها من أيام الشهر من الشعور بأنها غير طاهرة من نزول الدم منها، ولتركها الصلاة والصيام، والجماع، فيترتب على ذلك ضيق في الصدر واضطراب في المزاج، فتحتاج إلى مزيد من اللطف والمؤانسة لنسيان هذا الشعور، وأنها كغيرها من النساء، وأن الحيض والنفاس أمر خلقي، كتبه الله على بنات آدم وحواء، وها هو النبي (ﷺ) يسكّن من روع زوجه عائشة لما علم أن سبب بكائها هو حيضها في وقت الحج، فنتركها رضي الله عنها تروي ما حصل لها. قالت: خرجنا مع النبي (ﷺ) لا نذكر إلا الحج، فلما جئنا سرف طمثت، فدخل علي النبي(ﷺ) وأنا أبكي، فقال: «ما يبكيك؟ » قلت: لوددت والله أني لم أحجّ العام، قال: «لعلك نفست؟ » قلت: نعم، قال: «فإن ذلك شيء كتبه الله على بنات آدم، فافعلي ما يفعل الحاج، غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تطهري»[٤]. فالذي يجب على الزوْج أن يزيد من اهتمامه بزوجته في فترة الحيْض، وله فيما ذكر عن رسول الله (ﷺ) إسوة حسنة.

قال النووي تعليقا على ذلك: قال العلماء: لا تكره مضاجعة الحائض ولا قبلتها ولا الاستمتاع بها فيما فوق السرة وتحت الركبة، ولا يكره وضع يدها في شيء من المائعات، ولا يكره غسل

---

[١] مسلم، **المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه، رقم٢٩٧، ج١، ص٢٤٤.

[٢] المصدر السابق، كتاب الحيض، باب الحائض تناول من المسجد، رقم ٢٩٩، ج١، ص٢٤٥.

[٣] مسلم، **المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، كتاب الحيض، باب اتكاء الرجل في حجر زوجته وهي حائض وقراءة القرآن، رقم٣٠١، ج١، ص٢٤٦.

[٤] البخاري، **الجامع المختصر الصحيح المسند**، مصدر سابق، كتاب الحيض، باب: تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت، رقم ٣٠٥، ج١، ص٦٨. (طمثت) من الطمث وهو الحيض وقيل هو أول الحيض.

رأس زوجها أو غيره من محارمها وترجيله، ولا يكره طبخها وعجنها وغير ذلك من الصنائع، وسؤرها–بقية شربها – وعرقها طاهران، وكل هذا متفق عليه[١].

أما الاستمتاع بما بين السرة والركبة من غير جماع فالآراء فيه مختلفة، فأبو حنيفة ومالك والشافعي يحرمونه، بدليل ما سبق عن ميمونة وأم سلمة من اضطجاع الرسول معها مع وجود ثوب حائل كما روى البخاري وعن عائشة قالت: كان رسول الله (ﷺ) يأمر فأتزر فيباشرني وأنا حائض[٢].

أما أحمد بن حنبل فقد أباح الاستمتاع بما بين السرة والركبة بناء على فهمه من اعتزال النساء في المحيض أنه نهى عن موضع الحيض وهو الفرج لا غير، وهو احتمال لا يدل على الحرمة في غيره مع عموم قوله(ﷺ): " اصنعوا كل شيء إلا النكاح "[٣] وقال بقول أحمد الثوري وإسحاق، ومن قبلهم عطاء وعكرمة والشعبي، ورأى الجمهور أقوى[٤].

والذي يراه الباحث أن قول الإمام أحمد هو الراجح؛ لأن المحظور في فترة الحيض هو الجماع في الفرج، والسبب أن الله تعالى وصفه بأنه أذى وهو مفهوم ظاهر الآية والسنة النبوية المطهرة.

أذى الحيض:

قال الدكتور محمد علي البار: أثبت العلم الحديث الأذى الذي يلحق كلا من الرجل والمرأة عند المعاشرة الجنسية حال الحيض، فالغشاء المبطن للرحم يُقذف أثناء الحيض، وبفحص دم الحيض تحت المجهر نجد بالإضافة إلى كرات الدم الحمراء والبيضاء قطعا من الغشاء المبطن للرحم، ويكون الرحم متقرحا نتيجة لذلك فهو معرض للعدوى البكتيرية.

وتقل مقاومة الرحم للميكروبات الغازية، ويصبح وجود الميكروبات الموجودة على سطح القضيب يشكل خطرا داهما على الرحم، وتكون مقاومة المهبل لغزو البكتيريا في أدنى مستواها

---

[١] النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (١٣٩٢هـ)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط٢، ج٣، ص٢٠٧، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[٢] البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض، رقم ٢٩٩، ج١، ص٦٧. (فأتزر) أشد إزاري على وسطي. (فيباشرني) تمس بشرته بشرتي.

[٣] مسلم، **المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، كتاب الحيض، باب اصنعوا كل شيء إلا النكاح، رقم ٢٠٣، ج١، ص٢٤٦.

[٤] الكتاب: **فتاوى دار الإفتاء المصرية** المؤلف: دار الإفتاء المصرية، ج٩، ص٤٧٢.

أثناء الحيض، إذ يقل إفراز المهبل الحامض الذي يقتل الميكروبات، ويصبح الإفراز أقل حموضة إن لم يكن قلوي التفاعل.

كما تقل المواد المطهرة الموجودة بالمهبل أثناء الحيض ‘إلى أدنى مستوى لها ليس ذلك فحسب ولكن جدار المهبل الذي يتألف من عدة طبقات يقل أثناء الحيض إلى أدنى مستوى لها، وبالإضافة إلى هذا تزيد شراسة الميكروبات أثناء الحيض في دم الحيض وخاصة ميكروبات السيلان وتنتقل الميكروبات من قناة الرحم إلى مجرى البول البروستاتا والمثانة.

والتهاب البروستاتا سرعان ما يزمن لكثرة قنواتها الضيقة الملتفة والتي نادرا ما يتمكن الدواء- بكمية كافية- من قتل الميكروبات المختفية في تلافيفها. فإذا ما أزمن التهاب البروستاتا فإن الميكروبات سرعان ما تغزو بقية الجهاز البولي التناسلي فتنتقل إلى الحالبين ثم إلى الكلى. وهو العذاب المستمر حتى نهاية الأجل.

وقد ينتقل الميكروب من البروستاتا إلى الحويصلات المنوية فالحبل المنوي فالبربخ فالخصيتين. وقد يسبب ذلك عقما بسبب انسداد قناة المني.

وتصاب الغدد بالتغير فتقل إفرازاتها، ويبطئ النبض وينخفض ضغط الدم فيسبب الشعور بالدوخة والفتور والكسل.

ولا يقتصر الأذى على الحائض بل ينتقل الأذى إلى الرجل الذي وطئها أيضا[1].

وصدق الله إذ يقول ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وهذه لفتة أخرى إلى تلك العلاقة ترفعها إلى الله وتسمو بأهدافها عن لذة الجسد حتى في أشد أجزائها علاقة بالجسد في المباشرة.

إن المباشرة في تلك العلاقة وسيلة لا غاية. وسيلة لتحقيق هدف أعمق في طبيعة الحياة هدف النسل وامتداد الحياة، ووصلها كلها بعد ذلك بالله. والمباشرة في المحيض قد تحقق اللذة الحيوانية-مع ما ينشأ عنها من أذى ومن أضرار صحية مؤكدة للرجل والمرأة سواء- ولكنها لا تحقق الهدف الأسمى. فضلا على انصراف الفطرة السليمة النظيفة عنها في تلك الفترة؛ لأن

---

[1] محمد على البار،(١٤٢٠ه) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ط١١، ص١٠٠، الدار السعودية للنشر والتوزيع.

الفطرة السليمة يحكمها من الداخل ذات القانون الذي يحكم الحياة. فتنصرف بطبعها- وفق هذا القانون- عن المباشرة في حالة ليس من الممكن أن يصح فيها غرس، ولا أن تنبت منها حياة. والمباشرة في الطهر تحقق اللذة الطبيعية، وتحقق معها الغاية الفطرية[١]. وإنما يحل إتيان الزوجة في فرجها بعد أن تطهر وتغتسل لا قبل ذلك قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ﴾. وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾. اختلف فيها القراء فقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ، وَخَلَفٌ، وَأَبُو بَكْرٍ بِتَشْدِيدِ الطَّاءِ وَالْهَاءِ، وَالْبَاقُونَ بِتَخْفِيفِهِمَا[٢].

قال ابن عطية: وكل واحدة من القراءتين تحتمل أن يراد بها الاغتسال بالماء وأن يراد بها انقطاع الدم وزوال أذاه، وما ذهب إليه الطبري من أن قراءة شد الطاء مضمنها الاغتسال وقراءة التخفيف مضمنها انقطاع الدم: أمر غير لازم، وكذلك ادعاؤه الإجماع، أما إنه لا خلاف في كراهية الوطء قبل الاغتسال بالماء، وجمهور العلماء على أنه ذنب عظيم يتاب منه ولا كفارة فيه بمال[٣].

وهذه المعاشرة للزوجة بعد طهارتها واغتسالها، من أفضل، وأطهر، وأحسن، أوقات الجماع فإن اشتياق كلا من الزوجين للآخر تكون أكثر، ووضع البويضة يكون في أطهر أوقاتها بعد انتهاء الحيض الذي يكون تنقية وتطهيرا لها، والأمر الأهم في ذلك هو امتثال أمر الله تعالى في ترك إتيان الفرج في مدة الحيض، ثم إتيانها في مكان الحرث الذي منع منه لأيام. أثره الطيب في الحياة الزوجية الطاهرة التي التزمت بشرع الله تعالى في أمور لا يعلمها إلا علام الغيوب، والتي هي الحياة الخاصة بين الزوجين.

وإننا نعيد التنبيه للاقتداء بنزاهة القرآن في التعبير عن الأمور التي يُستحيى من التصريح بها بالكنايات البعيدة التي يفهم منها المراد ولا تستحيي من تلاوتها العذراء في خدرها، فإن الإتيان بمعنى المجيء فهو كناية لطيفة كقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ ﴾وتشبيه النساء بالحرث لا يخفى حسنه، فأين هذه النزاهة مما تراه لبعضهم في تفسيرها وتفسير أمثالها من الآيات المعجزة

---

[١] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج١، ص٢٤١.
[٢] ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، مصدر سابق، ج٢، ص٢٢٧.
[٣] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، مصدر سابق، ج١، ص٢٩٨، ٢٩٩. بتصرف.

بنزاهتها كإعجازها ببلاغتها ومما تراه في بعض كتب الدين الأخرى من العبارات المستهجنة التي قد يستغنى عنها في بيان المراد منها؟! [١].

ومن المحظور أيضا على الزوجين في وقت الجماع هو إتيان الزوجة في غير موضع الحرث في دبرها فقد لعن النبيّ (ﷺ) فاعله فقال: «مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبرِهَا»[٢]. وهذا ما قاله مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾. المعنى من إتيان النساء في أدبارهن. قال ابن عطية[٣]: كأنه نظر إلى قوله تعالى حكاية عن قوم لوط:﴿ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾. [الأعراف: ٨٢].

فالإتيان يكون في منبت الإخصاب دون سواه. فليس الهدف هو مطلق الشهوة، إنما الغرض هو امتداد الحياة، وابتغاء ما كتب الله. فالله يكتب الحلال ويفرضه والمسلم يبتغي هذا الحلال الذي كتبه له ربه، ولا ينشئ هو نفسه ما يبتغيه. والله يفرض ما يفرض ليطهّر عباده[٤].

محبة الله للتوابين والمتطهرين:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾. [البقرة: ٢٢٢]. ومحبّته تعالى في الآية الكريمة يحتمل الطهارة الحسية، والمعنوية، فقد جاء في تفسيرها عدة أقوال نقلها الإمام الطبري في تفسيره ثم قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قولُ من قال: " إنّ الله يحبّ التوابين من الذنوب، ويحبّ المتطهرين بالماء للصلاة". لأن ذلك هو الأغلب من ظاهر معانيه[٥].

فإن قيل: كيف قدَّم بالذكر الذي تاب من الذنوب على الذي لم يذنب؟ قيل له: إنما قدمهم لكيلا يقنط التائب من الرحمة، ولا يعجب المتطهر بنفسه كما ذكر في آية أخرى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾. [فاطر: ٣٢][٦]. وإذا أحبّ الله تعالى قوما لا يعذبهم بذنوبهم قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ

---

[١] رشيد رضا، **تفسير المنار**، مصدر سابق، ج٢، ص٢٨٩.

[٢] أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م) **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، (تحقيق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي)، ط١، مسند أبي هريرة، رقم١٠٢٠٦، ج١٦، ص١٥٧. حديث حسن. مؤسسة الرسالة، عمان، الأردن.

[٣] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، مصدر سابق، ج١، ص٢٩٩.

[٤] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج١، ص٢٤٢.

[٥] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج٤، ص٣٩٦.

[٦] السمرقندي، **بحر العلوم**، مصدر سابق، ج١، ص١٤٧.

فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ﴾[المائدة: ١٨]. فهذا دليل على أن الحبيب لا يعذب حبيبه، فالله تعالى إذا أحب عبده يغفر ذنوبه، ولا يعذبه بذنوبه، لأنه احتج عليهم فقال: فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ إن كنتم أحباء الله تعالى، وقال في آية أخرى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. ففيه دليل على أنه لا يعذب التوابين بذنوبهم، ولا المتطهرين[١].

وفي قوله: " ويحب المتطهّرين"، ولم يقل" المتطهّرات"، وقد جرى قبل ذلك ذكرُ التطهّر للنساء؛ لأنّ بذكر" المتطهّرين" يجمْع الرجال والنساء. ولو قال: " المتطهرات"، لم يكن للرجال في ذلك حظ، وكان للنساء خاصة. فذكر الله تعالى بالذكر العام جميعَ عباده المكلفين، إذ كان قد تعبَّد جميعَهم بالتطهر بالماء، وإن اختلفت الأسباب التي توجب التطهر عليهم بالماء في بعض، واتفقت في بعض[٢].

أما قوله تعالى: ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾. ففيه وجهان:

الأول: المراد منه التنزيه عن الذنوب والمعاصي وذلك لأن التائب هو الذي فعله ثم تركه، والمتطهّر هو الذي ما فعله تنزها عنه، ولا ثالث لهذين القسمين، واللفظ محتمل لذلك، لأن الذنب نجاسة روحانية، فتركه له يكون طهارة روحانية، وبهذا المعنى يوصف الله تعالى بأنه طاهر مطهّر من حيث كونه منزها عن العيوب والقبائح.

الثاني: أنه تعالى لما أمرنا بالتطهّر في قوله: فإذا تطهّرن فلا جرم مدح المتطهّر[٣].

وفي محبة الله للتائبين والمتطهرين دعوة إلى التزام الطريق القويم لمن كان قد انحرف عنه، وأتى المرأة من غير المأتى الطبيعي لها، وغيرها من الذنوب فباب التوبة مفتوح لمن أناب إلى الله والتزم حدوده، فالتوبة تغسل الحوبة. وليس مصيبة الإنسان في أن يخطيء ويزلّ، فالإنسان بحكم أنه بشر عرضة للخطأ والزلل، ولكن المصيبة ألّا يتأثّم من الإثم، ولا يتحرّج من الانحراف، فيقيم على إثمه، ويصرّ على انحرافه، وليس يستنقذ الإنسان من أن يحيط به ذنبه إلّا أن يرجع إلى الله من قريب وأن يلقاه نادما تائبا، هنالك يجد من ربه رحمة ومغفرة، ورضى ورضوانا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾. أي المتطهرين من كل أذى يمسّ أجسادهم وأرواحهم. . ![4].

---

[١] المصدر السابق، ج١، ص٣٧٩ بتصرف.
[٢] الطبري، **جامع البيان**، مصدر سابق، ج٤، ص٣٩٧، ٣٩٦.
[٣] الرازي، **التفسير الكبير**، مصدر سابق، ج٦، ص٤٢٠.
[٤] الخطيب، **التفسير القرآني**، مصدر سابق، ج١، ص٢٤٥.

إن من أخطر ما تعيشه الأسر في هذا الزمان هو عدم معرفة كلا من الزوجين ما له من حقوق وما عليه من واجبات، وعندما يختل هذا الضابط والميزان في الحياة الزوجية يكون النكد والهجران والفراق، ومن بين هذه الضوابط هو مراعاة المرأة في حال فقدان طهرها أيام حيضها لما يترتب علي على من ضيق الصدر، فكان من حسن عشْرة الزوج أن يراعي هذا الأمر اقتداء بنبينا محمد(ﷺ) فقد ورد عنه إحسانه لأزواجه وقت حيضهن. ومن طهارة أسلوب القرآن الكريم أن بيّن لنا في أدب وحشمة كيف يكون اللقاء الجنسي بين الزوجين وأين يكون في مكان الحرث، ومتى يكون بعد الطهر والغسل بينه لنا بأسلوب لا يخدش الحياء بل يستطيع القارئ أن يقرأه بأعلى صوته بين كل الناس.

الهدايات القرآنية:

-١- الطهارة في المعاشرة الزوجية يترتب عليها ما يلي:

-أ- طاعة وامتثالا لأمر الله تعالى حيث نهى عن الجماع وقت الحيض والنفاس.

-ب- سلامة الزوج والزوجة والولد من أذى الحيض.

-ج- دوام المحبة والودّ بين الزوجين، عندما يتقيدا بشرع الله تعالى حتى في أخص الأمور.

-د- ومحبته سبحانه للتوابين ممن أخطأ ثم تاب ورجع، وللمتطهرين المتطلبين للطهارة من النجاسة والأذى.

المطلب الثاني: الإسلام يشرع ما يطهّر الأسر:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾. [البقرة: ٢٣٢].

ومن أنواع الضرر للزوجة المذكور في هذه الآية هو عضلها أي حبسها ومنعها من رجوعها إلى زوجها.

جاء في سبب نزولها أن معقل بن يسار(رضي الله عنه)[١] قال أنها نزلت فيه، قال: زوجت أختا لي من رجل فطلقها، حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له: زوجتك وفرشتك وأكرمتك،

---

[١] هو معقل بن يسار بن عبد الله بن معبر بن حراق المزني، يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبو يسار، وأبو علي. صحب=

فطلقتها، ثم جئت تخطبها، لا والله لا تعود إليك أبدا، وكان رجلا لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله هذه الآية: فقلت: الآن أفعل يا رسول الله، قال: «فزوجها إياه»[١]. وفي لفظ: ففيّ نزلت فكفرّت عن يميني وأنكحتها إياه"

قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾. [البقرة: ٢٣٢].

اختلف المفسرون في الخطاب في هذه الآية لمن فقيل: هو للأزواج، وقيل إنه للأولياء. قال ابن عاشور: "والخطاب الواقع في قوله طلقتم وتعضلوهن ينبغي أن يحمل على أنه موجه إلى جهة واحدة دون اختلاف التوجه، فيكون موجها إلى جميع المسلمين، لأن كل واحد صالح لأن يقع منه الطلاق إن كان زوجا، ويقع منه العضل إن كان وليا، والقرينة ظاهرة على مثله فلا يكاد يخفى في استعمالهم، ولما كان المسند إليه أحد الفعلين، غير المسند إليه الفعل الآخر، إذ لا يكون الطلاق ممن يكون منه العضل ولا العكس، كان كل فريق يأخذ من الخطاب ما هو به جدير، فالمراد بقوله: طلقتم أوقعتم الطلاق، فهم الأزواج، وبقوله فلا تعضلوهن النهي عن صدور العضل، وهم أولياء النساء"[٢].

والأجل المراد به انقضاء العدة لا قربها كما في الآية التي قبلها. قال الإمام الشافعي: "دلّ سياق الكلامين على افتراق البلوغين"[٣]، لأن التسريح بمعروف في الآية السابقة لا يتأتى بعد انقضاء العدة، فلا محل معه للتخيير، وإنما التخيير يستمر إلى قرب انقضائها، والنهي عن العضل في الآية يقتضي أن المراد ببلوغ الأجل نقضاؤها إذ لا محل للعضل قبله لبقاء العصمة، وفي الآية حكم جديد غير الأحكام السابقة هو تحريم العضل؛ أي: منع المرأة من الزواج، وقد كان من عادات الجاهلية أن يتحكم الرجال في تزويج النساء إذ لم يكن يزوج المرأة إلا وليها،

=رسول الله(ﷺ) وشهد بيعة الرضوان، روي عنه أنه قال: بايعناه على أن لا نفر. سكن البصرة، وإليه ينسب نهر معقل الذي بالبصرة، وتوفي بها آخر خلافة معاوية.
ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، (المحقق: علي محمد معوض- عادل أحمد عبد الموجود)، ط١، رقم ٥٠٣٨، ج٥، ص٢٢٤، دار الكتب العلمية.

[١] السيوطي، **لباب النقول في أسباب النزول**، مصدر سابق، ج١، ص٣٦، مسلم، **الجامع المسند الصحيح المختصر**، مصدر سابق، كتاب النكاح، باب من قال: لا نكاح إلا بولي، رقم ٥١٣٠، ج٧، ص١٦.

[٢] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مصدر سابق، ج٢، ص٤٢٦.

[٣] إمام الحرمين، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين، (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، **نهاية المطلب في دراية المذهب**، (حققه وصنع فهارسه: أ. د/ عبد العظيم محمود الدّيب)، ط١، باب الرجعة، ج١٤، ص٣٣٥، دار المنهاج.

فقد يزوجها بمن تكره ويمنعها ممن تحب لمحض الهوى، وقال المفسرون: إن الرجال المطلقين كانوا يفعلون ذلك، يتحكم الرجل بمطلقته فيمنعها أن تتزوج أنفة وكبرا أن يرى امرأته تحت غيره، فكان يصد عنها الأزواج بضروب من الصد والمنع، كما كان يراجعها في آخر العدة لأجل العضل، وقد أثبت الإسلام الولاية للأقربين وحرم العضل وهو المنع من الزواج، وأن يزوج الولي المرأة بدون إذنها، فجمع بين المصلحتين[١].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ إشارة إلى حكم النهي عن العضل، وهنا يستجيش الوجدان والضمير بعد النهي والتحذير: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾. [البقرة: ٢٣٢]. والإيمان بالله واليوم الآخر هو الذي يجعل هذه الموعظة تبلغ إلى القلوب. حين تتعلق هذه القلوب بعالم أرحب من هذه الأرض وحين تتطلع إلى الله ورضاه فيما تأخذ وما تدع[٢].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُ﴾.

أَزْكى لَكُمْ أي أعظم بركة ونفعا وَأَطْهَرُ أي أكثر تطهيرا من دنس الآثام، وحذف لكم اكتفاء بما في سابقه، وقيل: إن المراد أطهر لكم ولهم لما يخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة بينهما[٣]. والشعور بأن الله يريد ماهو أزكى وما هو أطهر من شأنه أن يستحث المؤمن للاستجابة، واغتنام الزكاة والطهر. لنفسه وللمجتمع من حوله[٤].

والمشار إليه في (ذلكم) هو النهي عن عضل النساء بقيده وشرطه، والمراد أنه مزيد في نماء متبعيه وصلاح حالهم، وأنه أطهر لأعراضهم وأنسابهم، وأحفظ لشرفهم وأحسابهم؛ لأن عضل النساء والتضييق عليهن مدعاة لفسوقهن ومفسدة لأخلاقهن، وسبب لفساد نظام البيوت وشقاء الذراري، مثل في نفسك حال امرأة كأخت معقل بن يسار تزوجت برجل عرفها وعرفته، فأحبها وأحبته، ثم غضب مرة وطلقها، وبعد انقضاء العدة ندم على ما فعل، وأحب أن يعود إلى امرأته التي تحبه، واعتادت الأنس به والسكون إليه، فعضلها وليها اتباعا لهواه، واعتزازا

---

[١] رشيد رضا، **تفسير المنار**، مصدر سابق، ج٢، ص٣١٩، ٣١٨. بتصرف.
[٢] سيد قطب قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج١، ص٢٥٣.
[٣] الألوسي، **روح المعاني**، مصدر سابق، ج١، ص٥٣٩.
[٤] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج١، ص٢٥٣.

بسلطته، ألا يكون ذلك مضيعة لولدهما ومغواة لهما؟ [١]. وهذه الاستجابة الحانية من الله- سبحانه- لحاجات القلوب التي علم من صدقها ما علم، تكشف عن جانب من رحمة الله بعباده[٢].

ثم هو من جهة أخرى لفت لهؤلاء الأولياء إلى أن مراجعة الزوج لزوجه وإمساكها في بيت الزوجية خير لها من أن تعيش من غير زوج أو أن تتزوج رجلا آخر، ففي الحالة الأولى لا تكون المرأة بمأمن من أن تزلّ وتنحرف، وفى الحالة الثانية تتكشف المرأة لرجل آخر، وهو وإن كان حلالا مباحا إلّا أن فيه شيئا ما يخدش به حياء المرأة الحرة، ويتأذى منه وليّها الرجل! وخير من هذا كلّه أن تعود المرأة إلى زوجها الذي عرفها وعرفته! [٣].

وأما قوله: ﴿وأطهَرُ﴾ فهو معنى أنزه، أي أنه أقطع لأسباب العداوات والإحن والأحقاد بخلاف العضل الذي قصدتم منه قطع العود إلى الخصومة، وماذا تضر الخصومة في وقت قليل يعقبها رضا ما تضر الإحن الباقية والعداوات المتأصلة، والقلوب المحرقة. ولك أن تجعل أزكى بالمعنى الأول، ناظرا لأحوال الدنيا، وأطهر بمعنى فيه السلامة من الذنوب في الآخرة، فيكون أطهر مسلوب المفاضلة، جاء على صيغة التفضيل للمزاوجة مع قوله أزكى. وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢٣٢﴾. تذييل وإزالة لاستغرابهم حين تلقي هذا الحكم، لمخالفته لعاداتهم القديمة، وما اعتقدوا نفعا وصلاحا وإباء على أعراضهم، فعلمهم الله أن ما أمرهم به ونهاهم عنه هو الحق، لأن الله يعلم النافع، وهم لا يعلمون إلا ظاهرا، فمفعول يعلم محذوف أي والله يعلم ما فيه كمال زكاتكم وطهارتكم وأنتم لا تعلمون ذلك[٤]. فهو يعلم سبحانه ما لكم في ذلك من الزكاة والطهر وسائر المصالح ودفع المفاسد وأنتم لا تعلمون ذلك كله علما صحيحا خاليا من الأهواء والأوهام واعتزاز الرجال بقدرتهم على التحكم في النساء؛ ولذلك ذكركم في أثر النهي عن عضل النساء عن الزواج بهذه الثلاث:

الأولى: إنها موعظة يتعظ بها من يؤمن بالله واليوم الآخر.

الثانية: أنها أزكى لكم وأطهر لأعراضكم.

---

[١] رشيد رضا، **تفسير المنار**، مصدر سابق، ج٢، ص٣٢١.
[٢] سيد قطب قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج١، ص٢٥٣.
[٣] الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، مصدر سابق، ج١، ص٢٧٥.
[٤] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مصدر سابق، ج٢، ص٤٢٨

الثالثة: أن الله يعلم كل ذلك كغيره وأنتم لا تعلمون[١].

ولمس القلب بأن الذي يختار له هذا الطريق هو الله الذي يعلم ما لا يعلمه الناس من شأنه أن يسارع به إلى الاستجابة كذلك في رضى وفي استسلام. وهكذا يرفع الأمر كله إلى أفق العبادة، ويعلقه بعروة الله، ويطهره من شوائب الأرض، وأدران الحياة، وملابسات الشد والجذب التي تلازم جو الطلاق والفراق[٢].

ومن خصائص أحكام الدين الإسلامي أنه يلبي ما يتناسب مع الفطرة السليمة، وكل ما فيه مصلحة العباد، من ذلك حاجة الزوجين إلى بعضهما، فربما يحصل بين الزوجين ما يكون سببا في الخصومة والفراق، ويكون كلا من الزوجين لا يستطيع العيش بعيدا عن زوجه، فمن الطهر لهذه الحالة أن لا يرفض ولي الزوجة أن يراجعها إلى زوجها وهو ما يسمى العضل

قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾[البقرة: ٢٣٢]، فهو أطهر لأعراضكم وأنسابكم، وأحفظ لشرفكم وأحسابكم؛ لأن عضل النساء والتضييق عليهن مدعاة لفسوقهن ومفسدة لأخلاقهن، و سببا لفساد نظام البيوت وشقاء الأسر.

الهدايات القرآنية:

-١- في تحرم العضل طهر لقلوب الزوجين من الوقوع في مساوئ الأخلاق.

-٢- من حكَم الله تعالى أن يشرع لعباده ما يكون فيه طهارة لهم.

---

[١] رشيد رضا، **تفسير المنار**، مصدر سابق، ج٢، ص٣٢٢.

[٢] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، مصدر سابق، ج١، ص٢٥٣.

الخاتمة

النتائج

١. من عظمة القران الكريم أنه مطهر ومطهَّر، والكتاب الذي كتب فيه مطهر وكتبته مطهرون والذي ينزل به مطهر والذي يتلقاه مطهر

٢. في قصة المعاتبة اشارة للحفاظ على الجماعة المسلمة

٣. الامر بتطهير البيت الحرام دلالة على مكانته عند الله تعالى

٤. من محبة الله تعالى لعباده ان طهر لهم مكان تعبدهم

٥. لطهارته صلى الله عليه وسلم طهر الله اهل بيته

٦. في الحجاب طهارة لقلوب الرجال والنساء

٧. الصدقة يتطهر بها المال والنفس

٨. في عدم صحبة ومرافقة الاشرار طهارة لصاحبها من دنس معاصيهم وسئ فعالهم

٩. وصف الازواج انهن مطهرات هو من تمام سعادة المتقين

١٠. بغض العصاة والطغاة للناصحين الطاهرين الذين يتنزهون عن معاصيهم وطغيانهم

١١. طهارة المقاتل من اهم اسباب النصر

١٢. طهارة الحياة الزوجية من اهم اسباب استمرارها

قائمة المصادر والمراجع

-١- أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، دون سنة، **روح البيان**، دون تحقيق، ط..، دار الفكر، بيروت.

-٢- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، ١٤١٥هـ ، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، (تحقيق: علي عبد الباري عطية)، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت.

-٣- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، (المحقق: علي محمد معوض- عادل أحمد عبد الموجود)، ط١، دار الكتب العلمية.

-٤- البخاري، محمد بن إسماعيل، **الجامع المسند الصحيح المختصر**،(١٤٢٢هـ)،(تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا)، ط١، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، بيروت.

-٥- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، (١٤٠٩ه-١٩٨٩م) **الأدب المفرد** (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي)، ط٣، دار البشائر الإسلامية - بيروت.

-٦- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ،الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

-٧- البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين، ١٤٢٠ هـ ،**معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، (تحقيق: عبد الرزاق المهدي)، ط١، دار إحياء التراث العربي ،بيروت.

-٧- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣م، السنن الكبرى،(تحقيق: محمد عبد القادر عطا) ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

-٨- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، (١٤١٣هـ -١٩٩٣م)،الأسماء والصفات للبيهقي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي،ط١،الناشر: مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية.

-٩- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، (١٤١٨هـ)، أنوار التأويل وأسرار التنزيل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

-١٠- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي أبو عيسى، (١٣٩٥ هـ ١٩٧٥)، **سنن الترمذي** (تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض (جـ ٤، ٥) ط ٢، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر.

-١١- الترمذي، محمد بن عيسى، (١٩٩٨م)، **الجامع الكبير سنن الترمذي**، (تحقيق بشار عواد معروف)، ط ، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

-١٢- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، **الشمائل المحمدية**، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

-١٣- الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، ١٤٢٢، هـ ٢٠٠٢ م، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن** (تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور) مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

-١٤- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي ،(١٩٨٧ م)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، (تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار)،ط٤، دار العلم للملايين – بيروت.

-١٥- الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي،(١٤٠٥هـ)، **أحكام القرآن**، (تحقيق : محمد صادق القمحاوي)، ط الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

-١٦- الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر (١٤٢٤هـ،٢٠٠٣م) **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، ط٥، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

-١٧-الجزيري، عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري، (١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م)، **الفقه على المذاهب الأربعة** (بدون تحقيق)، ط٢ ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

-١٨- ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، **النشر في القراءات العشر**.

-١٩- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، (١٤٢٢هـ) ، **زاد المسير في علم التفسير**، (تحقيق: عبد الرزاق المهدي)، ط١ دار الكتاب العربي – بيروت.

-٢٠- أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس(١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م)، **البصائر والذخائر** ، (تحقيق: د/ وداد القاضي)، ط١، الناشر: دار صادر – بيروت.

-٢١- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي،١٤٢٠ هـ البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت

-٢٢- الحاكم، أبوعبد الله الحاكم محمد بن عبد الله،١٤١١هـ– ١٩٩٠م، **المستدرك على الصحيحين** تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت.

-٢٣- الحميري، سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع، (١٤٢٠ هـ)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله (ﷺ)، والثلاثة الخلفاء، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت.

-٢٤- الخطيب، عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، الناشر: دار الفكر العربي– القاهرة.

-٢٥- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن،ط١، ١٤١٥ هـ لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

-٢٦- رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني،(١٩٩٠ م)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

-٢٧- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن،(١٤٢٠هـ)، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، غير محقق، ط ٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

-٢٨- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، (١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا.

-٢٩- الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد،(١٤١٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، (تحقيق: صفوان عدنان الداودي)،ط١، دار القلم، الدار الشامية دمشق.

-٣٠- الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

-٣١- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، ١٤٠٧هـ، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، غير محقق ،ط٣، دار الكتاب العربي ،بيروت.

-٣٢- الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، **معاني القرآن وإعرابه**، (المحقق: عبد الجليل عبده شلبي)، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م، الناشر: عالم الكتب – بيروت.

-٣٣- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، (تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني) الناشر: دار الطلائع.

-٣٤- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، (١٤١٠ هـ -١٩٩٠م) **الطبقات الكبرى**، (تحقيق: محمد عبد القادر عطا)، ط١، رقم٣٤٩٠، ج٧، ص٢٣٩، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

-٣٦- سيد قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي،١٤١٢هـ، **في ظلال القرآن**، غير محقق، ط ١٧، دار الشروق، بيروت، القاهرة.

-٣٧- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، **بحر العلوم**، تحقيق علي معوض، وآخرين بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

-٣٨- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م)، **الإتقان في علوم القرآن**، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

-٣٩- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، **لباب النقول في أسباب النزول**، (ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي) بون سنة طبع، ج١، ص٢٣، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان

-٤٠- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي(١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١،الناشر: مؤسسة الرسالة الأردن–عمان.

-٤١- السايس، محمد علي السايس، ٢٠٠٢م، **تفسير آيات الأحكام**، (تحقيق: ناجي سويدان)، ط، المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

-٤٢- آل الشيخ، محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، (١٣٩٩هـ)، **فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم**، (جمع وترتيب وتحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم)، ط ١، الناشر: مطبعة الحكومة بمكة المكرمة.

-٤٣- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني،(١٤١٣هـ ١٩٩٣م)، **نيل الأوطار**، (تحقيق: عصام الدين الصبابطي)، ط١، الناشر: دار الحديث، مصر.

-٤٤- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ١٤١٤ هـ، **فتح القدير**، ط١، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت.

-٤٥- الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر،الناشر: مطابع أخبار اليوم.

-٤٦- الصنعاني، أبوبكر بن عبدالرزاق، (١٤٠٣هـ)، **المصنف**، (تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي)، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت.

-٤٧- الصابوني، محمدعلي،١٤١٧ هـ ١٩٩٧م ، **صفوة التفاسير**، ط١، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة.

-٤٨- صديق خان، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، (٢٠٠٣)، **نيل المرام من تفسير آيات الأحكام**، (تحقيق: محمد حسن إسماعيل – أحمد فريد المزيدي)، بدون سنة طبع، ج١، ص٤٢٩، دار النشر: دار الكتب العلمية

-٤٩- الطبري، محمد بن جرير،(١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م)، **جامع البيان في تأويل آي القرآن،** تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة. الأردن عمان.

-٥٠-الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، **المعجم الكبير، (تحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي)، ط٢، رقم ٨٧٠، ج٢٣، ص٣٦٧.** دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة.

-٥١- الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، (المجلد ١: ١٤١٦هـ -١٩٩٥م المجلد٢: ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م)، **أحكام القرآن الكريم،** (تحقيق: الدكتور سعد الدين أونال)، ط١، مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، استانبول.

-٥٢- أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي،(١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م)، **فضائل القرآن للقاسم بن سلام** (تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين)، ط١، الناشر: دار ابن كثير دمشق بيروت.

-٥٣- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، (١٤١٦ هـ،١٩٩٥ م)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**(تحقيق: أحمد محمد شاكر)، ط١، الناشر: دار الحديث – القاهرة.

-٥٤ - أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م) **مسند الإمام أحمد بن حنبل،** (تحقيق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي) ، ط١،الناشر : مؤسسة الرسالة ،عمان ،الأردن.

-٥٥- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ١٣٧٩هـ ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز،الناشر: دار المعرفة – بيروت.

-٥٦- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

-٥٧- ابن العربي القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م) ،**أحكام القرآن** راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، ط٣، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

-٥٨- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب،(١٤٢٢هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (تحقيق عبدالسلام عبدالشافي محمد)، ط٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

-٥٩- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد،(١٩٨٤م)،**التحرير والتنوير** «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، بدون تحقيق، ط ، الدار التونسية للنشر – تونس.

-٦٠- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين ،(١٩٧٩م)، **معجم مقاييس اللغة** ، (المحقق: عبد السلام محمد هارون). ط ، دار الفكر ،دمشق.

-٦١- الفيروز آبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب،(٢٠٠٥ م)، **القاموس المحيط** ، (تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي)ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة، والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

-٦٢- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد، ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م ، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز** (تحقيق محمد علي النجار) ط ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

-٦٣- القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، **جمهرة أشعار العرب**، (حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي)، بدون تاريخ طباعة، معلقة امرىء القيس الطويل، الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

-٦٤- القشيري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

-٦٥- القشيري، عبد الكريم بن هوازن، بدون سنة، **لطائف الإشارات = تفسير القشيري**، (تحقيق: إبراهيم البسيوني)، ط ٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر.

-٦٦- القرطبي، أبو عبد الله محمد،(١٣٨٤هـ-١٩٦٤ م)،**الجامع لأحكام القرآن**،(تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش)، ط٢، دار الكتب المصرية – القاهرة.

-٦٧- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم، (١٤١٨ هـ)، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١،الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت

-٦٦- ابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (١٤١٥هـ ١٩٩٤م)، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ط٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.

-٦٨- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (بدون سنة) **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان** (تحقيق: محمد حامد الفقي)، ط، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

-٦٩- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية،ط١ (١٤١١هـ- ١٩٩١م)، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

-٧٠- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ط١،(١٤١٨هـ – ١٩٩٧م)الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، الناشر: دار المعرفة – المغرب.

-٧١- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر،١٤١٩هـ، **تفسير القرآن العظيم** ، (تحقيق: محمد حسين شمس الدين) ، ط١، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت.

-٧٢- ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩ م)، **سنن ابن ماجه**، (تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمَّد كامل قره بللي، عَبد اللّطيف حرز الله)، ط١، الناشر: دار الرسالة العالمية، الأردن، عمان.

-٧٣- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (١٤١٤ هـ) **لسان العرب**، ط ٣، دار صادر – بيروت.

-٧٤- الإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني،(١٤١٢هـ)، **موطأ الإمام مالك**، (تحقيق: بشار عواد معروف محمود خليل) ط،الناشر: مؤسسة الرسالة، الأردن عمان.

-٧٥- المْروزي، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي، (١٤٠٧ هـ) **مسند الإمام عبد الله بن المبارك** ،(تحقيق: صبحي البدري السامرائي) ، ط١، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض.

-٧٦- المْروزي، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م، **مختصر قيام الليل**، اختصرها: العلامة أحمد بن علي المقريزي، ط١، حديث أكاديمي، فيصل اباد – باكستان.

-٧٧- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد ،دون سنة، **تفسير الماوردي = النكت والعيون**، (تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم)، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

-٧٨- الماتريدي محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، (١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م)، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، (تحقيق: د. مجدي باسلوم)، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

-٧٩- المرزباني، الإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، (١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م)، **معجم الشعراء** (تصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو)، ط٢، الناشر: مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

-٨٠- ابن مَنْجُويَه، أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر ابن مَنْجُويَه، (١٤٠٧هـ) **رجال صحيح مسلم**، (تحقيق: عبد الله الليثي)، ط١، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

-٨١- ابن نقطة، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، ابن نقطة الحنبلي البغدادي، (١٤١٠هـ)، **إكمال الإكمال (تكملة لكتاب الإكمال لابن ماكولا)**، (تحقيق: د. عبد القيوم عبد ريب النبي)، ط١، الناشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة.

-٨٢- النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي،(١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م)،**السنن الكبرى**، (حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط)، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

-٨٣- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (١٣٩٢هـ)،**المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط٢، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

-٨٤- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد، (١٤١٦ هـ) ،**غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، (تحقيق: الشيخ زكريا عميرات)، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت.

-٨٥- ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين ، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

-٨٦- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي،١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد

-٨٧- دار الإفتاء المصرية، الكتاب: فتاوى دار الإفتاء المصرية.

-٨٨- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت الطبعة: (من ١٤٠٤ ١٤٢٧هـ)، الأجزاء ١ ٢٣: الطبعة الثانية، دار السلاسل - الكويت، والأجزاء ٢٤ ٣٨: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة مصر والأجزاء ٣٩ ٤٥: الطبعة الثانية، طبع الوزارة، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، صادر عن: عدد الأجزاء: ٤٥ جزءا.

-٨٩- موقع الإسلام سؤال جواب،ج١، ص٣٨٣. الكتاب: القسم العربي من موقع (الإسلام، سؤال وجواب)الموقع بإشراف الشيخ محمد صالح المنجد - حفظه الله - تم نسخه من الإنترنت: في ٢٦ ذي القعدة ١٤٣٠، هـ = ١٥ نوفمبر، ٢٠٠٩ م [الكتاب مرقم آليا] تنبيه: هذا الملف هو أرشيف لجميع المادة العربية بالموقع حتى تاريخ نسخه وهذه المادة هي قسمان:١- الفتاوى (عددها ١٥٨٦٢) [وتجد رقم الفتوى في خانة الرقم، ورابطها أسفل يسار الشاشة]٢- الكتب والمقالات أما بقية الأقسام، مثل (ملفات، تعرف على الإسلام) فهي عبارة عن انتقاءات من قسم الفتاوى، فلم نكررهاhttp://www.islamqa.com رقم الفتوى٦٠١٨٨.

-٩٠- روائع الطب الإسلامي الجزء الثاني [العبادات في الإسلام وأثرها في صحة الفرد والمجتمع] موقع، تأليف العلامة الدكتور الطبيب محمد نزار الدقر اختصاصي بالأمراض الجلدية والتناسلية والعلاج التجميلي دكتور " فلسفة " في العلوم الطبية كاتب متخصص في الطب الإسلامي، مع تحيات موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.www.٥٥a.net